وفيات الاعيان... ابن خالكان جلد 2
349

وذكر الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب أدب الخواص كنت أحادث الوزير أبا الفضل جعفرا المذكور وأجاريه شعر المتنبي فيظهر من تفضيله زيادة تنبه على ما في نفسه خوفا أن يرى بصورة من ثناه الغضب الخاص عن قول الصدق في الحكم العام وذلك لأجل الهجاء الذي عرض له به المتنبي وكانت ولادته لثلاث خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلثمائة وتوفي يوم الأحد ثالث عشر صفر وقيل في شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بمصر رحمه الله تعالى وصلى عليه القاضي حسين بن محمد بن النعمان ودفن في القرافة الصغرى وتربته بها مشهورة وحنزاية بكسر الحاء المهملة وسكون النون وفتح الزاي وبعد الألف باء موحدة مفتوحة ثم هاء وهي أم أبيه الفضل بن جعفر هكذا ذكره ثابت بن قرة في تاريخه الحنزاية في اللغة المرأة القصيرة الغليظة وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وأورد من شعره قوله (من أخمل النفس أحياها وروحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر) (إن الرياح إذا اشتدت عواصفها * فليس ترمي سوى العالي من الشجر) وقال كان كثير الإحسان إلى أهل الحرمين واشترى بالمدينة دارا بالقرب من المسجد ليس بينها وبين الضريح النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام سوى جدار

واحد وأوصى أن يدفن فيها وقرر مع الأشراف ذلك ولما مات حمل تابوته من مصر إلى الحرمين وخرجت الأشراف إلى لقائه وفاء بما أحسن إليهم فحجوا به وطافوا ووقفوا بعرفة ثم ردوه إلى المدينة ودفنوه بالدار المذكورة وهذا خلاف ما ذكرته أولا والله أعلم بالصواب غير أني رأيت التربة المذكورة بالقرافة وعليها مكتوب هذه تربة أبي الفضل جعفر بن الفرات ثم إني رأيت بخط أبي القاسم ابن الصوفي أنه دفن في مجلس داره الكبرى ثم نقل إلى المدينة 134 على الله أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي وأمه تركية واسمها شجاع بويع له لست بقين من ذي الحجة سنة 232 وقتل ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة 247 وله إحدى وأربعون سنة ودفن في القصر الجعفري وهو قصر ابتناه بسر من رأى وقال الدولابي في تاريخه إنه دفن هو والفتح بن خاقان وزيره ولم يصل عليهما فكانت خلافته أبرع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام وقتل المتوكل محمد ولده المنتصر بالله بسر من رأى وهو على خلوة مع وزيره فابتدره باغر التركي بسيف فقام وزيره الفتح بن خاقان في وجه ووجوه القوم فاعتوره القوم بسيوفهم فقتلوهما معا وقطعوهما حتى اختلطت لحومهما فدفنا معا على ما قيل وكان السبب في قتله على ما حكي انه قدم المعتز على المنتصر وامنتصر أسن منه وكان يتوعده ويسبه ويسب أمه ويأمر الذين يحضرون مجلسه من أهل

350

السخف بسببه فسعى في قتله ووجد الفرصة في تلك الليلة وكان من الاتفاق العجيب أن المتوكل كان قد أهدي له سيف قاطع لا يكون مثله فعرض على جميع حاشيته وكل يتمناه فقال المتوكل لا يصلح هذا السيف إلا لساعد باغر ووهبه له دون غيره فاتفق أنه أول داخل عليه فضربه به فقطع حبل عاتقه وكان ما ذكرنا من أمره وحكى علي بن يحيى بن المنجم قال كنت أقرأ على المتوكل قبل قتله
351 كتب الملاحم فوقف على موضع فيه أن الخليفة العاشر يقتل في مجلسه فتوقفت عن قراءتهفقال مالك فقلت خير قال لا بد أن تقرأه فقرأته وحدت عن ذكر الخلفاء فقال ليت شعري من هذا الشقي المقتول وكان مربوعا أسمر خفيف شعر العارضين رفع المحنة في الدين وأخرج أحمد بن حنبل كما ذكرنا من الحبس وخلع عليه وكان بالدينور شيخ يتشيع ويميل إلى مذهب أهل الإمامة وكان له أصحاب يجتمعون إليه يوأخذون عنه ويدرسون عنده يقال له بشر الجعاب فرفع صاحب الخبر بالدينور رلى المتوكل أن بالدينور رجلا رافضيا يحضره جماعة من الرافضة ويتدارسون الرفض ويسبون الصحابة ويشتمون السلف فلما وقف المتوكل على كتابه أمر وزيره عبيد الله بن يحيى بالكتاب إلى عامله على الدينور بإشخاص بشر هذا والفرقة التي تجالسه فكتب عبيد الله بن يحيى بذلك فلما وصل إلى العامل كتابه وكان صديقا لبشر الجعاب حسن المصافاة له شديد الإشفاق عليه همة ذلك وشق عليه

فاستدعى بشرا وأقرأه ما كوتب به في أمره وأمر أصحابه فقال له بشر عندي في هذا رأي إن استعملته كنت غير مستبطإ فيما أمرت به وكنت بمنجاة مما أنت خائف علي منه قال وما هو قال بالدينور شيخ خفاف اسمه بشر ومن الممكن المتيسر أن تجعل مكان الجعاب الخفاف وليس بمحفوظ عنده ما نسبت إليه من الحرفة والصناعة فسر العامل بقوله وعمد إلى العين من الجعاب فغير عينها وغير استواء خطها وانبساطه ووصل الباء بما صارت به فاء فكان أخبره عن بشر الخفاف أنه أبله في غاية البله والغفلة وأنه هزأة عند أهل بلده وضحكه وذلك أن أهل سواد البلد يأخذون منه الخفاف التامة والمقطوعة بنسيئة ويعدونه باثمانها عند حصول الغلة فإذا حصلت وحازوا ما لهم منها ما طلوه بدينه ولووه بحقه واعتلوا بأنواع الباطل عليه فإذا انقضى وقت السادر ودنا الشتاء واحتاجوا إلى الخفاف وما جرى مجراها وافوا بشرا هذا واعتذروا إليه وخدعوه وابتدروا يعدونه الوفاء ويؤكدون مواعيدهم بالأيمان الكاذبة والمعاهدة الباطلة ويضمنون له أداء الديون الماضية والمستأنفة فيحسن ظنه بهم وسكونه ويستسلم اليهم ويستأنف

352 إعطاءهم من الخفاف وغيرها ما يري دونه فإذا حضرت الغلة أجروه على العادة وحملوه على ما تقدم من السنة ثم لا يزالون على هذه الوتيرة من أخذ سلعه في وقت حاجتهم ودفعه عن حقه في إبان غلاتهم فلا يتنبه من

رقدته ولا يفيق من سكرته فأنفذ صاحب الخبر كتابه وأشار بتقدم الخفاف أمام القوم والإقبال عليه بالمخاطبة وتخصيصه بالمسألة ساكنا إلى أنه من ركاكته وفهاهته بما يضحك الحاضرين ويحسم الاشتغال بالبحث عن هذه القصة ويتخلص من هذه الثلاثة فلما ورد كتاب صاحب الخبر أعلم عبيد الله بن يحيى المتوكل به وبحضور القوم فأمر أن يجلس ويستحضرهم ويخاطبهم فيما حكي عنهم وأمر فعلق بينه وبينهم سلبية ليقف على ما يجري ويسمعه ويشاهده ففعل ذلك وجلس عبيد الله واستدعى المحضرين فقدموا إليه يقدمهم بشر الخفاف فلما جلسوا أقبل عبيد الله على بشر فقال له أنت بشر الخفاف فقال نعم فسكنت نفوس الحاضرين معه إلى تمام هذه الحيلة وإتمام هذه المدالسة وجواز هذه المغالطة فقال له إنه رفع إلى أمير المؤمنين من أمركم شيء أنكره فأمر بالكشف عنه وسؤالكم بعد إحضاركم عن حقيقته فقال له بشر نحن حاضرون فما الذي تأمرنا به قال بلغ أمير المؤمنين أنه يجتمع اليك قوم فيخوضون معك في الترفض وشتم الصحابة فقال بشر ما أعرف من هذا شيئا قال قد أمرت بامتحانكم والفحص عن مذاهبكم فقال ما تقول في السلف فقال لعن الله السلف فقال له عبيد الله ويلك أتدري ما تقول قال نعم لعن الله السلف فخرج خادم من بين يدي المتوكل فقال لعبيد الله يقول لك أمير المؤمنين سله الثالثة فإن أقام على هذا فاضرب عنقه فقال له إني سائلك هذه المرة فإن لم تتب وترجع عما قلت

أمرت بقتلك فما تقول الآن في السلف فقال لعن الله السلف قد خرب بيتي وأبطل معيشتي وأتلف مالي وأفقرني وأهلك عيالي قال وكيف قال أنا رجل أسلف الأكرة وأهل الدستان الخفاف والتمسكات على أن يوفوني الثمن مما يحصل من غلاتهم فأصير اليهم عند حصول الغلة في بيادرهم فإذا أحرزوا الغلات دفعوني عن حقي وامتنعوا من توفيتي ماالي ثم يعودون عند دخول الشتاء فيعتذرون إلي ويحلفون بالله لا يعاودون

353 مطلي وظلمي فإنهم يؤدون إلي المتقدم والمتأخر من مالي فأجيبهم إلى ما يلتمسونه وأعطيهم ما يطلبونه فإذا جاء وقت الغلة عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من ظلمي وكسر مالي فقد اختلت حالي وافتقرت عيالي قال فسمع ضحك عال من وراء السبيبة وخرج الخادم فقال استحلل هؤلاء القوم وخل سبيلهم فقالوا يا أمير المؤمنين في حل وسعة فصرفهم فلما توسطوا صحن الدار قال بعض الحاضرين هؤلاء قوم مجان محتالون وصاحب الخبر مسقط لا يكتب إلا بما يعلمه ويثق بصحته وينبغي أن يستقصي الفحص عن هذا والنظر فيه فأمر بردهم فلما أمروا بالرجوع قال بعض الجماعة التابعة لبعض ليس هذا من ذلك الذي تقدم فينبغي أن نتولى الكلام نحن ونسلك طريق الجد والديانة فرجعوا فأمروا بالجلوس ثم أقبل عبيدالله على القوم فقال إن الذي كتب في أمركم ليس ممن تقدم على الكتب بما لا يقبله علما ويحيط به خبرا وقد أخذ

أمير المؤمنين باستئناف امتحانكم وانعام التفتيش عن أمركم فقالوا افعل ما أمرت به فقال من خير الناس بعد رسول الله قلنا علي بن أبي طالب فقال الخادم بين يديه قد سمعت ما قالوا فأخبر أمير المؤمنين به فمضى ثم عاد فقال يقول لكم أمير المؤمنين هذا مذهبي فقلنا الحمد لله الذي وفق أمير المؤمنين في دينه ووفقنا لاتباعه وموافقته على مذهبه ثم قال لهم ما تقولون في أبي بكر رضي الله عنه فقالوا رحمة الله على أبي بكر نقول فيه خيرا قال فما تقولون في عمر قلنا رحمة الله عليه ولا نحبه قال ولم قلنا لأنه أخرج مولانا العباس من الشورى قال فسمعنا من وراء السبيبة ضحكا أعلى من الضحك الأول ثم أتى الخادم فقال لعبيد الله عن المتوكل أتبعهم صلة فقد لزمتهم في طريقهم مؤونة واصرفهم فقالوا نحن في غنى وفي المسلمين من هو أحق بهذه الصلة وإليها أحوج وانصرفوا

وذكر أبو عبد الله حمدون قال قال لي الحسين بن الضحاك ضربني الرشيد في خلافته لصحبتي إ ياه ثم ضربني الأمين لمماثلتي ابنه عبد الله ثم ضربني المأمون لميلي إلى محمد ثم ضربني المعتصم لمودة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكل وكل ذلك يجري مجرى الولع

354 والتحذير لي ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيعا أن يولع بي فتغاضب المتوكل علي فقلت يا أمير المؤمنين إن كنت تضربني كما ضربني آبؤك فاعلم أن آخر ضرب

ضربته كان بسببك فضحك وقال بل أصونك وأكرمك
وقال المتوكل يوما لمن حضره ما أرى أحسن من وصيف
الصغير يعني خادمه فجعل كل يصفه غير بغا الكبير فقال
يا بغا ما سكوتك اما تحب وصيفا قال لا قال ولم قال لأني
أحب من يحبك ولا أحب من يحبه ودخل أبو العيناء على
المتوكل فقال له بلغني عنك بذاء قال إن يكن البذاء صفة
المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فقد مدح الله وذم قال (
^ نعم العبد إنه أواب) وقال عز وجل (^ هماز مشاء
بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم) فذمه حتى
قذفه وأما أن أكون كالعقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع
لا يميز فقد أعاذ الله عبدك من ذلك وقد قال الشاعر (إذا
أنا بالمعروف لم أثن صادقا * ولم أشتم الجبس اللئيم
المذمما) (ففيم عرفت الشر والخير باسمه * وشق لي
الله المسامع والفما) ولما أسلم نجاح بن سلمة إلى موسى
بن عبد الملك الأصبهاني ليؤدي ما عليه من الأموال عاقبة
فتلف في مطالبته فحضر يوما عند المتوكل فقال له ما
عندك من خبر نجاح بن سلمة قال ما قال الله (^ فوكزه
موسى فقضى عليه) فاتصل ذلك بموسى فلقي الوزير
عبيد الله بن يحيى بن خاقان فقال أيها الوزير أردت قتلي
فلم تجد لذلك سبيلا إلا بإدخال أبي العيناء إلى أمير
المؤمنين وعداوته لي فعاتب عبيد الله أبا العيناء في ذلك
فقال والله ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممت سيرته لك
فأمسك عنه ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال

كيف كنت بعدي فقال في أحوال مختلفة خيرها رؤيتك وشرها غيبتك فقال قد والله اشتقتك قال إنما يشتاق العبد لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه فقال له المتوكل من أسخى من رأيت قال

355 ابن أبي داود قال المتوكل تأتي إلى رجل قد رفضته فتنسبه إلى السخاء قال إن الصدق يا أمير المؤمنين على موضع من المواضع أنفق منه على مجلسك وإن الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود لأن سخاء البرامكة منسوب إلى الرشيد وسخاء الفضل والحسن بن سهل منسوب إلى المأمون وجود ابن أبي دواد منسوب إلى المعتصم وإذا نسب الفتح وعبيد الله إلى السخاء فذاك سخاؤك يا أمير المؤمنين قال صدقت فمن أبخل من رأيت قال موسى بن عبد الملك قال وما رأيت من بخله قال رأيته يحرم القريب كما يحرم الغريب ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة فقال له قد وقعت فيه عندي وقعتين وما أحب ذلك فالقه واعتذر إليه ولا يعلم أني وجهت بك قال يا أمير المؤمنين من يسكته بحضرة ألف قال لن تخاف على الاحتراس من الخوف فسار إلى موسى واعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه وافترقا إلى صلح فلقيه بالجعفري فقال يا أبا عبد الله قد اصطلحنا فما لك لا تأتينا قال (^ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس) ما أرانا إلا كما كنا أولا وكان المتوكل قد غضب على عبادة ونفاه إلى الموصل وكان عبادة من أطيب الناس وأخفهم روحا وأحضرهم

نادرة وكان أبوه من طباخي المأمون وكان معه فخرج
حاذقا بالطبيخ ثم مات أبوه ونحب حكى أبو حازم الفقيه
وقد جرى ذكر عبادة قال ما كان أطرفه قيل وكيف قال لما
حصل بالموصل تبعه غرماؤه وطلبوه وقدموه إلى علي بن
إبراهيم العمري وهو قاضي الموصل فحلف لواحد ثم
لآخر ثم لآخر فقال له علي بن إبراهيم ويحك ترى هؤلاء
كلهم قد اجتمعوا على ظلمك فاتق الله وارجع إلى نفسك
فإن كانت عسرة بإزائها نظرة فقال صدقت فديتك ليس
كلهم ادعى الكذب ولا كلهم ادعى الصدق ولكني دفعت
بالله ما لا أطيق وقيل له وقد مات زوج أخته ما ورثت
أختك من زوجها قال أربعة أشهر وعشرا وحكى علي بن
الجهم قال لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أهدى إليه ابن
طاهر
356 من خراسان هدية جليلة فيها جوار فيهن جارية
يقال لها محبوبة قد نشأت بالطائف وبرعت في الأدب
وأجادت قول الشعر وحذقت الغناء وقربت من قلب
المتوكل وغلبت عليه فكانت لا تفارق مجلسه فوجد عليها
مرة فهجرها أياما وبكرت عليه فقال يا علي قلت لبيك يا
أمير المؤمنين قال رأيت الليلة في منامي كأني رضيت
عن محبوبة وصالحتها وصالحتني قلت خيرا يا أمير
المؤمنين أقر الله عينك وسرك إنما هي عبدتك والرضى
والسخط بيدك فوالله أنا لفي ذلك إذ جاءت وصيفة فقالت يا
أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال

قم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فإذا هي تضرب العود وتغني (أدور في القصر لا أرى أحدا * أشكو إليه ولاا يكلمني) (كأنني قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصني) (فهل شفيع لنا إلى ملك * قد زارني في الكرى وصالحني) (حتى إذا ما الصباح لاح لنا * عاد إلى هجره فصارمني) قال فصاح أمير المؤمنين وصحت معه فسمعت فتلقته وأكبت على قدميه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاي رأيت في ليلتي كأنك رضيت عني فتعللت بما سمعت قال وأنا واللّهّ رأيت مثل ذلك فقال لي يا علي رأيت أعجب من هذا كيف اتفق ورجعنا إلى الموضع الذي كنا فيه ودعا بالجلساء والمغنين واصطبح وما زالت تغنيه الأبيات يومه ذلك قال وزادت حظوة عنده حتى كان من أمره ما كان فتفرق جواريه وصارت محبوبة إلى وصيف الكبير فما زالت حزينة باكية فدعاها يوما وأمرها أن تغني فاستعفته وجيء بعود فوضع في حجرها فغنت (أي عيش يلذ لي * لا أرى فيه جعفرا) (كل من كان في ضني * وسقام فقد برا) (غير محبوبة التي * لو ترى الموت يشتري) (لاشترته بما حوته * يداها لتقبرا) ولبست السواد والصوف وما زالت تبكيه وترثيه حتى ماتت رحمها الله تعالى

357 135 ابن السراج أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج المعروف بالقاري البغدادي كان حافظ عصره وعلامة زمانه وله التصانيف

العجيبة منها كتاب مصارع العشاق وغيره حدث عن أبي
علي بن شاذان وأبي القاسم ابن شاهين والخلال والبرمكي
والقزويني وابن غيلان وغيرهم وأخذ عنه خلق كثير
وروى عنه الحافظ أبو طاهر السلفي رحمه الله تعالى
وكان يفتخر بروايته مع أنه لقي أعيان ذلك الزمان وأخذ
عنهم ولو له شعر حسن فمنه (بان الخليط فأدمعي * وجدا
عليهم تستهل) (وحدابهم حادي الفراق * عن المنازل
فاستقلوا) (قل للذين ترحلوا * عن ناظري والقلب حلوا
) (ودمي بلا جرم أتيت * غداة بينهم استحلوا) (ما
ضرهم لو أنهلوا * من ماء وصلهم وعلوا) ومن شعره
أيضا رحمه الله تعالى (وعدت بأن تزوري كل شهر *
فزوري قد تقضي الشهر زوري)
358 (وشقة بيننا نهر المعلى * إلى البلد المسمى
شهرزور) (وأشهر هجرك المحترم حق * وكلن شهر
وصلك شهر زور) وأورد له العماد الكاتب الأصبهاني
في كتاب الخريدة (ومدع شرخ شباب وقد * عممه
الشيب على وفرته) (يخضب بالوشمة عثنونه * يكفيه
أن يكذب في لحيته) وله غير ذلك نظم جيد وكانت
ولادته إما في أواخر سنة سبع عشرة وأربعمائة أو أوائل
سنة ثماني عشرة وأربعمائة وذكر الشريف أبو المعمر
المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري في كتاب
وفيات الشيوخ أن مولده سنة ست عشرة ببغداد وتوفي بها
ليلة الأحد الحادي والعشرين من صفر سنة خمسمائة ودفن

بباب أبرز 136 أبو معشر المنجم أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور كان إمام وقته في فنه وله التصانيف المفيدة في علم النجامة منها المدخل والزيج والألوف وغير ذلك وكانت له إصابات عجيبة رأيت في بعض المجاميع أنه كان متصلا بخدمة بعض الملوك وأن ذلك الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه

359 وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطرائق التي يستخرج بها الخبايا والأشياء الكامنة فأراد أن يعمل شيئا لا يهتدي إليه ويبعد عنه حسه فأخذ طستا وجعل فيه دما وجعل في الدم هاون ذهب وقعد على الهاون أياما وتطلب الملك ذلك الرجل وبالغ في التطلب فلما عجز عنه أحضر أبا معشر وقال له تعرفني موضعه بما جرت عادتك به فعمل المسألة التي يستخرج بها الخبايا وسكت زمانا حائرا فقال له الملك ما سبب سكوتك وحيرتك قال أرى شيئا عجيبا فقال وما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم ولا أعلم في العالم موضعا من البلاد علي هذه الصفة فقال له أعد نظرك وغير المسألة وجدد أخذ الطالع ففعل ثم قال ما أراه إلا كما ذكرت وهذا شيء ما وقع لي مثله فلما أيس الملك من القدرة عليه بهذا الطريق أيضا نادى في البلد بالأمان للرجل ولمن أخفاه وأظهر من ذلك ما وثق به فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين يدي الملك فسأله عن الموضع

الذي كان فيه فأخبره بما اعتمده فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه ولطافة أبي معشر في استخراجه ولـه غير ذلك من الإصابات وكانت وفاته في سنة اثنتين وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى والبلخي بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وبعدها خاء معجمة هذه النسبة إلى بلخ وهي مدينة عظيمة من بلاد خراسان فتحها الأحنف بن قيس التميمي في خلافة عثمان رضي الله عنه وهذا الأحنف هو الذي يضرب به المثل في الحلم وسيأتي ذكره في حرف الضاد إن شاء الله تعالى

360 137 جعفر الأندلسي ممدوح ابن هانـئ أبو علي جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي صاحب المسيلة وأمير الزاب من أعمال إفريقية كان سمحا كثير العطاء مؤثرا لأهل العلم ولأبي القاسم محمد بن هانئ الأندلسي فيه من المدائح الفائقة ما يجاوز حسنها حد الوصف وهو القائل فيه (المدنفان من البرية كلها * جسمي وطرف بابلي أحور) (والمشرقات النيرات ثلاثة * الشمس والقمر المنير وجعفر) وأما القصائد الطوال فلا حاجة إلى ذكر شيء منها وكان أبوه علي قد بنى المسيلة وهي معروفة بهم إلى الآن وكان بينه وبين زيري بن مناد جد المعز بن باديس إحن ومشاجرات أفضت إلى القتال فتواقعا وجرت بينهما معركة عظيمة فقتل زيري فيها ثم قام ولده بلكين المقدم ذكره في حرف الباء مقام إبيه واستظهر على جعفر المذكور فعلم أنه ليس له به طاقة

فترك بلاده ومملكته وهرب إلى الأندلس فقتل بها في سنة
أربع وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى وشرح حديثه يطول
وهذا القدر خلاصته والمسيلة بفتح الميم وكسر السين
المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام مفتوحة
ثم هاء ساكنة وهي مدينة من أعمال الزاب والزاب بفتح
الزاي وبعد الألف باء موحدة كورة بإفريقية وقد تقدم ذكر
إفريقية

361 138 ابن فلاح الكتامي أبو علي جعفر بن
فلاح الكتامي كان أحد قواد المعز أبي تميم معد بن
المنصور العبيدي صاحب إفريقية وجهزه مع القائد جوهر
الآتي ذكره لما توجه لفتح الديار المصرية فلما أخذ مصر
بعثه جوهر إلى الشام فغلب على الرملة في ذي الحجة سنة
ثمان وخمسين وثلثمائة ثم غلب على دمشق فملكها في
المحرم سنة تسع وخمسين بعد أن قاتل أهلها ثم أقام بها
إلى سنة ستين ونزل إلى الدكة فوق نهر يزيد بظاهر
دمشق فقصده الحسن بن أحمد القرمطي المعروف
بالأعصم فخرج إليه جعفر المذكور وهو عليل فظفر به
القرمطي فقتله وقتل من أصحابه خلقا كثيرا وذلك في يوم
الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلثمائة
رحمه الله تعالى وقال بعضهم قرأت على باب قصر القائد
جعفر بن فلاح المذكور بعد قتله مكتوبا (يا منزلا عبث
الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع) (أين الذين
عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع) وكان

جعفر المذكور رئيسا جليل القدر ممدوحا وفيه يقول أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسي الشاعر المشهور (كانت مساءلة الركبان تخبرني * عن جعفر بن فلاح أطيب الخبر)

362 (حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأحسن مما قد رأى بصري) والناس يروون هذين البيتين لأبي تمام في القاضي أحمد بن أبي دواد وهو غلط لأن البيتين ليسا لأبي تمام وهم يروونهما عن أحمد بن داود وهو ليس بابن دواد بل ابن أبي دواد ولو قال ذلك لما استقام الوزن 139 ابن شمس الخلافة أبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن شمس الخلافة مختار الأفضلي الملقب مجد الملك الشاعر المشهور كان فاضلا حسن الخط وكتب كثيرا وخطه مرغوب فيه لحسنه وضبطه وله تواليف جمع فيها أشياء لطيفة دلت على جودة اختياره وله ديوان شعر أجاد فيه نقلت من خطه لنفسه (هي شدة يأتي الرخاء عقيبها * وأسى يبشر بالسرور العاجل) (وإذا نظرت فإن بؤسا زائلا * للمرء خير من نعيم زائل) وله أيضا في الوزير ابن شكر وهو الصفي أبو محمد عبد الله بن علي عرف بابن شكر وزير الملك العادل وولده الملك الكامل رحمهما الله تعالى (مدحتك ألسنة الأنام مخافة * وتشاهدت لك بالثناء الأحسن) (أترى الزمان مؤخرا في مدتي * حتى أعيش إلى

انطلاق الألسن) هكذا أنشدنيهما بعض الأدباء المصريين
ثم وجدتهما في مجموع عتيق ولم يسم
363 وطريقته في الشعر حسنة وله أيضا (أعط
وإن فاتك الثراء ودع * سبيل من ضن وهو مقتدر) (
فكم غني بالناس عنه غنى * وكم فقير إليه يفتقر) وله
أيضا (كفي وعرضي إذا ما * سألت عن أخباري) (
هذا من الكاس كاس * وذا من العار عاري) وكانت
ولادته في المحرم سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وتوفي
في الثاني عشر من المحرم سنة اثنتين وعشرين وستمائة
بالموضع المعروف بالكوم الأحمر ظاهر مصر رحمه الله
تعالى والأفضلي بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح الضاد
المعجمة وبعدها لام هذه النسبة إلى الأفضل أمير الجيوش
بمصر وتوفي والده في ذي الحجة سنة تسع وستين
وخمسمائة ومولده سنة عشرين وخمسمائة 140 جعبر
القشيري الأمير جعبر بن سابق القشيري الملقب سابق
الدين الذي تنسب إليه قلعة جعبر لم أقف على شيء من
أحواله سوى أنه كان قد أسن وعمي وكان له ولدان
يقطعان الطريق ويخيفان السبيل ولم يزل على ذلك والقلعة
بيده حتى
364 أخذها منه السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان
السلجوقي الآتي ذكره ثم قتل بعد ذلك في أوائل سنة أربع
ن وستين وأربعمائة رحمه الله تعالى هكذا وجدته في
بعض التواريخ وفي نفسي منه شيء فإن السلطان ملك شاه

ما ملك إلا بعد قتل أبيه ألب أرسلان وأبوه قتل في سنة
خمس وستين وأربعمائة كما سيأتي في موضعه إن شاء
الله تعالى إلا إن كان قد تغلب على القلعة في حياة أبيه وهو
نائبه أو يكون تاريخ وفاة جعبر غلطا وقد نبهت عليه لئلا
يتوهم من يقف عليه أن الغلط كان مني أو أنه مر بي ولم
أتنبه له فاعلم ذلك ثم إني بعد هذا حققت هذا الأمر فوجدته
أن ملك شاه السلجوقي لما توجه إلى حلب ليأخذها اجتاز
بهذه القلعة وقتل جعبرا المذكور لما بلغه عنه من الفساد
وأخذ القلعة منه وسار إلى حلب وذلك في سنة تسع
وسبعين وأربعمائة ويقال لهذه القلعة الدوسرية وهي
منسوبة إلى دوسر غلام النعمان بن المنذر ملك الحيرة
وكان قد تركه على أفواه الشام فبنى هذه القلعة فنسبت إليه
والجعبر في اللغة القصير الغليظ وهو بفتح الجيم وسكون
العين المهملة وبعدها باء موحدة مفتوحة ثم راء 141
نصير الدين جقر أبو سعيد جقر بن يعقوب الهمذاني
الملقب نصير الدين كان نائب عماد الدين زنكي صاحب
الجزيرة الفراتية والموصل والشام استنابه عنه بالموصل
وكان جبارا عسوفا سفاكا للدماء مستحلا للأموال قيل إنه
لما أحكم عمارة سور الموصل أعجبه إحكامه فناداه
مجنون نداء عاقل هل تقدر أن تعمل سورا يسد طريق
365 القضاء النازل وفي ولايته قصد الإمام
المسترشد حصار الموصل فنازلها وضايقها مدة وكان
جقر المذكور قد حصنها وحفر خنادقها فقاتل الخليفة

ورجع عنها ولم ينل منها مقصوده وذلك في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وخمسمائة وكان بالموصل فروخ شاه ابن السلطان محمود السلجوقي المعروف بالخفاجي وذكر ابن الأثير في تاريخ دولة بني أتابك أن الخفاجي صاحب هذه الواقعة هو ألب أرسلان بن محمود بن محمد لتربية عماد الدين زنكي أتابك ولذلك سمي أتابك فإنه اللالا الذي يربي أولاد الملوك فالأتا بالتركية هو الأب وبك هو الأمير فأتابك مركب من هذين المعنيين وكان جقر يعارضه ويعانده في مقاصده فلما توجه عماد الدين زنكي لمحاصرة قلعة البيرة قرر الخفاجي مع جماعة من أتباعه أن يقتلوا جقر فحضر يوما إلى باب الدار للسلام فنهضوا إليه فقتلوه وذلك في الثامن وقيل يوم الخميس التاسع من ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وولي عماد الدين زنكي موضع جقر زين الدين علي بن بكتكين والد مظفر الدين صاحب إربل فأحسن السيرة وعدل في الرعية وكان رجلا صالحا رحمه الله تعالى ولما عاد زنكي إلى الموصل استصفى أموال جقر واستخرج ذخائره وصادر أهله وأقاربه وكان جقر قد ولى بالموصل رجلا ظالما يسمى بالقزويني فسار سيرة قبيحة وكثر شكوى الناس منه فعزله وجعل مكانه عمر بن شكلة فأساء في السيرة أيضا فعمل في ذلك أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن شقاقا الموصلي المتوفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة (يا نصير الدين ياجقر * ألف قزويني ولا عمر)

366 (لو رماه الله في سقر * لاشتكت من ظلمه
سقر) وجقر بفتح الجيم والقاف وبعدهما راء وهو اسم
أعجمي وأظنه كان مموكا 142 جميل بثينة أبو عمرو
جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح بضم الصاد المهملة
ابن ظبيان بن حن بضم الحاء المهملة وتشديد النون ابن
ربيعة بن حرام بن ضبة ابن عبد بن كثير بن عذرة بن
سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف
بن قضاعة الشاعر المشهور صاحب بثينة أحد عشاق
العرب عشقها وهو غلام فلما كبر خطبها فرد عنها فقال
الشعر فيها وكان يأتيها سرا ومنزلهما وادي القرى وديوان
شعره مشهور فلا حاجة إلى ذكر شيء منه ذكره الحافظ
ابن عساكر في تاريخ دمشق وقال قيل له لو قرأت القرآن
كان أعود عليك من الشعر فقال هذا أنس بن مالك رضي
الله عنه أخبرني أن رسول الله قال إن من الشعر لحكمة
وجميل وبثينة كلاهما من بني عذرة وكانت بثينة تكنى أم
عبد الملك والجمال والعشق في بني عذرة كثير قيل
لأعرابي من العذريين ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير
تنماث كما ينماث الملح في الماء أما تتجلدون فقال إنا
ننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها وقيل لآخر ممن
أنت فقال أنا من قوم إذا أحبوا ماتوا فقالت جارية سمعته
هذا عذري ورب الكعبة وذكر صاحب الأغاني أن كثير
عزة كان راوية جميل وجميل كان

367 رواية هدبة بن خشرم وهدبة راوية الحطيئة والحطيئة راوية زهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير ومن شعر جميل من جملة أبيات (وخبرتماني أن تيماء منزل * لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا) (فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمي بليلى المراميا) ومن الناس من يدخل هذه الأبيات في قصيدة مجنون ليلى وليست له وتيماه خاصة منزل لبني عذرة وفي هذه القصيدة يقول جميل (وما زلتم يا بثن حتى لو انني * من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا) (وما زادني الواشون إلا صبابة * ولا كثرة الناهين إلا تماديا) (وما أحدث النأي المفرق بيننا * سلوا ولا طول الليالي تقاليا) (ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني * أظل إذا لم ألق وجهك صاديا) (لقد خفت أن ألقى المنية بغته * وفي النفس حاجات إليك كما هيا) وكان كثير عزة يقول جميل والله أشعر العرب حيث يقول (وخبرتماني أن تيماء منزل * لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا) ومن شعره (إني لأحفظ سركم ويسرني * لو تعلمين بصالح أن تذكري) (ويكون يوم لا أرى لك مرسلا * أو نلتقي فيه علي كأشهر) (يا ليتني ألقى المنية بغتة * إن كان يوم لقائكم لم يقدر) ومنها (يهواك ما عشت الفؤاد وإن أمت * يتبع صداي صداك بين الأقبر) ومنها (إني إليك بما وعدت لناظر * نظر الفقير إلى الغني المكثر)

368 (يقضي الديون وليس ينجز موعدا * هذا الغريم لنا وليس بمعسر) (ما أنت والوعد الذي تعدينني * إلا كبرق سحابة لم تمطر) ومن شعره من جملة قصيدة (إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي * من الوجد قالت ثابت ويزيد) (وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به * بثينة قالت ذاك منك بعيد) ومن شعره أيضا (وإني لأرضي من بثينة بالذي * لو استيقن الواشي لقرت بلابله) (بلا وبألا أستطيع وبالمنى * وبالأمل المرجو قد خاب آمله) (وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي * أواخره لا نلتقي وأوائله) وله أيضا (وإني لأستحيي من الناس أن أرى * رديفا لوصل أو علي رديف) (وأشرب رنقا منك بعد مودة * وأرضى بوصل منك وهو ضعيف) (وإني للماء المخالط للقذى * إذا كثرت وراده لعيوف) وله من أبيات أيضا (بعيد على من ليس يطلب حاجة * وأما على ذي حاجة فقريب) (بثينة قالت يا جميل أربتني * فقلت كلانا يا بثين مريب) (وأريبنا من لا يؤدي أمانة * ولا يحفظ الأسرار حين يغيب) وقال كثير عزة لقيني مرة جميل بثينة فقال من أين أقبلت فقلت من عند أبي الحبيبة يعني بثينة فقال وإلى أين تمضي قلت إلى الحبيبة يعني عزة فقال لا بد أن ترجع عودك على بدئك فتتخذ لي موعدا من بثينة فقلت عهدي بها الساعة وأنا أستحيي أن أرجع فقال لا بد من ذلك فقلت متى عهدك ببثينة فقال من

أول الصيف وقعت سحابة بأسفل وادي الدوم فخرجت ومعها جارية لها تغسل ثيابا فلما أبصرتني
369 أنكرتني فضربت يدها إلى الثوب في الماء فالتحفت به وعرفتني الجارية فأعادت الثوب إلى الماء وتحدثنا ساعة حتى غابت الشمس فسألتها الموعد فقالت أهلي سائرون ولا لقيتها بعد ذلك ولا وجدت أحدا آمنه فأرسله إليها فقال له كثير فهل لك أن آتي الحي فأتعرض بأبيات شعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها قال وذلك الصواب فخرج كثير حتى أناخ بهم فقال له أبوها ما ردك يا ابن أخي قال قلت أبياتا عرضت فأحببت أن أعرضها عليك قال هاتها فأنشدته وبثينة تسمع (فقلت لها يا عز أرسل صاحبي * إليك رسولا والرسول موكل) (بأن تجعلي بيني وبينك موعدا * وأن تأمريني بالذي فيه أفعل) (وآخر عهدي منك يوم لقيتني * بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل) قال فضربت بثينة جانب خدرها وقالت اخسأ اخسأ فقال لها أبوها مهيم يا بثينة فقالت كلب يأتينا إذا نوم الناس من وراء الرابية ثم قالت للجارية ابغينا من الدومات حطبا لنذبح لكثير شاة ونشويها له فقال كثير أنا أعجل من ذلك وراح إلى جميل فأخبره فقال جميل الموعد الدومات وخرجت بثينة وصواحبها إلى الدومات وجاء جميل وكثير إليهن فما برحوا حتى برق الصبح فكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن من ذلك المجلس ولا مثل علم أحدهما بضمير الآجر ما أدري أيهما

كان أفهم (36) وقال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخه الكبير قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري أنشدني أبي هذه الأبيات لجميل بن معمر قال وتروى لغيره أيضا وهي (ما زلت أبغي الحي أتبع فلهم * حتى دفعت إلى ربيبة هودج)
370 (فدنوت مختفيا ألم ببيتها * حتى ولجت إلى خفي المولج) (فتناولت رأسي لتعرف مسه * بمخضب الأطراف غير مشنج) (قالت وعيش أخي ونعمة والدي * لأنبهن القوم إن لم تخرج) (فخرجت خيفة قولها فتبسمت * فعلمت أن يمينها لم تلجج) (فلثمت فاها آخذا بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج) قال هارون بن عبد اللهّ القاضي قدم جميل بن معمر مصر على عبد العزيز ابن مروان ممتدحا له فأذن له وسمع مدائحه وأحسن جائزته وسأله عن حبه بثينة فذكر وجدا كثيرا فوعده في أمرها وأمره بالمقام وأمر له بمنزلة وما يصلحه فما أقام إلا قليلا حتى مات هناك في سنة اثنتين وثمانين وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي قال بينا أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال هل لك في جميل فإنه يعتل نعوده فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه فنظر إلي وقال يا ابن سهل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ورلم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا إله إلا الله قلت أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا الرجل قال أنا قلت له والله ما أحسبك سلمت وأنت تشبب منذ عشرين

سنة ببثينة قال لا نالتني شفاعة محمد وإني لفي أول يوم
من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت
يدي عليها لريبة فما برحنا حتى مات وقال محمد بن أحمد
بن جعفر الأهوازي مرض جميل بمصر مرضه الذي
مات فيه رحمه الله تعالى فدخل عليه العباس بن سهل
الساعدي وذكر هذه الحكاية واللّه أعلم بالصواب وذكر في
الأغاني عن الأصمعي قال حدثني رجل شهد جميلا لما
حضرته الوفاة بمصر أنه دعا به فقال له هل لك أن
أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئا أعهده إليك قال
فقلت اللهم نعم فقال إذا أنا مت
371 فخذ حلتي هذه واعزلها جانبا وكل شيء سواها
لك وارحل إلى رهط بثينة فإذا صرت إليهم فارتحل ناقتي
هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على
شرف وصح بهذه الأبيات وخلاك ذم (صرخ النعي وما
كنى بجميل * وثوى بمصر ثواء غير قفول) (ولقد أجر
البرد في وادي القرى * نشوان بين مزارع ونخيل) (
قومي بثينة فاندبي بعويل * وابكي خليلك دون كل خليل)
قال ففعلت ما أمرني به جميل فما استتممت الأبيات حتى
برزت بثينة كأنها بدر قد بدا في دجنة وهي تتثنى في
مرطها حتى أتتني وقالت يا هذا والله إن كنت صادقا لقد
قتلتني وإن كنت كاذبا لقد فضحتني قلت واللّه ما أنا إلا
صادق وأخرجت حلته فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها
وصكت وجهها واجتمع نساء الحي يبكين معها ويندبنه

حتى صعقت فمكثت مغشيا عليها ساعة ثم قامت وهي تقول (وإن سلوي عن جميل لساعة * من الدهر ما حانت ولا حان حينها) (سواء علينا يا جميل بن معمر * إذا مت بأساء الحياة ولينها) وقد تقدم ذكر هذين البيتين في ترجمة الحافظ أبي طاهر أحمد السلفي قال الرجل فما رأيت أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ

372 143 جنادة الهروي أبو أسامة جنادة بن محمد اللغوي الأزدي الهروي كان مكثرا من حفظ اللغة ونقلها عارفا بوحشيها ومستعملها لم يكن في زمنه مثله في فنه وكان بينه وبين الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري وأبي الحسن علي بن سليمان المقرئ النحوي الأنطاكي مؤانسة واتحاد كثير وكانوا يجتمعون في دار العلم وتجري بينهم مذاكرات ومفاوضات في الآداب ولم يزل ذلك دأبهم حتى قتل الحاكم صاحب مصر أبا أسامة جنادة وأبا الحسن المقرئ الأنطاكي المذكورين في يوم واحد وهو في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة رحمهما الله تعالى واستتر بسبب قتلهما الحافظ عبدالغني المذكور خوفا على نفسه من مثل ذلك حكى ذلك الأمير المختار المعروف بالمسبحي في تاريخه والهروي بفتح الها والراء وبعدها واو وياء هذه النسبة إلى هراة وهي من أعظم مدن خراسان وجنادة بضم الجيم وفتح النون وبعد الألف دال مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة

373   144 الجنيد الصوفي أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري الزاهد المشهور أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه العراق وكان شيخ وقته وفريد عصره وكلامه في الحقيقة مشهور مدون وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنهما وقيل بل كان فقيها علي مذهب سفيان الثوري رضي الله عنه وصحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي وغيرهما من جلة المشايخ رضي الله عنهم وصحبه أبو العباس ابن سريج الفقيه الشافعي وكان إذا تكلم في الأصول والفروع بكلام أعجب الحاضرين فيقول لهم أتدرون من أين لي هذا هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد وسئل الجنيد عن العارف فقال من نطق عن سرك وأنت ساكت وكان يقول مذهبنا هذا مقيد بالأصول والكتاب والسنة وحضر الجنيد موضعا فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه وهو مطرق فقيل له يا أبا القاسم مانراك تتحرك فقال (^ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله) ورئي يوما وفي يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة فقال طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه وقال الجنيد قال لي خالي سري السقطي تكلم على الناس وكان في قلبي حشمة من الكلام على الناس فإني كنت أتهم نفسي في استحقاقي ذلك فرأيت ليلة في المنام رسول الله وكانت ليلة جمعة فقال لي تكلم على الناس فانتبهت وأتيت باب السري قبل أن أصبح فدققت

374 الباب فقال لي لم تصدقنا حتى قيل لك فقعدت
في غد للناس بالجامع وانتشر في الناس أن الجنيد قعد
يتكلم على الناس فوقف علي غلام نصراني متنكرا وقال
أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله اتقوا فراسة المؤمن
فإنه ينظر بنور الله فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت أسلم
فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام وقال الشيخ الجنيد ما
انتفعت بشيء انتفاعي بأبيات سمعتها قيل له وما هي قال
مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني من دار
فأنصت لها فسمعتها تقول (إذا قلت أهدى الهجر لي حلل
البلى * تقولين لولا الهجر لم يطب الحب) (وإن قلت
هذا القلب أحرقه الهوى * تقولين بنيران الهوى شرف
القلب) (وإن قلت ما أذنبت قلت مجيبة * حياتك ذنب لا
يقاس به ذنب) فصعقت وصحت فبينما أنا كذلك إذا
بصاحب الدار قد خرج فقال ما هذا يا سيدي فقلت له مما
سمعت فقال أشهدك أنها هبة مني لك فقلت قد قبلتها وهي
حرة لوجه الله تعالى ثم زوجتها لبعض أصحابنا بالرباط
فولدت له ولدا نبيلا ونشأ أحسن نشوء وحج على قدميه
ثلاثين حجة على الوحدة وآثاره كثيرة مشهورة وتوفي
يوم السبت وكان نيروز الخليفة سنة سبع وتسعين ومائتين
وقيل سنة ثمان وتسعين آخر ساعة من نهار الجمعة ببغداد
ودفن يوم السبت بالشونيزية عند خاله سري السقطي
رضي الله عنهما وكان عند موته رحمه الله تعالى قد ختم
القرآن الكريم ثم ابتدأ في البقرة فقرأ سبعين اية ثم مات

قال محمد بن إبراهيم رأيت الجنيد في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار وإنما قيل له الخزاز لأنه كان يعمل الخز وإنما قيل له القواريري لأن أباه كان قواريريا

375 والخزاز بفتح الخاء المعجمة وتشديد الزاي وبعد الألف زاي ثانية والقواريري بفتح القاف والواو وبعد الألف راء مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها راء ثانية ونهاوند بفتح النون وقال السمعاني بضم النون وفتح الهاء وبعد الألف واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها دال مهملة وهي مدينة من بلاد الجبل قيل إن نوحا عليه السلام بناها وكان اسمها نوح أوند ومعنى أوند بنى فعربوها فقالوا نهاوند والشونيزية بضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها زاي وهي مقربة مشهورة ببغداد بها قبور جماعة من المشايخ رضي الله عنهم بالجانب الغربي 145

جوهر الصقلي القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي كان من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية وجهزه إلى الديار المصرية ليأخذها بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي وسير معه العساكر وهو المقدم وكان رحيله من إفريقية يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان

وخمسين وثلثمائة وتسلم مصر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة وصعد المنبر خطيباً بها يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان ودعا لمولاه المعز فأقيمت الدعوة للمعز في الجامع
376 العتيق وسار جوهر إلى جامع ابن طولون وأمر بأن يؤذن فيه بحي على خير العمل وهو أول ما أذن ثم أذن بعده بالجامع العتيق وجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ولما استقر جوهر بمصر شرع في بناء القاهرة وسير عكسراً إلى دمشق وغزاها فملكها ووصلت البشارة إلى مولاه المعز بأخذ البلاد وهو بإفريقية في نصف شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ويدعوه إلى المسير إليه ففرح فرحاً شديداً ومدحه الشعراء فمن ذلك محمد بن هانىء الأندلسي من قصيدة (يقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبني العباس قد قضي الأمر) (وقد جاوز الإسكندرية جوهر * تطالعه البشرى ويقدمه النصر) وأقام بها حتى وصل إليه مولاه المعز وهو نافذ الأمر واستمر على علو منزلته وارتفاع درجته متولياً للأمور إلى يوم الجمعة سابع عشر المحر سنة أربع وستين فعزله المعز عن دواوين مصر وجباية أموالها والنظر في أحوالها وكان محسنا إلى الناس إلى أن توفي يوم الخميس لعشر بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى وكانت وفاته بمصر ولم يبق بها شاعر إلا رثاه وذكر مآثره وكان سبب إنفاذ مولاه المعز

له إلى مصر أن كافورا الإخشيدي الخادم الآتي ذكره في
حرف الكاف لما توفي استقر الرأي بين أهل الدولة أن
تكون الولاية لأحمد بن علي بن الإخشيد وكان صغير
السن على أن يخلفه ابن عم أبيه أبو محمد الحسين بن عبد
الله بن طغج وعلى أن تدبير الرجال والجيش إلى شمول
الإخشيدي وتدبير الأموال إلى أبي الفضل جعفر بن
الفرات الوزير وذلك يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادي
الأولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ودعي لأحمد بن علي
بن الإخشيد على المنابر بمصر وأعمالها والشامات
والحرمين وبعده للحسين بن عبد الله ثم إن الجند اضطربوا
لقلة الأموال وعدم الإنفاق فيهم كما ذكرناه في ترجمة
جعفر بن الفرات المقدم ذكره فكتب جماعة من وجوههم
إلى المعز بإفريقية يطلبون منه إنفاذ العساكر ليسلموا له
مصر فأمر القائد
377 جوهراً المذكور بالتجهز إلى الديار المصرية
واتفق أن جوهرا مرض مرضاً شديداً أيس منه فيه وعاده
مولاه المعز فقال هذا لا يموت وستفتح مصر على يديه
واتفق إبلاله من المرض وقد جهز له كل ما يحتاج إليه من
المال والسلاح والرجال فبرز بالعساكر في موضع يقال له
الرقادة ومعه أكثر من مائة ألف فارس ومعه أكثر من ألف
ومائتي صندوق من المال وكان المعز يخرج إليه كل يوم
ويخلو به ويوصيه ثم تقدم إليه بالمسير وخرج لوداعه
فوقف جوهر بين يديه والمعز متكئاً على فرسه يحدثه سراً

زمانا ثم قال لأولاده انزلوا لوداعه فنزلوا عن خيولهم
ونزل أهل الدولة لنزولهم ثم قبل جوهر يد المعز وحافر
فرسه فقال له اركب فركب وسار بالعساكر ولما رجع
المعز إلى قصره أنفذ لجوهر ملبوسه وكل ما كان عليه
سوى خاتمه وسراويله وكتب المعز إلى عبده أفلح صاحب
برقة أن يترجل للقائد جوهر ويقبل يده عند لقائه فبذل أفلح
مائة ألف دينار على أن يعفى من ذلك فلم يعف وفعل ما
أمر به عند لقائه لجوهر ووصل الخبر إلى مصر
بوصولهم فاضطرب أهلها واتفقوا مع الوزير جعفر بن
الفرات على المراسلة في الصلح وطلب الأمان وتقرير
أملاك أهل البلد عليهم وسألوا أبا جعفر مسلم بن عبد الله
الحسيني أن يكونوا سفيرهم فأجابهم وشرط أن يكون معه
جماعة من أهل البلد وكتب الوزير معهم أيضاً بما يريد
وتوجهوا نحو القائد جوهر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة
بقيت من رجب سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وكان جوهر
قد نزل في تزوجه وهي قرية بالقرب من الاسكندرية
فوصل إليه الشريف بمن معه وأدى إليه الرسالة فأجابه
إلى ما التمسوه وكتب له جوهر عهداً بما طلبوه
واضطرب البلد اضطراباً شديداً وأخذت الإخشيدية
والكافورية وجماعة من العسكر الأهبة للقتال وستروا ما
في دورهم وأخرجوا مضاربهم ورجعوا عن الصلح وبلغ
ذلك جوهرا فرحل إليهم وكان الشريف قد وصل بالعهد
والأمان في سابع شعبان فركب إليه الوزير والناس

واجتمع عنده الجند فقرأ عليهم العهد وأوصل إلى كل واحد جواب بما أراد من الإقطاع
378 والمال والولاية وأوصل إلى الوزير جواب كتابه وقد خوطب فيه بالوزير فجرى فصل طويل في المشاجرة والامتناع وتفرقوا عن غير رضى وقدموا عليهم نحريراً الشويزاني وسلموا عليه بالإمارة وتهيأوا للقتال وساروا بالعساكر نحو الجيزة ونزلوا بها وحفظوا الجسور ووصل القائد جوهر إلى الجيزة وابتدىء بالقتال في الحادي عشر من شعبان وأسرت رجال وأخذت خيل ومضى جوهر إلى منية الصيادين وأخذ المخاضة بمنية شلقان واستأمن إلى جوهر جماعة من العسكر في المراكب وجعل أهل مصر على المخاضة من يحفظها فلما رأى ذلك جوهر قال لجعفر بن فلاح لهذا اليوم أرادك المعز فعبر عريانا في سراويل وهو في مركب ومعه الرجال خوضا حتى خرجوا إليهم ووقع القتال فقتل خلق كثير من الإخشيدية وأتباعهم وانهزمت الجماعة في الليل ودخلوا مصر وأخذوا من دورهم ما قدروا عليه وانهزموا وخرج حرمهم مشاة ودخلن على الشريف أبي جعفر في مكاتبة القائد باعادة الأمان فكتب إليه يهنئه بالفتح ويسأله إعادة الأمان وجلس الناس عنده ينتظرون الجواب فعاد إليه بأمانهم وحضر رسوله ومعه بند أبيض وطاف على الناس يؤمنهم ويمنع من النهب فهدأ البلد وفتحت الأسواق وسكن الناس كأن لم تكن فتنة فلما كان آخر النهار ورد

رسوله إلى أبي جعفر بأن تعمل على لقائي يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة تخلو من شعبان بجماعة الأشراف والعلماء ووجوه البلد فانصرفوا متأهبين لذلك ثم خرجوا ومعهم الوزير جعفر وجماعة الأعيان إلى الجيزة والتقوا بالقائد ونادى مناد ينزل الناس كلهم إلا الشريف والوزير فنزلوا وسلموا عليه واحداً واحداً والوزير عن شماله والشريف عن يمينه ولما

379 فرغوا من السلام ابتدأوا في دخول البلد فدخلوا من زوال الشمس وعليهم السلاح والعدد ودخل جوهر بعد العصر وطبوله وبنوده بين يديه وعليه ثوب ديباج مثقل وتحته فرس أصفر وشق مصر ونزل في مناخه موضع القاهرة اليوم واختط موضع القاهرة ولما أصبح المصريون حضروا إلى القائد للهناء فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل وكان فيه زورات جاءت غير معتدلة فلم تعجبه ثم قال حفرت في ساعة سعيدة فلا أغيرها وأقام عسكره يدخل إلى البلد سبعة أيام أولها الثلاثاء المذكور وبادر جوهر بالكتاب إلى مولاه المعز يبشره بالفتح وأنفذ إليه رؤوس القتلى في الوقعة وقطع خطبة بني العباس عن منابر الديار المصرية وكذلك أسمهم من على السكة وعوض عن ذلك باسم مولاه المعز وأزال الشعار الأسود وألبس الخطباء الثياب البيض وجعل يجلس بنفسه في كل يوم سبت للمظالم بحضرة الوزير والقاضي وجماعة من أكابر الفقهاء وفي يوم الجمعة

الثامن من ذي القعدة أمر جوهر بالزيادة عقيب الخطبة اللهم صلى على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اللهم صل على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين وفي يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين صلى القائد في جامع ابن طولون بعسكر كثير وخطب عبد السميع بن عمر العباسي الخطيب وذكر أهل البيت وفضائلهم رضي الله عنهم ودعا للقائد وجهر القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم وقرأ سورة الجمعة والمنافقين في الصلاة وأذن بحي على خير العمل وهو أول من أذن به بمصر ثم أذن به في سائر المساجد وقنت الخطيب في صلاة الجمعة وفي جمادي الأولى من السنة أذنوا في جامع مصر العتيق بحي على خير العمل

380 وسر القائد جوهر بذلك وكتب إلى المعز وبشره بذلك ولما دعا الخطيب على المنبر للقائد جوهر أنكر عليه وقال ليس هذا رسم موالينا وشرع في عمارة الجامع بالقاهرة وفرغ من بنائه في السابع من شهر رمضان سنة إحدى وستين وجمع فيه الجمعة قلت وأظن هذا الجامع هو المعروف بالأزهر بالقرب من باب البرقية بينه وبين باب النصر فإن الجامع الآخر بالقاهرة المجاور لباب النصر مشهور بالحاكم الآتي ذكره وأقام جوهر مستقلاً بتدبير مملكة مصر قبل وصول مولاه المعز إليها

أربع سنين وعشرين يوماً ولما وصل المعز إلى القاهرة كما هو في ترجمته خرج جوهر من القصر إلى لقائه ولم يخرج معه شيئاً من آلته سوى ما كان عليه من الثياب ثم لم يعد إليه ونزل في داره بالقاهرة وسيأتي أيضا طرف من خبره في ترجمة مولاه المعز إن شاء الله تعالى وكان ولد ولده الحسين قائد القواد للحاكم صاحب مصر وكان قد خالف على نفسه من الحاكم فهرب هو وولده وصهره القاضي عبد العزيز بن النعمان وكان زوج أخته فأرسل الحاكم من ردهم وطيب قلوبهم وآنسهم مدة مديدة ثم حضروا إلى القصر بالقاهرة للخدمة فتقدم الحاكم إلى راشد الحقيقي وكان سيف النقمة فاستصحب عشرة من الغلمان الأتراك وقتلوا الحسين وولده وصهره القاضي وأحضروا رأسيهما إلى بين يدي الحاكم وكان قتلهم في سنة إحدى وأربعمائة رحمهم الله تعالى وقد تقدم خبر الحسين في ترجمة برجوان

381 146 جهاركس الصلاحي أبو المنصور

جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين كان من كبراء أمراء الدولة الصلاحية وكان كريماً نبيل القدر عالي الهمة بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها وعظمها وإحكام بنائها وبنى بأعلاها مسجداً كبيراً وربعا معلقا وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ودفن

في جبل الصالحية وتربته مشهورة هناك رحمه الله تعالى وجهاركس بكسر الجيم وفتح الهاء وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة ومعناه بالعربي أربعة أنفس وهو لفظ عجمي معربه أستار والأستار أربع أواقي وهو معروف به
1 ج 2
11@ & حرف الحاء & 147 أبو تمام أبو تمام
حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان بن مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الغوث بن طيىء واسمه جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن يشجب ابن يعرب بن قحطان الشاعر المشهور وذكر أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي في كتاب الموازنة بين الطائيين ما صورته والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام أن أباه كان نصرانيا من أهل جاسم قرية من قرى دمشق يقال له تدوس العطار فجعلوه أوساً وقد لفقت له نسبة إلى طيىء وليس فيمن ذكر فيها من الآباء من اسمه مسعود وهذا باطل ممن عمله ولو كان نسبه صحيحاً لما جاز أن يلحق طيئاً بعشرة آباء
12 قلت وذكر الآمدي هذا في قول أبي تمام إن كان مسعود سقى أطلالهم سبل الشؤون فلست من مسعود وقد سقط في النسب بين قيس ورفاقة ستة آباء وقول أبي تمام فلست من مسعود لا يدل على أن مسعودا من آبائه بل

هذا كما يقال ما أنا من فلان ولا فلان مني يريدون به البعد منه والأنفة ومن هذا قول النبي ولد الزنا ليس منا وعلي مني وأنا منه وقد ساق الخطيب أبو بكر في تاريخ بغداد نسبه وفيه تغيير يسير وقال الصولي قال قوم إن أبا تمام هو حبيب بن تدوس النصراني فغير فصار أوسا . كان أوحد عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أسلوبه وله كتاب الحماسة التي دلت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء وكان له من المحفوظ ما لا يلحقه فيه غيره قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ومدح الخلفاء وأخذ
13 جوائزهم وجاب البلاد وقصد البصرة بها عبد الصمد بن المعذل الشاعر فلما سمع بوصوله وكان في جماعة من غلمانه وأتباعه فخاف من قدومه أن يميل الناس إليه ويعرضوا عنه فكتب إليه قبل دخوله البلد (

أنت بين اثنتين تبرز للناس * وكلتاهما بوجه مذال) (

لست تنفك راجيا لوصال * من حبيب أو طالبا لنوال) (

أي ماء يبقى لوجهك هذا * بين ذل الهوى وذل السؤال)

فلما وقف على الأبيات أضرب عن مقصده ورجع وقال قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه وقد ذكرت نظير هذه الأبيات في ترجمة المتنبي في حرف الهمزة ولما قال ابن

المعذل هذه الأبيات في أبي تمام كتبها ودفعها إلى وراق كان هو وأبو تمام يجلسان إليه ولا يعرف أحدهما الآخر وأمر أن تدفع إلى أبي تمام فلما وافى أبو تمام وقرأها قلبها وكتب (أفي تنظم قول الزور والفند * وأنت أنقص من لا شيء في العدد) (أشرجت قلبك من غيظ على حنق * كأنها حركات الروح في الجسد) (أقدمت ويلك من هجوي على خطر * كالعير يقدم من خوف على الأسد) وحضر عبد الصمد فلما قرأ البيت الأول قال ما أحسن علمه بالجدل أوجب زيادة ونقصانا على معدوم ولما نظر إلى البيت الثاني قال الإشراج

14 من عمل الفراشين ولا مدخل له ههنا فلما قرأ البيت الثالث عض على شفته وقال قتل وقال الصولي قد ذكر ذلك أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم في كتاب المصايد والمطارد عند قوله فيه وأغفل الجاحظ في باب ذكر انقياد بعض المأكولات لبعض الآكلات ذكر الحمار الذي يرمي بنفسه على الأسد إذا شم ريحه ولما أنشد أبو تمام أبا دلف العجلي قصيدته البائية المشهورة التي أولها (على مثلها من أربع وملاعب * أذيلت مصونات الدموع السواكب) استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال له والله إنها لدون شعرك ثم قال له والله ما مثل هذا القول في الحسن إلا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسي فقال أبو تمام وأي ذلك أراد الأمير قال قصيدتك الرائية التي أولها (كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر *

فليس لعين لم يفض ماؤها عذر) وددت والله أنها لك في
فقال بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدم قبله فقال
إنه لم يمت من رثي بهذا الشعر وقال العلماء خرج من
قبيلة طيىء ثلاثة كل واحد مجيد في بابه حاتم الطائي في
جوده وداود بن نصير الطائي في زهده وأبو تمام حبيب
بن أوس في شعره وأخباره كثيرة ورأيت الناس مطبقين
على أنه مدح الخليفة بقصيدته
15 السينية فلما انتهى فيها إلى قوله (إقدام عمرو
في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء إياس) قال له
الوزير أتشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب فأطرق ساعة
ثم رفع رأسه وأنشد (لا تنكروا ضربي له من دونه *
مثلا شرودا في الندى والباس) (فالله قد ضرب الأقل
لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس) فقال الوزير للخليفة
أي شيء طلبه فأعطه فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوما
لأنه قد ظهر في عنيه الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا
يعيش إلا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشتهي قال أريد
الموصل فأعطاه إياها فتوجه إليها وبقي هذه المدة ومات
وهذه القصة لا صحة لها أصلا وقد ذكر أبو بكر الصولي
في كتاب أخبار أبي تمام أنه لما أنشد هذه القصيدة لأحمد
بن المعتصم وانتهى إلى قوله إقدام عمرو البيت المذكور
قال له أبو يوسف يعقوب بن الصباح الكندي الفيلسوف
وكان حاضرا الأمير فوق من وصفت فأطرق قليلا ثم زاد
البيتين الآخرين ولما أخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها

هذين البيتين فعجبوا من سرعته وفطنته ولما خرج قال
أبو يوسف وكان فيلسوف العرب هذا الفتى يموت قريبا ثم
قال بعد ذلك وقد روي هذا على خلاف ما ذكرته وليس
بشيء والصحيح هو هذا وقد تتبعتها وحققت صورة
ولايته للموصل فلم أجد سوى أن الحسن
16 ابن وهب ولاه يريد الموصل فأقام بها أقل من
سنتين ثم مات بها والذي يدل على أن القضية ليست
صحيحة أن هذه القصيدة ما هي في أحد من الخلفاء بل
مدح بها أحمد بن المعتصم وقيل أحمد بن المأمون ولم يل
واحد منهما الخلافة والحيص بيص ذكر في رقاعه السبع
اللاتي كتبها إلى الإمام المسترشد يطلب منه بايعقوبا أن
الموصل كانت إجازة لشاعر طائي فإما أنه بنى الأمر على
ما قاله الناس من غير تحقيق أو قصد أن يجعل هذا ذريعة
لحصول بايعقوبا له والله أعلم وتابعه في الغلط ابن دحية
في كتاب النبراس وذكر الصولي أن أبا تمام لما مدح
محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها
قوله (ديمة سمحة القياد سكوب * مستغيث بها الثرى
المكروب) (لو سعت بقعة لإعظام أخرى * لسعى
نحوها المكان الجديب) قال له ابن الزيات يا أبا تمام إنك
لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد
حسنا على بهي الجواهر في أجياد الكواعب وما يدخر لك
شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في
الموازاة وكان بحضرته فيلسوف فقال له إن هذا الفتى

يموت شابا فقيل له ومن أين حكمت عليه بذلك فقال رأيت فيه من الحدة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس وجودة الخاطر ما علمت به أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده وكذا كان لأنه مات وقد نيف على ثلاثين سنة قلت وهذا يخالف ما سيأتي في تاريخ مولده ووفاته بعد هذا إن شاء الله تعالى

17 ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكرالصولي ورتبه على الحروف ثم جمعه علي بن حمزة الأصبهاني ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع وكانت ولادة أبي تمام سنة تسعين ومائة وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة وقيل سنة اثنتين وسبعين ومائة بجاسم وهي قرية من بلد الجيدور من أعمال دمشق بين دمشق وطبريا ونشأ بمصر وقيل إنه كان يسقي الناس ماء بالجرة في جامع مصر وقيل كان يخدم حائكا ويعمل عنده بدمشق وكان أبوه خمارا بها وكان أبو تمام أسمر طويلا فصيحا حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة ثم اشتغل وتنقل إلى أن صار منه ما صار وتوفي بالموصل على ما تقدم في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقيل إنه توفي في ذي القعدة وقيل في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين ومائتين وقيل في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى قال البحتري وبنى عليه أو نهشل ابن حميد الطوسي قبة قلت ورأيت قبره بالموصل خارج باب الميدان على حافة الخندق والعامة تقول هذا قبر تمام

الشاعر وحكى لي الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان الموصلي النحوي المترجم قال سألت شرف الدين أبا المحاسن محمد بن عنين الشاعر الآتي ذكره في هذا الكتاب في حرف الميم إن شاء الله تعالى عن معنى قوله (سقى الله دوح الغوطتين ولا ارتوت * من الموصل الحدباء إلا قبورها) لم حرمها وخص قبورها فقال لأجل أبي تمام

18   وهذا البيت من قصيدة لابن عنين المذكور يمدح بها السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل بن أيوب وسيأتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى أولها (أشاقك من عليا دمشق قصورها * وولدان أرض النيربين وحورها) وهي من أحسن قصائده ورثاه الحسن بن وهب بقوله (فجع القريض بخاتم الشعراء * وغدير روضتها حبيب الطائي) (ماتا معا فتجاورا في حفرة * وكذاك كانا قبل في الأحياء) وقيل إن هذين البيتين لديك الحسن رثى بهما أبا تمام والله أعلم ورثاه الحسن أيضاً بقوله من قصيدة (سقى بالموصل القبر الغريبا * سحائب ينتحبن له نحيبا) (إذا أظللنه أظللن فيه * شعيب المزن يتبعها شعيبا) (ولطمن البروق به خدودا * وشققن الرعود به جيوبا) (فإن تراب ذاك القبر يحوي * حبيبا كان يدعى لي حبيبا) ورثاه محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم بقوله وهو يومئذ وزير وقيل إنهما لأبي الزبرقان عبد الله بن

الزبرقان الكاتب مولى بني أمية (نبأ أتى من أعظم الأنباء * لما ألم مقلقل الأحشاء) (قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم * ناشدتكم لا تجعلوه الطائي)
19 ولأبي تمام المذكور (لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه * لظل يلثم منه موطىء القدم) وللبحتري أيضا في هذا المعنى (ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لسعى إليك المنبر) ولما سار المأمون إلى بلاد الشام يريد غزو الروم مدحه أبو تمام بقصيدتين فلم يجد من يوصلهما إليه وذلك قبل قدوم أبي تمام العراق ثم صار إلى العراق في خلافة المعتصم فمن ذلك قوله في المأمون قصيدة قال فيها (ثم انبرت أيام هجر أردفت * نحوي أسى فكأنها أعوام) (ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام) فأخذها حتى بلغ فيها (اتضعضعت عبرات عينك أن دعت * ورقاء حين تضعضع الإظلام) (لا تشجين لها فإن بكاءها * ضحك وإن بكاءك استغرام) (هن الحمام فإن كسرت عيافة * من حائهن فإنهن حمام) حكي عن يموت بن المزرع قال كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره أو غلمانه أن يمضوا به إلى المسجد فلا يفارقوه أمر يصلي مائة ركعة فكان هذا دأبه قال فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون فأتاه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل فاستأذنه في النشيد فقا له عرفت الشرط قال نعم فأنشده (أردنا في أبي حسن مديحا * كما بالمدح تنتجع الولاة)

20 (فقلنا أكرم الثقلين طرا * ومن كفيه دجلة والفرات) (فقالوا يقبل المدحات لكن * جوايزه عليهن الصلاة) (فقلت لهم وما يغني عيالي * صلاتي إنما الشأن الزكاة) (فيأمرني بكسر الصاد منه * فتصبح لي الصلاة هي الصلات) فضحك ابن المدبر وقال من أين أخذت هذا ومن أين وقع لك فقال أخذته من قول أبي تمام (هن الحمام فإن كسرت عيافة *) قال فأعجبه صدقه ووصله ومن قصيدته الأخرى التي مدح بها المأمون التي أولها (كشف الغطاء فأوقدي أو أخمدي *) ويقول فيها (أولي أمة أحمد ما أحمد * بمضيع ما أوليت أمة أحمد) (أما الهدى فقد اقتدحت بزنده * للعالمين فويل من لا يهتدي) حدث الصولي عن محمد بن يحيى قال حدثني يحيى بن علي قال كان محمد ابن القاسم بن مهرويه يقدم دعبلا على أبي تمام فقلت له بأي شيء قدمته فلم يأت بمقنع فجعلت أنشده محاسنهما فإذا محاسن أبي تمام أكثر وأطرز وإذا عيوب دعبل أعظم وأفحش فأقام على رأيه وتعصبه لدعبل فقلت (يا أبا جعفر أتحكم في الشعر * وما فيك آلة الحكام) (إن نقد الدينار إلا على الصيرف * صعب فكيف نقد الكلام) (قد رأيناك ليس تفرق في الأشعار * بين الأرواح والأجسام) (إنما يعرف العتيق من المحدث * قين في وقت عرض الحسام) (لا تقس دعبلا إذن بحبيب * ليس خف البعير مثل السنام)

21 قال عبد الله بن المعتز جاءني محمد بن يزيد النحوي فجرى ذكر أبي تمام فلم يوفه حقه فقال له رجل من الكتاب كان في المجلس ما رأيت أحدا أحفظ لشعر أبي تمام منه يا أبا العباس ضع يدك على من شئت من الشعراء ثم انظر أيحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي يعتذر إليه (لعمري لقد أقوت مغانيكم بعدي * ومحت كما محت وشائع من برد) (وأنجدتم من بعد إتهام داركم * فيا دمع أنجدني على ساكني نجد) ثم مر فيها حتى إلى قوله في الاعتذار (أتاني مع الركبان ظن ظننته * لففت له رأسي حياء من المجد) (كريم متى أمدحه والورى * معي ومتى ما لمته لمته وحدي) حدث الصولي قال كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه كأنه قد علم ما يقول فأعد جوابه فقال له رجل يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يعرف فقال وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال فأفحمه وكان الذي قال له هذا أبو سعيد الضرير بخراسان وكان هذا من علماء الناس وكان متصلا بالطاهرية قال علي بن محمد بن عبد الكريم لما صار إلينا أبو تمام مقدمه من مصر عمل قصيدته التي أولها (أرامة كنت مألف كل ريم *) فاتصل خبرها بعتبة بن عصيم الذي يهجوه أبو تمام وهو كلبي من قضاعة وكان أديبا شاعرا فأحب أن يسمع هذه القصيدة من أبي تمام فقال لمن حضر ايتوني به فجاءوا به فأنشده إياها فلما فرغ قال أحسنت يا غلام على

صغر سنك فسكت أبو تمام وقال يا عم أنشدني من شعرك فأنشده قصيدة فلما فرغ قال يا عم ما أحسنت على كبر سنك فقال عتبة لبني عبد الكريم أخرجوا هذا من بلدنا فليس يصلح أن يقيم في بلدنا

22 قال الصولي ومن باب الجود قول أبي تمام (بيمن أبي إسحاق طالت يد الهدى * وقامت قناة الدين واشتد كاهله) (هو البحر من أي النواحي أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله) (تعود بسط الكف حتى لو أنه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله) وللبحتري في هذا المعنى (لا يتعب النائل المبذول همته * وكيف يتعب عين الناظر النظر) وهذان البيتان لا غاية وراءهما قال ابن أبي دواد لأبي تمام إن لك أبياتا أنشدتها فلو قلتها زاهدا أو معتبرا أو حاثا على طاعة الله تعالى لكنت قد أحسنت وبالغت فأنشدنيها قال ما هي قال التي قافيتها فأدخلها فأنشده (ما لي أرى الحجرة الفيحاء مقفلة * عني وقد طال ما استفتحت مقفلها) (كأنها جنة الفردوس معرضة * وليس لي عمل زاك فأدخلها) حدث الصولي قال دخل أبو تمام على أحمد بن أبي داود فقال له ما أحسن هذا فمن أين أخذته قال من قول الحاذق في الفضل بن الربيع (وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد) وحدث الصولي عن الحسن بن وهب قال لما أدخل المازيار على المعتصم وكان عليه شديد الغيظ قيل له لا تعجل عليه فإن عنده أموالا جمة فأنشد بيت أبي تمام (إن الأسود أسود الغاب

همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب) ثم قتله
وكذلك جمال الدين بن رشيق أفتى ببيت المتنبي في
النصراني الذي سب
23 رسول الله أول ما ولي الملك الصالح مصر وهو
(لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على
جوانبه الدم) فعمل بمقتضاه وحدث علي بن يحيى بن
علي بن مهدي قال كان المنجمون حكموا لما خرج
المعتصم إلى الروم بأنه لا يرجع من وجهه فلما فتح ما
فتح وخرب عمورية في شهر رمضان سنة 223
وانصرف سالما قال أبو تمام (السيف أصدق أنباء من
الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب) (بيض الصفائح
لا سود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب) (
والعلم في شهب الأرماح لامعة * بين الخميسين لا في
السبعة الشهب) وقيل إنه كرر إنشاد هذه القصيدة ثلاثة
أيام فقال له المعتصم لم تجلو علينا عجوزك قال حتى
أستوفي مهرها يا أمير المؤمنين فأمر له بمائة وسبعين
ألف درهم عن كل بيت منها ألف قال الحسن بن وهب
دخل أبو تمام على محمد بن عبد الملك الزيات فأنشده
قصيدته التي أولها (لهان علينا أن نقول وتفعلا *) فلما
بلغ إلي قوله (والله لا آتيك إلا فريضة * وآتي جميع
العالمين تنفلا) (وليس امرءا في الناس كنت سلاحه *
عشية يلقى الحادثات بأعزلا) فقال أما والله ما أحب
بمدحك مدح غيرك لتجويدك وإبداعك ولكن تنقص مدحك

ببذلك له لغير مستحقه فقال لسان العذر معقول وإن كان فصيحا ومر في القصيدة فأمر له بخمسة آلاف درهم وكتب إليه بعد ذلك (رأيتك سهل البيع سمحا وإنما * يغالي إذا ما ظن بالشيء بايعه)

24 (فأما الذي هانت بضائع بيعه * فيوشك أن تبقى عليه بضايعه) فأجابه أبو تمام (أبا جعفر إن كنت أصبحت تاجرا * أساهل في بيعي له من أبايعه) (فقد كنت قبلي شاعرا تاجرا به * تساهل من عادت عليك منافعه) قال الصولي لما كلم خالد بن يزيد ابن أبي دواد في أمر أبي تمام قال أبو تمام يشكره (لأشكرنك إن لم أوت من أجلي * شكرا يوافيك عني آخر الأبد) (وإن توردت من بحر البحور ندى * فلم أنل منه إلا غرفة بيدي) قال محمد بن يزيد النحوي خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد وهو بأرمينية فامتدحه فأمر له بعشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وأمره أن لا يقيم إن كان عازما على الخروج فودعه ومضت عليه أيام فركب يزيد ليتصيد فرآه تحت شجرة وقدامه زكرة فيها نبيذ وغلام بيده طنبور فقال حبيب قال خادمك وعبدك فقال له ما فعل المال فقال (علمني جودك السماح فما * أبقيت شيئا لدي من صلتك) (ما مر شهر حتى سمحت به * كأن لي قدرة كمقدرتك) (تنفق في اليوم بالهبات وفي * الساعة ما تجتبيه في سنتك) (فلست أدري من أين تنفق لولا * أن ربي يمد في هبتك) فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فأخذها

وانصرف ولأبي تمام وقد اعتل الياس صاحب عبد الله بن
طاهر (فإن يكن وصب قاسيت سورته * فالورد حلف
لليث الغابة الأضم)
25 (إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت * عيدان
نجد ولم يعبأن بالرتم) (بنات نعش ونعش لا كسوف لها
* والشمس والبدر منها الدهر في الرقم) (فليهنك الأجر
والنعمى التي سبغت * حتى جلت صدا آصمصامة الخذم
) (قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت * ويبتلي الله بعض
القوم بالنعم) قال محمد بن هبيرة النحوي حجب أبو تمام
عن إسحاق بن إبراهيم المصعبي فقال : (يا أيها الملك
المرجو نائله * وجوده لمراعي جوده كثب) (ليس
الحجاب بمقص عنك آمله * إن السماء ترجى حين
تحتجب) وقيل لأبي تمام قد هجاك مخلد الموصلي فلو
هجوته قال الهجاء يرفع منه إذ ليس هو شاعرا لم يكن من
الموصل يعني ان الموصل لا يخرج منها شاعر وكان
مخلد قد هجاه بقوله (يا نبي الله في الشعر * ويا عيسى
بن مريم) (أنت من أشعر خلق الله * ما لم تتكلم) وكان
لأبي تمام حبسة إذا تكلم قرأت في كتاب المستنير أن أبا
تمام والختعمي اجتمعا في مجلس أنس فقام أبو تمام إلى
الخلاء فقال له الختعمي ندخلك قال نعم وأخرجك فتعجب
الحاضرون من هذا الابتداء البديع والجواب العجيب
وكان لأبي تمام صديق قليل البضاعة في الشرب يسكر
من قدحين فكتب إليه يوما يدعوه إن رأيت أن تنام عندنا

فافعل ودخل على جعفر بن سليمان يعزيه بأخيه محمد بن سليمان وقد كان جزع عليه جزعا عظيما فقال جعفر حين رآه إن يكن عند أحد فرج فعند حبيب

26   فلما سلم قال أيها الأمير التمس ثواب الله بحسن الجزاء والتسليم لأمر الله واذكر مصيبتك في نفسك تنسك مصيبتك في غيرك والسلام ومحاسن حبيب كثيرة

وجاسم بفتح الجيم وبعد الألف سين مهملة مكسورة ثم ميم وأما النسب فهو مشهور فلا حاجة إلى ضبطه والجيدور بفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الدال المهملة وسكون الواو وبعدها راء وهو إقليم من عمل دمشق يجاور الجولان والطائي منسوب إلى طيىء القبيلة المشهورة وهذه النسبة على خلاف القياس فإن قياسها طيئي لكن باب النسب يحتمل التغيير كما قالوا في النسبة إلى الدهر دهري وإلى سهل سهلي بضم أولهما وكذلك غيرهما 148 حاتم الأصم   حاتم بن عنوان الأصم من أهل بلخ كان أوحد من عرف بالزهد والتقلل واشتهر بالورع والتقشف وله كلام يدون في الزهد والحكم واسند الحديث عن شقيق البلخي وشداد بن حكيم البلخي أيضا وروى عنه حمدان بن ذي النون ومحمد بن فارس البلخيان وقدم حاتم بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن حنبل واجتمع معه قيل لما دخل حاتم بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن حنبل اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل أعجمي

27 وليس يكلمك أحد إلا قطعته لأي معنى فقال حاتم
معي ثلاث خصال بها أظهر على خصمي قالوا أي شيء
هي قال أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن له إذا أخطأ
وأخفض نفسي لا تتجاهل عليه فبلغ ذلك أحمد بن حنبل
فقال سبحان الله ما أعقله من رجل وقال أبو جعفر
الهروي كنت مع حاتم كرة وقد أراد الحج فلما وصل إلى
بغداد قال يا أبا جعفر أحب أن ألقى أحمد بن حنبل فسألنا
عن منزله ومضينا إليه فطرقت عليه الباب فلما خرج قلت
يا أبا عبد الله أخوك حاتم قال فسلم عليه ورحب به وقال
بعد بشاشته به أخبرني يا حاتم فيم أتخلص من الناس قال
يا أبا عبد الله في ثلاث خصال قال وما هي قال أن تعطيهم
مالك ولا تأخذ من مالهم شيئا قال وتقضي حقوقهم ولا
تستقضي منهم حقا قال وتحمل مكروههم ولا تكره واحدا
منهم على شيء قال فأطرق أحمد ينكت بإصبعه الأرض
ثم رفع رأسه وقال يا حاتم إنها لشديدة فقال له حاتم وليتك
تسلم وليتك تسلم وليتك تسلم وقال رجل لحاتم على أي
شيء بنيت أمرك قال على أربع خصال على أن لا أخرج
من الدنيا حتى أستكمل رزقي وعلى أن رزقي لا يأكله
غيري وعلى أن أجلي لا أدري متى هو وعلى أن لا أغيب
عن الله طرفة عين وقال لو أن صاحب خبر جلس إليك
ليكتب كلامك لاحترزت منه وكلامك يعرض على الله فلا
تحترز منه وقال رجل لحاتم الأصم بلغني أنك تجوز
المفاوز من غير زاد فقال حاتم بل أجوزها بالزاد وإنما

زادي فيها أربعة أشياء قال وما هي قال أرى الدنيا كلها ملكا لله وأرى الخلق كلهم عباد الله وعياله والأسباب والأرزاق بيد الله وأرى قضاء الله نافذا في كل أرض لله فقال له الرجل نعم الزاد زادك يا حاتم أنت تجوز به مغاوز الآخرة وقال حاتم جعلت على نفسي إن قدمت مكة أن أطوف حتى انقطع وأصلي حتى أنقطع وأتصدق بجميع ما معي فلما قدمت مكة صليت حتى انقطعت وطفت كذلك فقويت على هاتين الخصلتين ولم أقو على الأخرى

28 قال كنت أخرج من ها هنا ويجيء من ها هنا

وقال حاتم وقع الثلج ببلخ فمكثت في بيتي ثلاثة ومعي أصحابي فقلت يخبرني كل رجل منكم بهمته قال فأخبروني فإذا ليس فيهم أحد لا يريد إلا أن يتوب من تلك الهمة قال فقالوا لي همتك أنت يا أبا عبد الرحمن قال قلت ما همتي إلا شفقة على إنسان يريد أن يحمل رزقي في هذا الطين قال وإذا رجل قد جاء ومعه جراب خبز وقد زلق فابتلت ثيابه بطين وقال يا أبا عبد الرحمن خذ هذا الخبز قال حاتم خرجت في سفر ومعي زاد فنفد زادي في وسط البرية فكان قلبي في السفر والحضر واحدا قيل لحاتم من أين تأكل فقال (^ ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون) وقال لي أربع نسوة وتسعة من الأولاد فما طمع الشيطان أن يوسوس إلي في شيء من أرزاقهم وقال حاتم لقينا الترك فكان بيننا جولة فرماني تركي بوهق فأقلبني عن فرسي ونزل عن دابته وقعد على

صدري وأخذ بلحيتي هذه الوافرة وأخرج من خفه سكينا ليذبحني بها فوحق سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه إنما كان قلبي عند سيدي فأنظر ماذا ينزل به القضاء فقلت يا سيدي قضيت علي أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين أنا لك وملكك فبينما أنا أخاطب سيدي وهو قاعد على صدري آخذ بلحيتي إذ رماه المسلمون بسهم فما أخطأ حلقه فسقط عني فقمت أنا إليه وأخذت السكين من يده وذبحته فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الاباء والأمهات وقال أبو بكر الوراق حاتم الأصم لقمان هذه الأمة قيل جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة فاتفق أن خرج منها في تلك الحالة صوت فخجلت فقال لها حاتم ارفعي صوتك وأرى من نفسه أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الصمم وجاء إليه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أي شيء رأس الزهد ووسط
الزهد وآخر الزهد فقال حاتم رأس الزهد الثقة 29
بالله ووسطه الصبر وآخره الخلاص رحمه الله تعالى 149
الحجاج بن يوسف أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي وهو ثقيف ذكره ابن الكلبي في جمهرة النسب وقال فولد منبه بن النبيت قسيا وهو ثقيف فيما يقال والله أعلم فمن ينسب ثقيفا إلى إياد فهذا هو نسبهم ومن نسبهم إلى قيس فيقول

قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ويقولون كانت أم قسي
أميمة بنت سعد بن هذيل عند منبه بن النبيت فتزوجها منبه
بن بكر فجاءت بقسي معها من الإيادي والله أعلم الثقفي
عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان فلما
توفي عبد الملك وتولى الوليد أبقاه على ما بيده وقال
المسعودي في كتاب مروج الذهب إن أم الحجاج الفارعة
بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي كانت تحت الحارث
بن كلدة الثقفي الطائفي حكيم العرب فدخل عليها مرة
سحرا فوجدها تتخلل فبعث إليها بطلاقها فقالت لم بعثت
إلي بطلاقي هل لشيء رابك مني قال نعم
30 دخلت عليك في السحر وأنت تتخللين فإن كنت
بادرت الغداء فأنت شرهة وإن كنت بت والطعام بين
أسنانك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن لكني تخللت من
شظايا السواك فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل الثقفي
فولدت له الحجاج مشوها لا دبر له فنقب عن دبره وأبى
أن يقبل ثدي أمه أو غيرها فأعياهم أمره فيقال إن الشيطان
تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة المقدم ذكره فقال
ما خبركم قالوا بني ولد ليوسف من الفارعة وقد أبى أن
يقبل ثدي أمه فقال اذبحوا جديا أسود وأولغوه دمه فإذا كان
في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك فإذا كان اليوم الثالث
فاذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه ثم اذبحوا له أسود
سالخا فأولغوه دمه واطلوا به وجهه فإنه يقبل الثدي في
اليوم الرابع قال ففعلوا به ذلك فكان لا يصبر عن سفك

الدماء لما كان منه في أول أمره وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره وذكر ابن عبد ربه في العقد أن الفارعة المذكورة كانت زوجة المغيرة ابن شعبة وأنه هو الذي طلقها لأجل الحكاية المذكورة في التخلل وذكر أيضا أن الحجاج وأباه كانا يعلمان الصبيان بالطائف ثم لحق الحجاج بروح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته إلى أن رأى عبد الملك انحلال عسكره وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله فشكا ذلك إلى روح بن زنباع فقال له إن في شرطتي رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحل الناس برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج ابن يوسف قال فإنا قد قلدناه ذلك فكان لا يقدر أحد أن يتخلف عن الرحيل والنزول إلا أعوان روح بن زنباع فوقف عليهم يوما وقد أرحل الناس وهم على طعام يأكلون فقال لهم ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين قالوا له انزل يا ابن اللخناء فكل معنا قال لهم هيهات

31 ذهب ما هنالك ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وأمر بفساطيط روح فأحرقت بالنار فدخل روح على عبد الملك باكيا وقال يا أمير المؤمنين إن الحجاج الذي كان في شرطتي ضرب غلماني وأحرق فساطيطي قال علي به فلما دخل عليه قال له ما حملك على ما فعلت قال أنا ما فعلت قال ومن فعل قال أنت فعلت

إنما يدي يدك وسوطي سوطك وما على أمير المومنين أن يخلف لروح عوض الفسطاط فسطاطين وعوض الغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدمني له فأخلف لروح ما ذهب له وتقدم الحجاج في منزلته وكان ذلك أول ما عرف من كفايته وكان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها ويقال إن زياد ابن أبيه أراد أن يتشبه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ضبط الأمور والحزم والصرامة وإقامة السياسات إلا أنه أسرف وتجاوز الحد وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمر وخطب يوما فقال في أثناء كلامه أيها الناس إن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله فقام إليه رجل فقال ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأقل حياءك فأمر به فحبس فلما نزل عن المنبر دعا به فقال له لقد اجترأت علي فقال له أتجترىء على الله فلا ننكره ونجترىء عليك فتنكره فخلى سبيله وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه تلقيح فهوم أهل الأثر أن الفارعة أم الحجاج هي المتمنية ولما تمنت كانت تحت المغيرة بن شعبة وقص قصتها ونذكرها مختصرة وهي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه طاف ليلة في المدينة فسمع امرأة تنشد في خدرها (هل من سبيل إلى خمر فأشربها * أم من سبيل إلي نصر بن حجاج) فقال عمر رضي الله عنه لا أرى معي في المدينة رجلا تهتف به العواتق في

خدورهن علي بنصر بن حجاج فأتي به فإذا هو أحسن الناس وجها

32 وأحسنهم شعرا فقال عمر رضي الله عنه عزيمة من أمير المومنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج له وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال اعتم فاعتم ففتن الناس بعينيه فقال عمر رضي الله عنه والله لا تساكنني ببلدة أنا فيها قال يا أمير المؤمنين ما ذنبي قال هو ما أقول لك وسيره إلى البصرة هذه خلاصة القصة وبقيتها لا حاجة إلى ذكره ونصر المذكور ابن حجاج بن علاط السلمي وأبوه صحابي رضي الله عنه وقيل إن المتمنية هي جدة الحجاج أم أبيه وهي كنانية وحكى أبو أحمد العسكري في كتاب التصحيف أن الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفا وأربعين سنة إلى إيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفرادا وأزواجا وخالف بين أماكنها فغبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون إلا منقوطا فكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف فأحدثوا الإعجام فكانوا يتبعون النقط والإعجام فإذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توف حقوقها اعترى التصحيف فالتمسوا حيلة فلم يقدروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين حكى القاضي أبو الفرج المعافى في كتاب

الجليس والأنيس قال لما أراد الحجاج بن يوسف الخروج من البصرة إلى مكة شرفها الله تعالى خطب الناس فقال يا أهل البصرة إني أريد الخروج إلى مكة وقد استخلفت عليكم محمدا ابني وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله في الأنصار فإنه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ألا وإني قد أوصيته فيكم أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا وإنكم قائلون بعدي كلمة ليس يمنعكم من إظهارها إلا الخوف لا أحسن الله له الصحابة وإني معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة

33 قال أبو العباس المبرد في إسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثي قال بينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ أتانا آت فقال هذا الحجاج ابن يوسف قد قدم أميرا على العراق فإذا به قد دخل المسجد متعمما بعمامة غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق قال عمير بن ضابىء البرجمي ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني) ثم قال والله يا أهل الكوفة والعراق

إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى وإن أمير المؤمنين نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بين لأنكم طال ما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل فإنكم لكأهل (^ قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) والله إني ما أقول إلا وفيت ولا اهم إلا امضيت ولا أخلق إلا فريت وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المومنين إلى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد شيئا فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال يسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئا هذا أدب ابن نهية أما والله لاؤدبنكم
34 غير هذا الأدب أو لتستقيمن اقرأ عليهم يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم لم يبق أحد في المسجد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال أيها الأمير إني من الضعف على ما

ترى ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني أفتقبله بدلا مني
فقال الحجاج نفعل أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل اتدري
من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عمير بن ضابىء
البرجمي الذي يقول أبوه في عثمان بن عفان (هممت ولم
أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله)
ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا فوطىء بطنه فكسر
ضلعين من أضلاعه فقال ردوه فلما رد قال له الحجاج
أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان رحمه الله
تعالى بديلا يوم الدار إن في قتلك أيها الشيخ لصلاحا
للمسلمين يا حرسي اضربن عنقه فجعل الرجل يضيق
عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ففي ذلك
يقول عبد الله بن الزبير الأسدي (تجهز فإما أن تزور ابن
ضابىء * عميرا وإما أن تزور المهلبا) وكان من قصة
عمير بن ضابىء أن أباه ضابىء بن الحارث البرجمي
وجب عليه حبس عند عثمان بن عفان رضي الله عنه
وأدب وذلك أنه كان استعار كلبا من قوم فأعاروه إياه ثم
طلبوه منه وكان فحاشا فرمى أمهم به فقال في بعض
كلامه (فأمكم لا تتركوها وكلبكم * فإن عقوق الوالدات
كبير) فاضطغن على عثمان رضي الله عنه ما فعل فلما
دعي ليؤدب شد سكينا في ساقه ليقتل بها عثمان رحمه الله
فعثر عليه فأحسن أدبه ففي ذلك يقول هممتولم أفعل
35 ولما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير
الجماجم وإعطاء الأموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه أما

بعد فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذير الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين لأحد من الناس وقد حكم عليك في الدماء في الخطأ بالدية وفي العمد بالقود وفي الأموال بردها إلى موضعها ثم العمل فيها برأيه وإنما أمير المؤمنين أمين الله وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل فإن كنت أردت الناس لك فما أغناهم عنك وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك من أمير المؤمنين لين وشدة فلا يؤنسك إلا الطاعة ولا يوحشنك إلا المعصية وظن بأمير المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطأ وإذا أعطاك الله الظفر بقوم فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب في أسفل كتابه (إذا أنت لم تترك أمورا كرهتها * طلبت رضاي بالذي أنت طالبه) (وتخشى الذي يخشاه مثلك هاربا * إلي فها قد ضيع الدر حالبه) (وإن تر مني غفلة قرشية * فيا ربما قد غص بالماء شاربه) (وإن تر مني وثبة أموية * فهذا وهذا كله أنا صاحبه) (فلا تأمنني والحوادث جمة * فإنك مجزى بالذي أنت كاسبه) (ولا تعد ما يأتيك مني وإن تعد * يقوم بها يوم عليك نوادبه) (ولا ترفعن للناس حقا علمته * ولا تغضبن فاللين للناس جانبه) فأجابه الحجاج أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المومنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري للأموال ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهله وما قضيت في أهل الطاعة ما استحقوه فإن كان قتلي اولئك العصاة سرفا وإعطائي

اولئك المطيعين تبذيرا فليسوغني أمير المؤمنين ما سلف وليجد لي حدا أنتهي إليه إن شاء الله تعالى ولا قوة إلا بالله ووالله ما سلبت نعمة إلا بكفرها ولا تمت إلا بشكرها ولا أصبت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم فأقاد بهم ولا أعطيت إلا لك ولا قتلت إلا فيك وأما ما أتاني من أمريك فأبينهما عزة أعظمهما محنة

36 وقد عبأت للعزة الجلاد وللمحنة الصبر وكتب في أسفل كتابه (إذا أنا لم أبغ رضاك وأتقي * أذاك فيومي لا تزول كواكبه) (وما لامرىء بعد الخليفة جنة * تقيه من الأمر الذي هو كاسبه) (أسالم من سالمت من ذي هوادة * ومن لم تسالمه فإني محاربه) (إذا قارف الحجاج منك خطيئة * فقامت عليه في الصباح نوادبه) (إذا أنا لم أدن الشفيق لصنعه * وأقص الذي تسري إلي عقاربه) (فقف لي على حد الرضى لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه) (وإلا فدعني والأمور فإنني * شفيق رقيق أهلته تجاربه) فلما قرأ عبد الملك كتابه قال خاف أبو محمد صولتي ولن أعود إلى ما يكره وذكر حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسه ايتني بمحدث من المسجد فأتاه بسبرة بن الجعد فدخل وسلم بلسان ذلق وقلب شديد فقال له الحجاج ممن الرجل قال من بني شيبان قال ما اسمك قال سبرة بن الجعد قال يا سبرة قرأت القرآن قال قد جمعته في صدري فإن عملت به فقد حفظته وإن خالفته فقد ضيعته فاتخذه

الحجاج سميرا فما كان يتطلب شيئا من الحديث إلا وجد عنده منه وكان يرى رأي الخوارج وكان من أصحاب قطري بن الفجاءة المزني التميمي والفجاءة أمه وكانت من بني شيبان وإنما هو رجل من تميم وكان قطري يومئذ يحارب المهلب فبلغ قطريا ما كان من سبره مع الحجاج فكتب إليه من جملة قصيدة (لشتان ما بين ابن جعد وبيننا *) فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطري وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج إلا وكتاب فيه شعر قطري الذي كان كتب به

37 إليه وفي أسفل الكتاب أبيات من جملتها (فمن مبلغ الحجاج أن سميره * قلى كل دين غير دين الخوارج) فطرح الكتاب إلى عنبسة بن سعيد وقال هذا من سميري الشيباني وهو خارجي ولا نعلم به قال القاضي أبو الفرج المعافى حدث العتبي قال كانت امرأة من الخوارج يقال لها فراشة وكانت ذات نية في رأي الخوارج تجهز أصحاب البصائر ولم يظفر بها وكان الحجاج يدعو الله أن يمكنه منها أو من بعض من جهزته فراشة فمكث ما شاء الله ثم جيء برجل فقيل له هذا ممن جهزته فراشة فخر ساجدا ثم رفع رأسه فقال يا عدو الله قال أنت أولى بها يا حجاج قال أين فراشة قال مرت تطير منذ ثلاث قال أين تطير قال ما بين السماء والأرض قال أعن تلك سألتك عليك لعنة الله قال عن تلك أخبرتك عليك غضب الله قال سألتك عن المرأة التي جهزتك وأصحابك قال وما تصنع

بها قال أضرب عنقها قال ويلك يا حجاج ما أجهلك أدلك وأنت عدو الله على من هو ولي الله لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين قال فما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك قال على ذلك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين قال ولم لا أم لك قال إنه أخطأ خطيئة طبقت ما بين السماء والأرض قال وما هي قال استعماله إياك على رقاب المسلمين فقال لجلسائه ما رأيكم فيه قالوا نرى أن تقتله قتلة لم يقتل مثلها أحد قال ويحك يا حجاج جلساء أخيك أحسن مجالسة من جلسائك قال وأي أخوي تريد قال فرعون حين شاور في موسى فقالوا ارجئه وأخاه وأشار هؤلاء عليك بقتلي قال فهل جمعت القرآن قال ما كان مفرقا فأجمعه قال اقرأته ظاهرا قال معاذ الله بل قرأته وأنا أنظر إليه قال فكيف تراك تلقى الله إن قتلتك قال ألقاه بعملي وتلقاه بدمي قال إذن أعجلك إلى النار قال لو علمت أن ذلك إليك أحسنت عبادتك واتقيت عذابك ولم أبغ خلافك ومناقضتك قابل إني قاتلك قال إذن

38 أخاصمك لأن الحكم يومئذ إلى غيرك قال نقمعك عن الكلام السيء يا حرسي اضرب عنقه واوما إلى السياف ألا تقتله فجعل يأتيه من بين يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف فلما طال ذلك رشح جبينه قال جزعت من الموت يا عدو الله قال لا يا فاسق ولكن ابطأت علي بما فيه راحة قال يا حرسي أوجب جرحه فلما أحس بالسيف قال لا إله إلا الله والله لقد أتمها ورأسه في الأرض

وقال القاضي لما حمل الأسرى إلى الحجاج وهو حينئذ بواسط القصب قبل أن يبني مدينة واسط قال لحاجبه قدم إلي سيدهم فيروز بن الحصين فقال له الحجاج أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء قال فتنة عمت الناس فقال اكتب لي أموالك قال ثم ماذا قال اكتبها أولا قال ثم أنا آمن على دمي قال اكتبها ثم أنظر قال اكتب يا غلام ألف ألفي ألف حتى ذكر مالا كثيرا فقال الحجاج أين هي وعند من هي قال لا والله لا جمعت بين مالي ودمي فأمر الحجاج فعذب بأنواع العذاب وكان من جملة ما عذب به أن يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ثم يجر حتى يجرح جسده ثم ينضح عليه الخل والملح فلما أحس بالموت قال إن الناس لا تشكن أني قتلت ولي ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى إليكم أبدا فأظهروني للناس ليعلموا أني حي فيؤدوا المال فأخرج فصاح في الناس من عرفني فقد عرفني أنا فيروز إن لي عند أقوام مالا فمن كان لي عنده شيء فهو له وهو منه في حل فلا يؤدين أحد منه درهما ليبلغ الشاهد الغائب فأمر به الحجاج فقتل وجلس الحجاج يوما لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس فقام رجل منهم فقال أصلح الله الأمير إن لي عليك حقا قال وما حقك قال سبك عبد الرحمن يوما فرددت عليه فقال من يعلم ذلك قال أنشد الله رجلا سمع ذلك إلا شهد به فقام رجل من الأسرى فقال قد كان ذاك أيها الأمير قال خلوا عنه ثم قال للشاهد

فما منعك أن تنكر كما أنكر قال لقديم بغضني إياك قال ولنخل عنه لصدقه

39 قال أبو الحسن المدائني لما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث جلس لضرب أعناقهم عامة النهار فأتي آخرهم برجل من بني تميم قال له والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا في الذنب لما أحسنت في العقوبة فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما فيها رجل يحسن مثل هذا وعفا عنه ولما حضر الشعبي بين يدي الحجاج سلم بالإمرة ثم قال أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك لغير ما يعلم الله أنه الحق وايم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقا قد والله خرجنا عليك واجتهدنا كل الجهد فما ألونا فما كنا بالفجرة الأقوياء ولا البررة الأتقياء ولقد نصرك الله علينا وظفرك بنا فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إلينا أيدينا وإن عفوت عنا فبحلمك وبعد الحجة لك علينا فقال له الحجاج أنت والله أحب إلي ممن يدخل علي يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت وما شهدت قد أمنت عندنا يا شعبي فانصرف وقال الشعبي سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد يقول أما بعد فإن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنك شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل وكان إبراهيم النخعي هاربا من الحجاج مدة أيامه ثم ظهر بعده فقيل له أين كنت قال بحيث يقول الشاعر (عوى الذئب

فاستأنست بالذئب إذ عوى * وصوت إنسان فكدت أطير)
وذكر الحسن بن محمد بن هلال الصابىء أن الحجاج
انفرد يوما عن عسكره فمر برجل يسقي ضيعة له فقال له
كيف حالكم مع أميركم فقال لعنه
40 الله المبيد المبير الحقود عجل الله الانتقام منه
فقال له تعرفني قال لا والله قال أنا الحجاج فرأى الرجل
أن دمه قد طاح فرفع عصا كانت معه وقال أتعرفني أنا
أبو ثور المجنون وهذا يوم صرعي وأزبد وأرغى وهاج
وأراد أن يضرب رأسه بالعصا فضحك منه وانصرف
وكان الحجاج كثيرا ما يسأل القراء فدخل عليه يوما رجل
فقال له ما قبل قوله تعالى (^ أمن هو قانت آناء الليل)
فقال (^ قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار) قال
فما سأل أحدا بعدها وخطب في يوم الجمعة فأطال
الخطبة فقام إليه رجل فقال إن الوقت لا ينتظرك والرب لا
يعذرك فأمر به إلى الحبس فأتاه آل الرجل فقالوا إنه
مجنون فقال إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليت سبيله فقال
الرجل لا والله لا أزعم انه ابتلاني وقد عافاني وممن
هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي وكان
يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج وهو الذي يقول (
تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت * به زينب في نسوة
عطرات) فلما أتي به الحجاج قال والله أيها الأمير إن قلت
إلا خيرا إنما قلت (يخضبن أطراف البنان من التقى *
ويخرجن شطر الليل معتجرات) قال فأخبرني عن قولك

(ولما رأت ركب النميري أعرضت * وكن من أن يلقينه
حذرات) ما كنتم قال كنت على حمار هزيل ومعي
صاحب على اتان مثله فعفا عنه لما قتل الحجاج عبد الله
بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء والعويل فأمر الحجاج
بالناس فجمعوا إلى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال يا أهل مكة بلغني بكاؤكم واستفظاعكم قتل
عبد الله بن الزبير ألا وإن ابن الزبير كان من أحبار هذه
الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها وخلع
41 طاعة الله واستكن إلى حرم الله ولو كان شيء
مانعا للقضاء لمنعت آدم حرمة الجنة لأن الله تعالى خلقه
بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته واباحه جنته
فلما كان منه ما كان أخرجه من الجنة بخطيئته وآدم أكرم
على الله من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة
فاذكروا الله يذكركم ونزل قال مالك بن دينار ربما سمعت
الحجاج يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم فوقع
في نفسي أنهم يظلمونه لبيانه وحسن تخلصه للحجج قال
القاضي المعافى بن زكريا في كتاب الجليس والأنيس
حدث الزبير ابن بكار عن الزهري قال لما ولي الحجاج
بن يوسف الحرمين بعد قتل عبد الله ابن الزبير استحضر
إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقربه في المنزلة فلم يزل
على حاله عنده حتى خرج إلى عبد الملك زائرا له فخرج
معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئا فلما
حضر باب عبد الملك حضر به معه فلما دخل على عبد

الملك لم يبدإ بشيء بعد السلام إلا أن قال قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز لم أدع له والله فيها نظيرا في كمال المروءة والأدب والرئاسة والديانة والستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة ووجوب الحق إبراهيم ابن طلحة بن عبيد الله وقد أحضرته بابك ليسهل عليه إذنك وتلقاه ببشرك وتفعل به ما يفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه فقال عبد الملك ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبة يا غلام ايذن لإبراهيم بن طلحة فلما دخل قربه حتى أجلسه على فراشه ثم قال له يا ابن طلحة إن أبا محمد أذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق فلا تدعن حاجة من خاص أمرك ولا عامة إلا ذكرتها قال يا أمير المؤمنين إن أولى الأمور أن تفتح بها الحوائج وترجى بها الزلف ما كان لله عز وجل رضى ولحق نبيه أداء ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة وإن عندي نصيحة لا أجد بدا من ذكرها ولا يكون البوح بها إلا وأنا خال فأخلني ترد عليك نصيحتي قال دون أبي محمد قال نعم قال قم يا حجاج فلما جاوز الستر قال قل يا ابن طلحة نصيحتك قال الله يا أمير المؤمنين قال الله قال إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعجرفه

42 وبعده عن الحق وركونه إلى الباطل فوليته الحرمين وفيهما من فيهما وبمها من بهما من المهاجرين والأنصار والموالي المنتسبة الأخيار أصحاب رسول الله

وأبناء الصحابة يسومهم الخسف ويقودهم العسف ويحكم فيهم بغير السنة ويطؤهم بطغام من أهل الشام ورعاع لا روية لهم في إقامة حق ولا إزاحة باطل ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك وبين رسول الله يخلصك إذا جاثاك للخصومة في أمته أما والله لا تنجو هناك إلا بحجة تضمن لك النجاة فأبق على نفسك أو دع فقد قال رسول الله كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فاستوى عبد الملك جالسا وكان متكئا فقال كذبت لعمر الله ومنت ولؤمت فيما جئت به قد ظن بك الحجاج ما لم يجده فيك وربما ظن الخير لغير أهله قم فأنت الكاذب المائن الحاسد قال فقمت والله ما أبصر طريقا فلما خلفت الستر لحقني لاحق من قبله فقال للحاجب احبس هذا الرجل وأدخل أبا محمد الحجاج فلبثت مليا وأنا لا أشك أنهما في أمري ثم خرج الآذن فقال قم يا ابن فادخل فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج فاعتنقني وقبل ما بين عيني ثم قال إذا جزى الله المتآخيين بفضل تواصلهما فجزاك الله أفضل ما جزى به أخا فوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرك ولأعلين كعبك ولأتبعن الرجال غبار قدميك قال فقلت يهزأ بي فلما وصلت إلى عبد الملك أدناني حتى أجلسني في مجلسي الأول ثم قال يا ابن طلحة لعل أحدا من الناس شاركك في نصيحتك قال قلت لا والله ولا أعلم أحدا كان أظهر عندي معروفا ولا أوضح يدا من الحجاج ولو كنت محابيا أحدا بديني لكان هو ولكني آثرت الله عز وجل

ورسوله والمسلمين ولو أردت الدنيا لكان لي في الحجاج أمل فقال قد علمت ذلك وقد أزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما وأعلمته أنك استنزلتيني له عنهما استصغارا ووليته العراقين لما هناك من الأمور التي لا يرحفها إلا مثله وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له عليهما استزادة له ليلزمه من ذمامك ما يؤدي به عني إليك أجر نصيحتك فاخرج معه فإنك غير ذام صحبته مع تقريطه إياك ويدك عنده قال

43 فخرجت علي هذه الجملة وروي عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني قال دفع إلي الحجاج ازارمرد ابن الهربذ وأمرني أن أستخرج منه وأغلظ عليه فلما انطلقت به قال لي يا محمد إن لك شرفا ودينا وإني لا أعطي على القسر شيئا وارفق بي قال ففعلت فأدى إلي في أسبوع خمسمائة ألف قال فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه فانتزعه من يدي ودفعه إلى رجل كان يتولى له العذاب فدق يديه ورجليه فلم يعطهم شيئا قال محمد بن المنتشر فإني لأمر يوما في السوق فإذا به معروضا على حمار مدقوق اليدين والرجلين فخفت الحجاج إن أتيته وتذممت فملت إليه فقال لي إنك وليت مني ما ولي هؤلاء فأحبست وإنهم صنعوا بي ما ترى ولم أعطهم شيئا وهاهنا خمسمائة ألف درهم عند فلان فخذها فهي لك قال فقلت ما كنت لآخذ منك على معروفي أجرا ولا لأرزأك على هذه الحال شيئا قال فأما إذا أتيت فاستمع أحدثك حدثني بعض

أهل دينك عن نبيك قال إذا رضي الله عن قوم أمطرهم
المطر في حينه وجعل المال عند سمحائهم واستعمل عليهم
خيارهم وإذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل
المال عند بخلائهم وأمطرهم المطر في غير حينه قال
فانصرفت فما وضعت ثوبي حتى أتاني رسول الحجاج
فأمرني بالمصير إليه فألفيته جالسا على فرشه والسيف
منتضى بين يديه فقال ادن فدنوت شيئا ثم قال ادن فدنوت
شيئا ثم صاح الثالثة ادن لا ابا لك فقلت والله ما بي إلى
الدنو من حاجة وفي يد الأمير ما أرى فأضحك الله سنه
وأغمد عني سيفه فقال لي اجلس ما كان من حديث الأمس
فقلت والله أيها الأمير ما غششتك منذ استنصحتني ولا
كذبتك منذ استخبرتني ولا خنتك منذ ائتمنتني ثم حدثته
الحديث فلما صرت إلى ذكر الرجل الذي عنده المال
أعرض عني بوجهه وأومأ إلي بيده ثم قال لا تتمه ثم قال
إن للخبيث نفسا وقد سمع الأحاديث ويقال كان الحجاج إذا
استغرب ضاحكا والى بين الاستغفار وإذا صعد المنبر
تلفع بمطرفه ثم تكلم رويدا فلا يكاد يسمع ثم يتزيد في
الكلام حتى يخرج
44 يده من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها من في
أقصى المسجد وكان يطعم كل يوم على ألف مائدة على
كل مائدة ثريد وطرف من شواء وسمكة طرية ويطاف به
في محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس وعلى كل
مائدة عشرة ثم يقول يا أهل الشام اكسروا الخبز لئلا يعود

عليكم وكان له ساقيان أحدهما يسقي الماء والعسل والآخر يسقي اللبن ولما دخل الحجاج إلى مكة اعتذر إلى أهلها لقلة ما وصلهم به فقال قائل منهم إنا والله لا نعذرك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين وذلك أن عروة بن مسعود ولده من قبل أمه والقريتان مكة والطائف أمر الحجاج ابن القرية أن يأتي هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين ويمتعها بعشرة آلاف درهم فأتاها فقال لها إن الحجاج يقول لك كنت فبنت وهذه عشرة آلاف درهم متعة لك فقالت قل له كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه الدراهم مشاركتك إياي بطلاقي ووفد الحجاج على الوليد بن عبد الملك في خلافته فوجده في بعض نزهه فاستقبله فلما رآه ترجل له وقبل يده وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية فقال له الوليد اركب أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين دعني أستكثر من الجهاد في خدمتك فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عنه فعزم عليه الوليد حتى ركب ودخل الوليد داره فتغلل في غلالة ثم أذن للحجاج فدخل في حاله تلك وأطال الجلوس عنده إذ جاءت جارية فساررته وانصرفت فقال الوليد للحجاج أتدري ما هذا أبا محمد قال لا والله قال بعثت ابنة عمي أم البنين بنت عبد العزيز تقول ما مجالستك هذا الأعرابي المستلئم في السلاح وأنت في غلالة فأرسل إليها إنه الحجاج فراعها ذلك وقالت والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما

المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ولا تطمعهن في غير أنفسهن ولا تشغلهن بأكثر من
45 زينتهن وإياك ومشاورتهن وأكثر من ذلك ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبزها بمقالة الحجاج فقالبت أحب ان تأمره غدا بالتسليم علي قال أفعل فلما غدا الحجاج على الوليد قال له يا أبا محمد صر الى أم البنين فسلم عليها فقال اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين قال لا بد منه فمضى الحجاج إليها فحجبته طويلا ثم أذنت له وتركته قائما ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت إيه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خليقته ما ابتلاك برمي الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين فأما ابن الأشعث فقد والله وإلى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت في أضيق من القرن فأظلتك رماحهم ولطالما نفض نساء أمير المؤمنين المسك عن غدائرهن وبعنه في الأسواق حتى أخرج في أوزاق البعوث إليك ولولا ذلك لكنت أذل من البقة وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع عن بلوغ أوطاره من نسائه فإنه غير قابل منك ولا مصغ الى نصيحتك فإن كن يفرجن عن مثلك فما أولاه بالقبول منك ثم قالت لجواريها أخرجوه عني فدخل على الوليد من فوره فقال يا أبا محمد ما كنت فيه قال والله يا

أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلي من ظهرها فضحك الوليد حتى فحص برجليه ثم قال يا أبا محمد انها ابنة عبد العزيز وقيل إن أم البنين المذكورة كانت تهوى وضاح اليمن الشاعر وكان جميلا وكانت ترسل إليه فيدخل إليها ويقين عندها وإذا خافت وارته في صندوق عندها وأقفلت عليه وهو القائل (حتام نكتم حزننا حتاما * وعلام نستبقي الدموع علاما) (يا رب أمتعني بطول بقائها * واجبر بها الأرمال والأيتاما) (قد أصبحت أم البنين مريضة * تخشى وتشفق أن يكون حماما) فدخل الخادم إليها مفاجأة فرأى وضاحا عندها فأدخلته الصندوق وأقفلت عليه فطلب منها الخادم حجرا نفيسا كان يعرفه عندها فمنعته إياه بخلا به

46 فمضى وأخبر الوليد بالحال فقالت له كذبت يا ابن الفاعلة ثم جاء الوليد إلى أم البنين فدخل وهي جالسة في ذلك البيت تمشط رأسها وكان الخادم قد وصف له الصندوق فجلس الوليد فوقه ثم قال يا أم البنين ما أحب هذا البيت إليك دون البيوت فلم اخترته قالت لأنه مجمع حوائجي كلها فأنا أتناولها منه من قريب فقال هبي لي صندوقا من هذه الصناديق فقالت كلها بحكمك يا أمير المؤمنين فقال إنما إريد واحدا منها فقالت خذ أيها شئت فقال هذا الصندوق الذي تحتي فقالت غيره أحب إليك منه فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها فقال ما أريد سواه فقالت خذه فدعا بالخدم وأمرهم بحمله حتى انتهى إلى مجلس فوضعه

فيه ثم دعا عبيدا له عجما وأمرهم بحفر بئر في المجلس فحفرت إلى الماء ثم دعا بالصندوق فوضعه على شفير البئر ودنا منه وقال يا صاحب الصندوق إنه بلغنا شيء إن كان حقا فقد دفناك ودفنا ذكرك إلى آخر الدهر وإن كان باطلا فإنما دفنا الخشب وما أهون ذلك ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط عليه فما رؤي الوضاح بعد ذلك اليوم ولا أبصرت أم البنين في وجه الوليد غضبا حتى فرق الموت بينهما وقيل حضر بساط الحجاج رجل تعين عليه القتل وحضر أهل القود بحضوره فلما فرش النطع وسل السيف اتفق أن ملأ عينه في حاله تلك فرأى بريق السيف ولمعان برق فاستنظر ثم أنشد مرتجلا (تألق البرق من نجد فقلت له * يا أيها البرق إني عنك مشغول) (يكفيك ما قد ترى من ثائر حنق * في كفه كصبيب الماء مسلول) فلما رأى الحجاج ما كان من حضور ذهنه وجودة شعره عطف عليه إشفاقا له وعرض على طالبيه أن يؤدي عنه ديته فجعلوا يأبون وجعل يتولج في تحليل القصة ويتدرج في تنفيس الدية حتى بذل لهم دية ملك فلما أبوا وعتوا قال لحرسه فكوا قيده وخلوا سبيله فإن من لم ينس أحبته في هذا المقام لجدير أن لا يقتل

47 وقيل أخذ الحجاج أعرابيا سرق فأمر بضربه فضرب فكلما ضربه بالسوط قال اللهم شكرا فأتاه ابن عم له وقال والله ما دعا الأمير إلى التمادي في ضربك إلا

لكثرة شكرك لأن الله تعالى يقول (^ ولئن شكرتم لأزيدنكم) فأمر بإطلاقه وحدث محمد بن القاسم الأنباري عن المدئني عن مولى لعنبسة بن سعيد بن العاص قال كنت أدخل مع عنبسة إذا دخل على الحجاج فدخل يوما ودخلت معه وليس عند الحجاج أحد غير عنسبة فقعدت فجيء الحجاج بطبق رطب فأخذ الخادم منه شيئا فجاءني به ثم جيء بطبق آخر فأتاني الخادم منه بشيء ثم جيء بطبق آخر حتى كثرت الأطباق وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءني منه بشيء حتى ظننت أن ما بين يدي أكثر ما عندهم ثم جاء الحاجب فقال امرأة بالباب فقال الحجاج أدخلها فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت فإذا امرأة حسنة الخلق ومعها جاريتان لها فإذا هي ليلى الأخيلية فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له فقال لها يا ليلى ما الذي أتى بك قالت إخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد فقال لها صفي لنا الفجاج فقالت الفجاج مغبرة والأرض مقشعرة والمبرك معتل وذو العيال مختل والهالك للقل والناس مسنتون رحمة الله يرجون قد أصابتنا سنون مجحفة مبلطة لم تدع لنا هبعا ولا ربعا ولا عافطة ولا نافطة أذهبت الأموال ومزقت الرجال وأهلكت العيال ثم قالت إني قلت في الأمير قولا قال هاتي فأنشأت تقول (
أحجاج لا يفلل سلاحك إنما المنايا * بكف الله حيث يراها

) (أحجاج لا تعطي العداة مناهم * و لا الله يعطي للعداة
مناها) (إذا نزل الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى
دائها فشفاها) (شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام
إذا هز القناة سقاها)
48 (سقاها فرواها بشرب سجاله * دماء رجال
حيث مال حشاها) (إذا سمع الحجاج ذكر كتيبة * أعد
لها قبل النزول قراها) (أعد لها مسمومة فارسية *
بأيدي رجال يحلبون صراها) (فما ولد الأبكار والعون
مثله * ببحر ولا أرض يجف ثراها) قال فلما قالت هذا
البيت قال الحجاج قاتلها الله والله ما أصاب صفتي شاعر
منذ دخلت العراق غيرها ثم التفت إلى عنسبة بن سعيد
فقال والله إني لأعد للأمر عسى أن لا يكون أبدا ثم التفت
إليها فقال حسبك ويحك ثم قال يا فلان اذهب بها إلى فلان
فقل له اقطع لسانها فأمر بإحضار حجام فقالت ثكلتك أمك
أما سمعت ما قال إنما أمرك بقطع لساني بالبر والصلة
فبعث إليه فاستشاط الحجاج غضبا وهم بقطع لسانه فقال
ارددها فلما دخلت عليه قالت كاد والله أيها الأمير يقطع
مقولي ثم أنشأت تقول (حجاج أنت الذي ما فوقه أحد *
إلا الخليفة والمستغفر الصمد) (حجاج أنت شهاب
الحرب إن لقحت * وأنت للناس نور في الدجى يقد) ثم
أقبل الحجاج على جلسائه فقال أتدرون من هذه قالوا لا
والله أيها الأمير إلا أننا لم نر امرأة قط أفصح منها لسانا
ولا أحسن محاورة ولا أملح وجها ولا أرصن شعرا منها

قال هذه ليلى الأخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها ثم التفت إليها فقال أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة فقالت نعم أيها الأمير هو الذي يقول (حمامة بطن الواديين ترنمي * سقاك من الغر الغوادي مطيرها) (أبيني لنا لا زال ريشك ناعما * ولا زلت في خضراء غض نضيرها) (وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت * فقد رابني منها الغداة سفورها) (يقول رجال لا يضيرك نأيها * بلى كل ما شف النفوس يضيرها) (بلى قد يضير العين أن تكثر البكا * ويمنع منها نومها وسرورها) (وقد زعمت ليلى بأني فاجر * لنفسي تقاها أو عليها فجورها)

49 فقال الحجاج يا ليلى ما رابه من سفورك قالت أيها الأمير كان يلم بي كثيرا فأرسل إلي آتيك ففطن الحي به فترصدوا له فلما أتاني سفرت فعلم أن ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع فقال لله درك هل رأيت منه شيئا تكرهينه قالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير أنه قال لي مرة قولا ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول (وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس إليها ما حييت سبيل) (لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل) لا والله الذي أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئا حتى فرق الموت بيننا قال ثم مه قالت ثم لم يلبث أن خرج في غزاة فأوصى ابن عمه إذا أتيت الحاضر من بني عبادة فناد بأعلى صوتك (عفا الله عنها هل أبيتن ليلة

* من الدهر لا يسري إلي خيالها) فخرجت وأنا أقول (
وعنه عفا ربي وأحسن حاله * فعز علينا حاجة لا ينالها)
قال ثم مه قالت ثم لم يلبث ان مات فأتى ناعيه قال فأنشدينا
بعض مراثيك فيه فأنشدته (لتبك العذارى من خفاجة
نسوة * بماء شؤون العبرة المتحدر) قال فأنشدينا قولك
فيه (كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن
الحصى بالكراكر) فأنشدته فلما فرغت من القصيدة قال
محصن الفقعسي وكان من جلساء الحجاج من هذا الذي
يقال هذا فيه فوالله إني لأظنها كاذبة فنظرت إليه ثم قالت
والله أيها الأمير إن هذا القائل لو رأى توبة لسره ألا يكون
في داره عذراء إلا وهي حامل منه فقال الحجاج هذا
وأبيك الجواب وقد
50 كنت عنه غنيا ثم قال لها سلي يا ليلى تعطي قال
أعط فمثلك أعطى فأحسن قال لك عشرون قالت زد فمثلك
زاد فأجمل قال لك أربعون قالت زد فمثلك زاد فأفضل قال
لك ستون قالت زد فمثلك زاد فأكمل قال لك ثمانون قالت
زد فمثلك زاد فتمم قال لك مائة واعلمي يا ليلى أنها غنم
قالت معاذ الله أيها الأمير أنت أجود جودا وأمجد مجدا
وأورى زندا من أن تجعلها غنما قال فما هي ويحك يا ليلى
قالت مائة ناقة برعائها فأمر لها بها ثم قال ألك حاجة
بعدها قالت نعم أيها الأمير تدفع إلي النابغة الجعدي في قيد
قال قد فعلت وقد كان يهجوها وتهجوه فبلغ ذلك النابغة
فخرج هاربا عائذا بعبد الملك بن مروان فاتبعته إلى الشام

فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فاتبعته على البريد
بكتاب الحجاج إلى قتيبة فماتت بقومس وقيل بحلوان
وكان الحجاج إذا سمع بنوح في دار هدمها فلما مات ابنه
وأخوه حن إلى النوح وكان يعجبه أن يسمعه وكان كثيرا
ما يتمثل بهذا البيت (هل ابنك إلا ابن من الناس فاصبري
* فلن يرجع الموتى حنين المآتم) وكان يتمثل بهذا البيت
أيضا وهو (فإن تحتسب تؤجر وإن تبكه تكن * كباكية لم
يحي ميتا بكاؤها) وبالجملة فأخبار الحجاج كثيرة
وشرحها يطول وهو الذي بنى مدينة واسط وكان شروعه
في بنائها في سنة أربع وثمانين للهجرة وفرغ منها في سنة
ست وثمانين وإنما سماها واسط لأنها بين البصرة والكوفة
فكأنها توسطت بين هذين المصرين وذكر ابن الجوزي في
كتاب شذور العقود المرتب علي السنين أنه فرغ من بنائها
في سنة ثمان وسبعين وكان قد ابتدأ من سنة خمس
وسبعين والله أعلم ولما حضرته الوفاة أحضر منجما فقال
له هل ترى في علمك ملكا يموت
قال نعم ولست هو فقال وكيف ذلك قال المنجم 51
لأن الذي يموت اسمه كليب فقال الحجاج أنا هو والله بذلك
كانت سمتني أمي فأوصى عتد ذلك ويشبه هذا قول
الداعي علي بن محمد بن علي الصليحي وسيأتي ذكره إن
شاء الله تعالى وهو الذي كان داعيا باليمن وملك البلاد
اليمنية كلها وقهر ملوكها حتى قدر الله انقضاء مدته فخرج
من صنعاء إلى مكة على عزم الحج في سنة ثلاث

وسبعين وأربعمائة حتى إذا كان بالمهجم ونزل بظاهرها بضيعة يقال لها أم الدهيم وبئر أم معبد أدركه فيها على حين غفلة سعيد بن نجاح الأحول الذي كان أبوه صاحب تهامة وقتله الصليحي وأخذ مملكته وهرب منه أولاده سعيد المذكور وإخوته وكان سعيد في قل ممن تابعه حتى دخل مخيم الصليحي والناس يعتقدون أنه من جملة العسكر وحواشيه فلم يشعر بأمرهم إلا عبد الله بن محمد أخو الصليحي فركب وقال لأخيه يا مولانا اركب فهو والله الأحول بن نجاح والعدد الذي جاءنا به كتاب أسعد بن شهاب البارحة من زبيد فقال الصليحي لأخيه طب نفسا فإني لا أموت إلا بالدهيم وبئر أم معبد معتقدا أنها أم معبد الخزاعية التي نزل بها رسول الله حين هاجر ومعه أبو بكر رضي الله عنه وهي بين مكة والمدينة مما يلي مكة بالقرب من الجحفة فقال له بعض أصحابه قاتل عن نفسك فوالله هذا هو بئر الدهيم بن عيسى وهذا المسجد موضع خيمة أم معبد بن الحارث العبسي فأدركه لما سمع ذلك زمع اليأس من الحياة فلم يرم مكانه وقتل لوقته هو وأخوه وأهله وملك سعيد الأحول عسكره وملكه وهذا سعيد الأحول هو أخو الملك جياش المشهور الفاضل وأبوه نجاح

52 الملك كان عبدا لمرجان الملك وكان عبدا لحسين بن سلامة مولى الأستاذ رشد الحبشي وكان الحسين ورشد قبله كل منهما هو صاحب الأمر والملك في المعنى وفي

الصورة كالوزير عن آخر ملوك بني زياد باليمن وهو طفل من أولاد أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد يقال له عبد الله وقيل إبراهيم وقيل زياد وهو الذي انقرضت دولتهم به على يد عبد يقال له قيس مولى مرجان المذكور وسببه أن الطفل المذكور لما مات أبوه أبو الجيش كفله مولاه مرجان المذكور وعمة للطفل وكان لمرجان عبدان أحدهما نجاح أبو سعيد والآخر قيس فغلبا على أمره وكان قيس يحكم بالحضرة ونجاح يتولى أعمال الكدراء والمهجم وأعمالا أخرى غيرها ووقع التنافس بين قيس ونجاح على وزارة الحضرة وكان قيس غشوما ظالما ونجاح رؤوفا عادلا فاتهم قيس عمة ابن زياد بالميل عليه إلى نجاح فقبض عليها وعلى ابن أخيها مرجان مولاه لأجل شكوى قيس إليه منهما وسلمهما إلى قيس فبنى عليهما حائطين وهما قائمان بالحياة يناشدانه الله أن لا يفعل فهلكا سنة سبع وأربعمائة ونمي ذلك إلى نجاح فسار للأخذ بثأرهما وحارب قيسا وجرت بينهما أمور أسفرت عن ظفر نجاح بقبسب وملكه الحضرة وقتل قيس في بعض الوقائع على باب زبيد ولما فتح نجاح زبيد وهي حضرة الملك يومئذ في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة قال لمرجان مولاه ما فعل مواليك وموالينا قال هم في ذلك الحائط فأخرجهما وصلى عليهما ودفنهما في مشهد بناه لهما وجعل مرجانا موضعهما وبنى عليه الحائط حتى هلك ومات نجاح المذكور بالسم بحيلة تمت عليه مع جارية

أهداها له الصليحي المذكور في الكدراء سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ولما مات نجاح كتب الصليحي في سنة ثلاث وخمسين إلى المستنصر صاحب مصر يستأمره في إظهار الدعوة لهم فأمره فخرج وكان منه ما كان والله أعلم وكان الحجاج ينشد في مرض موته هدين البيتين وهما لعبيد بن سفيان العكلي

53 (يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا * أيمانهم أنني من ساكني النار) (أيحلفون على عمياء ويحهم * ما ظنهم بقديم العفو غفار) وكتب إلى الوليد بن عبد الملك كتابا يخبره فيه بمرضه وكتب في آخره (إذا ما لقيت الله عني راضيا * فإن سرور النفس فيما هنالك) (فحسبي حياة الله من كل ميت * وحسبي بقاء الله من كل هالك) (لقد ذاق هذا الموت من كان قبلنا * ونحن نذوق الموت من بعد ذلك) وكان مرضه بالأكلة وقعت في بطنه ودعا بالطبيب لينظر إليها فأخذ لحما وعلقه في خيط وسرحه في حلقه وتركه ساعة ثم أخرجه وقد لصق به دود كثير وسلط الله تعالى عليه الزمهرير فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة نارا وتدنى منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها وشكا ما يجده إلى الحسن البصري رضي الله عنه فقال له قد كنت نهيتك ألا تتعرض إلى الصالحين فلججت فقال له يا حسن لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عني ولكني أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحي ولا يطيل عذابي فبكى الحسن بكاء شديدا وأقام الحجاج على

هذه الحالة بهذه العلة خمسة عشر يوما وتوفي في شهر رمضان وقيل في شوال سنة خمس وتسعين للهجرة وعمره ثلاث وقيل أربع وخمسون سنة وهو الأصح وقال الطبري في تاريخه الكبير توفي الحجاج يوم الجمعة لتسع بقين من شهر رمضان سنج خمس وتسعين وقال غير الطبري لما جاء موت الحجاج إلى حسن البصري سجد لله تعالى شكرا وقال اللهم إنك قد أمته فأمت عنا سنته وكانت وفاته بمدينة واسط ودفن بها وعفي قبره وأجري عليه الماء رحمه الله تعالى وسامحه وكان قد رأى في منامه أن عينيه قلعتا وكانت تحته هند بنت المهلب بن أبي صفرة الأزدي وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وهند بنت أسماء
54 خارجة فطلق الهندين اعتقادا منه أن رؤياه تتأول بهما فلم يلبث أن جاءه نعي أخيه محمد من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد فقال والله هذا تأويل رؤياي محمد ومحمد في يوم واحد إنا لله وإنا إليه راجعون ثم قال من يقول شعرا يسليني به فقال الفرزدق (إن الرزية لا رزية مثلها * فقدان مثل محمد ومحمد) (ملكان قد خلت المنابر منهما * أخذ الحمام عليهما بالمرصد) وكانت وفاة أخيه محمد لليال خلت من رجب سنة إحدى وتسعين للهجرة وهو والي اليمن فكتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج يعزيه فكتب الحجاج جوابه يا أمير المؤمنين ما التقيت أنا ومحمد منذ كذا وكذا سنة إلا عاما واحدا وما غاب عني غيبة أنا لقرب اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه

في دار لا يتفرق فيها مؤمنان ومعتب بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد التاء المثناة من فوقها وكسرها وبعدها الباء الموحدة والثقفي بفتح الثاء المثلثة والقاف وبعدها الفاء هذه النسبة إلى ثقيف وهي قبيلة كبيرة مشهورة بالطائف 150 حجاج بن أرطاة حجاج بن أرطاة أبو أرطاة النخعي الكوفي سمع عطاء بن أبي رباح وغيره وروى عنه الثوري وشعبة وحماد بن زيد وهشيم وابن المبارك وزيد بن هارون

55 وكان من حفاظ الحديث ومن الفقهاء واستفتي وهو ابن ست عشرة سنة وولي القضاء بالبصرة إلا أنه كان مدلسا عمن لم يلقه فيرسل تارة عن مجاهد وتارة عن الزهري ولم يلقهما قال أبو العباس المبرد في الكامل وغيره وخبرت أن قاصا كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان فاتفق هرم معه مرة في المسجد وهو يقول حدثنا هرم بن حيان فقال له يا هذا أتعرفني أنا هرم بن حيان ما حدثتك من هذا بشيء قط قال له القاص وهذا من عجائبك أيضا إنه ليصلي معنا في مسجدنا خمسة عشر رجلا اسم كل رجل منهم هرم بن حيان فكيف توهمت أنه ليس في الدنيا هرم بن حيان غيرك ويقرب من هذا أنه كان في الرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر من التحدث عن بني إسرائيل فنظن به الكذب فقال له يوما الحجاج بن حنتمة ما كان اسم بقرة بني إسرائيل قال حنتمة فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري في أي الكتب وجدت هذا قال في

كتاب عمرو بن العاص انتهى كلام المبرد وكان الحجاج بن أرطاة المذكور مع المنصور في وقت بناء مدينته وتولى خطها ونصب قبلة مسجدها وهو أول من ولي القضاء لبني العباس بالبصرة وكان فيه تيه كثير خارج عن الحد جاء يوما إلى حلقة البتي فجلس في عرض الحلقة فقيل له ارتفع إلى الصدر فقال أنا صدر حيث كنت وقال أبو يوسف كان الحجاج بن أرطاة لا يشهد جمعة ولا جماعة ويقول أكره مزاحمة الأنذال وقال عبد الملك بن عبد الحميد حدثني أبي غير مرة قال مكث الحجاج ابن أرطاة يتعيش من غزل أمة له كذا وكذا سنة وكأنه قال ستين سنة ثم أخرجه أبو جعفر المنصور مع ابنه المهدي إلى خراسان فقدم بسبعين مملوكا وقال ربما رأيته يعني الحجاج يضع يده على رأسه ويقول قتلني حب الشرف

56   وكان حجاج بن أرطاة يقع في أبي حنيفة رضي الله عنه ويقول إن أبا حنيفة لا يعقل لله عقلة وكان في أصحاب أبي جعفر وضمه إلى المهدي فلم يزل معه جتى توفي في سنة خمسين ومائة بالري رحمه الله تعالى والمهدي بها يومئذ في خلافة أبي جعفر وكان ضعيفا في الحديث   151&&ابن مسكين   أبو عمر الحارث بن مسكين المصري مولى محمد بن زياد بن عبد العزيز بن مروان رأى الليث بن سعد وسأله وسمع سفيان بن عيينة الهلالي وعبد الرحمن ابن القاسم العتقي وعبد الله بن وهب القرشي وروى عنه كافة المصريين وكان فقيها على

مذهب مالك بن أنس رضي الله عنه وكان ثقة في الحديث
ثبتا حمله المأمون إلى بغداد في أيام المحنة وسجنه لأنه لم
يجب إلى القول بخلق القرآن فلم يزل ببغداد محبوسا إلى
أن ولي جعفر المتوكل فأطلقه وأطلق جميع من كان في
السجن حدث الحارث ببغداد ورجع إلى مصر وكتب إليه
المتوكل بعهده على قضاء مصر فلم يزل يتولاه من سنة
سبع وثلاثين ومائتين إلى أن صرف في سنة خمس
وأربعين ولما خرج الحارث من بغداد إلى مصر اغتم
عليه أبو علي ابن الجروي غما شديدا فكتب إلى سعدان بن
يزيد وهو مقيم بمصر يشكو ما نزل به من غم لفقد
الحارث بن مسكين وكان كتب في أسفل كتابه (من كان
يسليه نأي عن أخي ثقة * فإنني غير سال آخر الأبد)
57 (ففرقت بيننا الأقدار واضطربت * بالوجد
والشوق نار الحزن في الكبد) فأجابه سعدان بن يزيد (
أيها الشاكي إلينا وحشة * من حبيب نأيه عنه بعد) (
حسبك الله أنيسا فبه * يأنس المرء إذا المرء سعد) (كل
أنس بسواه زائل * وأنيس الله في عز الأبد) وكانت
ولادة الحارث بن مسكين في سنة أربع وخمسين ومائة
وتوفي لثلاث بقين من ربيع الأول سنة خمسين ومائتين
وصلى عليه يزيد بن عبد الله أمير كان على مصر وكبر
عليه خمسا رحمه الله تعالى 152 المحاسبي أبو عبد الله
الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد
المشهور أحد رجال الحقيقة وهو ممن اجتمع له علم

الظاهر والباطن وله كتب في الزهد والأصول وكتاب الرعاية له وكان قد ورث من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئا قيل لأن أباه كان يقول بالقدر فرأى من الورع أن لا يأخذ ميراثه وقال صحت الرواية عن رسول الله أنه قال لا يتوارث أهل ملتين شتى ومات وهو محتاج إلى درهم

58 ويحكى عنه أنه كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على إصبعه عرق فكان يمتنع منه وسئل عن العقل ما هو فقال نور الغريزة مع التجارب يزيد ويقوى بالعلم والحلم وكان يقول فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الأمانة وحسن الإخاء مع الوفاء وتوفي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى والمحاسبي بضم الميم وفتح الحاء المهملة وبعد الألف سين مهملة مكسورة وبعدها باء موحدة قال السمعاني وعرف بهذه النسبة لأنه كان يحاسب نفسه وقال كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يكرهه لنظره في علم الكلام وتصنيفه فيه وهجره فاستخفى من العامة فلما مات لم يصل عليه إلا أربعة نفر وله مع الجنيد بن محمد حكايات مشهورة 153 أبو فراس ابن حمدان أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابن عن ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان وسيأتي تتمة نسبة عند ذكرهما إن شاء الله تعالى قال الثعالبي في وصفه كان فرد دهره وشمس

59 عصره أدبا وفضلا وكرما ومجدا وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام وكان الصاحب بن عباد يقول بدىء الشعر بملك وختم بملك يعني امرأ القيس وأبا فراس وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيبا له وإجلالا لا إغفالا وإخلالا وكان سيف الدولة يعجب جدا بمحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ونقلته إلى خرشنة ثم منها إلى قسطنطينية وذلك في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين قلت هكذا قال أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط وقالوا أسر أبو فراس مرتين فالمرة الأولى بمغارة الكحل في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة وما تعدوا به خرشنة وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها وفيها يقال إنه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات

والله أعلم والمرة الثانية أسره الروم على منبج في شوال
سنة إحدى وخمسين وحملوه إلى قسطنطينية وأقام في
الأسر أربع سنين وله في الأسر أشعار كثيرة مثبتة في
ديوانه وكانت مدينة منبج إقطاعا له ومن شعره (قد كنت
عدتي التي أسطو بها * ويدي إذا اشتد الزمان وساعدني)
(فرميت منك بضد ما أملته * والمرء يشرق 60
بالزلال البارد) (فصبرت كالولد التقي لبره * أغضى
على ألم لضرب الوالد) وله أيضا (أساء فزادته الإساءة
حظوة * حبيب على ما كان منه حبيب) (يعد علي
الواشيان ذنوبه * ومن أين للوجه الجميل ذنوب) وله
أيضا (سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم
عن عيني تمايله) (فما السلاف دهتني بل سوالفه * ولا
الشمول ازدهتني بل شمائله) (ألوى بعزمي أصداغ
لوين له * وغال قلبي بما تحوي غلائله) ومحاسن شعره
كثيرة وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته في
سنة سبع وخمسين وثلثمائة ورأيت في ديوانه أنه لما
حضرته الوفاة كان ينشد مخاطبا ابنته (أبنيتي لا تجزعي
* كل الأنام إلى ذهاب) (نوحي علي بحسرة * من خلف
سترك والحجاب) (قولي إذا كلمتني فعييت عن رد
الجواب) (زين الشاب أبو فراس * لم يمتع بالشباب)
وهذا يدل على أنه لم يقتل أو يكون قد جرح 61
وتأخر موته ثم مات من الجراحة وقيل إن هذا الشعر قاله
وهو أسير في أيدي الروم وكان قد جرح ثم أسر ثم خلص

من الأسر فداه سيف الدولة مع من فودي من أسرى المسلمين قال ابن خالويه لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص فاتصل خبره بأبي المعالي بن سيف الدولة وغلام أبيه قرغويه فأنفذ إليه من قاتله فأخذ وقد ضرب ضربات فمات في الطريق وقرأت في بعض التعاليق أن أبا فراس قتل يوم الأربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثلثمائة في ضيعة تعرف بصدد وذكر ثابت بن سنان الصابىء في تاريخه قال في يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وثلثمائة جرت حرب بين أبي فراس وكان مقيما بحمص وبين أبي المعالي بن سيف الدولة واستظهر عليه أبو المعالي وقتله في الحرب وأخذ رأسه وبقيت جثته مطروحة في البرية إلى أن جاءه بعض الأعراب فكفنه ودفنه قال غيره وكان أبو فراس خال أبي المعالي وقلعت أمه سخينة عينها لما بلغها وفاته وقيل إنها لطمت وجهها فقلعت عينها وقيل لما قتله قرغويه لم يعلم به أبو المعالي فلما بلغه الخبر شق عليه ويقال إن مولده كان في سنة عشرين وثلثمائة والله أعلم وقيل سنة إحدى وعشرين وقتل أبوه سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة قتله ابن أخيه ناصر الدولة بالموصل عصر مذاكيره حتى مات لقصة يطول شرحها وحاصلها أنه شرع في ضمان الموصل وديار ربيعة من جهة الراضي

بالله ففعل ذلك سرا ومضى إليها في خمسين غلاما فقبض ناصر الدولة عليه حين وصل
62 إليها ثم قتله فأنكر ذلك الراضي حين بلغه رحمهم الله تعالى وحكى ابن خالويه أيضا قال كتب أبو فراس إلى سيف الدولة وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنبج كتابا صدره كتابي أطال الله بقاء مولانا من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل الظهر والظهر وفرا وشكرا فاستحسن سيف الدولة بلاغته ووصف براعته وبلغ ذلك أبا فراس فكتب إليه (هل للفصاحة والسماحة * والعلا عني محيد) (إذ أنت سيدي الذي * ربيتني وأبي سعيد) (في كل يوم أستفيد * من العلاء وأستزيد) (ويزيد في إذا رأيتك * للندى خلق جديد) وكان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب وممارسة الحروب فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة فكتب إليه يستحثه على استحضارها (محلك الجوزاء أو أرفع * وصدرك الدهناء أو أوسع) (وقلبك الرحب الذي لم يزل * للجد والهزل به موضع) (رفه بقرع العود سيفا غدا * قرع العوالي جل ما يسمع) فبلغت هذه الأبيات الوزير المهلبي فأمر القيان والقوالين بتحفظها وتلحينها وصار لا يشرب إلا عليها وأهدى الناس إلى سيف الدولة فأكثروا فكتب إليه أبو فراس (نفسي فداؤك

قد بعثت * بعهدتي بيد الرسول) (أهديت نفسي إنما
يهدى * الجليل إلى الجليل)
63 (وجعلت ما ملكت يدي * صلة المبشر بالقبول
) وعزم سيف الدولة على غزو واستخلاف أبي فراس
على الشام فكتب إليه قصيدة منها (قالوا المسير فهز
الرمح عامله * وارتاح في جفنه الصمصامة الخذم) (
حقا لقد ساءني أمر ذكرت له * لولا فراقك لم يوجد له ألم
) (لا تشغلن بأمر الشام تحرسه * إن الشآم على من حله
حرم) (وإن للثغر سورا من مهابته * صخوره من
أعادي أهله القمم) (لا يحرمني سيف الدين صحبته *
فهي الحياة التي تحيا بها النسم) (وما اعترضت عليه
في أوامره * لكن سألت ومن عاداته نعم) وكتب إليه
يعزيه (لا بد من فقد ومن فاقد * هيهات ما في الناس من
خالد) (كن المعزى لا المعزى به * إن كان لا بد من
الواحد) وله أيضا (المرء نصب مصايب ما تنقضي *
حتى يوارى جسمه في رمسه) (فمؤجل يلقى الردى في
أهله * ومعجل يلقى الردى في نفسه) وله أيضا وقد سمع
حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية وهو في الأسر فقال
(أقول وقد ناحت بقربي حمامة * أيا جارتا هل بات حالك
حالي) (معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى * ولا
خطرت منك الهموم ببال) (أتحمل محزون الفؤاد قوادم
* على غصن نائي المسافة عالي) (أيا جارتا ما أنصف

الدهر بيننا * تعالي أقاسمك الهموم تعالي) (تعالي تري روحا لدي ضعيفة * تردد في جسم يعذب بالي)
64 (أيضحك مأسور وتبكي طليقة * ويسكت محزون ويندب سالي) (لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة * ولكن دمعي في الحوادث غالي) وخرشنة بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الشين المثلثة والنون وهي بلدة بالشام على الساحل وهي للروم وقسطنطينية بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون من أعظم مدائن الروم بناها قسطنطين وهو أول من تنصر من ملوك الروم 154 حرملة أبو حفص وأبو عبد الله حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران بن قراد مولى سلمة بن مخرمة التجيبي الزميلي المصري صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه كان أكثر أصحابه اختلافا إليه واقتباسا منه وكان حافظا للحديث وصنف المبسوط والمختصر وروى عنه مسلم بن الحجاج فأكثر في
65 صحيحه من ذكره روى عن محمد بن وهب المصري وغيره ومولده في سنة ست وستين ومائة وتوفي ليلة الخميس لتسع بقين من شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين بمصر وقيل أربع وأربعين رحمه الله تعالى والتجيبي بضم التاء المثناة من فوقها وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى

تجيب وهو اسم امرأة نسب إليها أولادها وقراد بضم القاف وفتح الراء المهملة وبعد الألف دال مهملة والزميلي بضم الزاي وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام هذه النسبة إلى بني زميل وهو بطن من تجيب وتوفي حرملة بن عمران جد حرملة المذكور في صفر سنة ستين ومائة ومولده سنة ثمانين للهجرة رحمه الله تعالى 155 الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله بويع له يوم مات أبوه رضي الله عنه وكان أشبه الناس برسول الله وأقام بالكوفة إلى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وقتل عبد الرحمن بن ملجم يقال إنه ضربه
66 بالسيف فاتقاه بيده فندرت وقتله ثم سار إلى معاوية فالتقيا بمسكن من أرض الكوفة فاصطلحا وسلم إليه الأمر وبايعه لخمس بقين من شهر ربيع الأول ويقال إنه أعطاه خمسة آلاف درهم ورجع إلى المدينة وقال قوم انه صالحه بأذرح في جمادى الأولى وأخذ مائة ألف دينار روى ذلك كله الدولابي وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام روى الشعبي قال أنا شهدت خطبة الحسن يعني حين سلم الأمر إلى معاوية قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد إن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق لامرىء كان أحق بحقه مني أو حق لي تركته لمعاوية إرادة

لصلاح الأمة وحقنا لدمائهم وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين روى سفينة قال سمعت رسول الله يقول الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تكون ملكا أو ملوكا وكان آخر ولاية الحسن رضي الله عنه تمام ثلاثين سنة وثلاثة عشر يوما من أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولم يزل الحسن بالمدينة إلى أن مات بها في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وله سبع وأربعون سنة وقيل مات سنة خمسين و هو أشبه بالصواب وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن بالبقيع ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها وقال القتبي يقال ان امرأته جعدة بنت الأشعث سمته ومكث شهرين وانه ليرفع من تحته كل يوم كذا وكذا طست من دم وكان يقول سقيت السم مرارا ما أصابني ما أصابني في هذه المرة وخلف عليها رجل من قريش فأولدها غلاما فكان الصبيان يقولون له يا ابن مسمة الأزواج ولما كتب مروان إلى معاوية بشكاته كتب إليه أن أقبل المطي إلي بخبر الحسن ولما بلغه موته سمع تكبيرا من الحضر فكبر أهل الشام لذلك التكبير فقالت فاختة زوجة معاوية أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ما الذي كبرت له قال مات الحسن قالت أعلى موت ابن فاطمة تكبر قال والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح قلبي وكان ابن عباس بالشام فدخل عليه فقال يا ابن عباس هل تدري ما حدث في أهل بيتك قال لا أدري ما حدث

67 إلا أني أراك مستبشرا وقد بلغني تكبيرك
وسجودك قال مات الحسن قال إنا لله يرحم الله أبا محمد
ثلاثا ثم قال والله يا معاوية لا تسد حفرته حفرتك ولا يزيد
نقص عمره في يومك وإن كنا اصبنا بالحسن لقد أصبنا
بإمام المتقين وخاتم النبيين فسكن الله تلك العبرة وجبر تلك
المصيبة وكان الله الخلف علينا من بعده وكان أوصى
لأخيه الإمام الحسين إذا أنا مت فادفني مع رسول الله إن
وجدت إلى ذلك سبيلا وإن منعوك فادفني ببقيع الغرقد
فلبس الحسين ومواليه السلاح وخرجوا ليدفنوه مع رسول
الله فخرج مروان بن الحكم في بني أمية فمنعوهم من ذلك
وقيل لما احتضر الحسن رضي الله عنه قال أخرجوني إلى
الصحراء لعلي أنظر في ملكوت السموات يعني الآيات
فلما أخرج قال اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز
الأنفس علي فكان مما صنع الله له انه احتسب نفسه ومن
طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد أن مروان بن
الحكم قال يوما إني مشغوف ببغلة الحسن فقال له ابن أبي
عتيق إن دفعتها إليك أتقضي لي ثلاثين حاجة قال نعم قال
فإذا اجتمع الناس عندك العشية فإني آخذ في مآثر قريش ثم
أمسك عن الحسن فلمني على ذلك فلما أخذ القوم مجالسهم
أفاض في أولية قريش قال له مروان ألا تذكر أولية أبي
محمد وله في هذا ما ليس لأحد قال إنما كنا في ذكر
الأشراف ولو كنا في ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبي محمد
فلما خرج ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم

ألك حاجة قال نعم البغلة فنزل عنها ودفعها إليه وذكر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال دخلت المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل هذا الحسن بن علي ابن أبي طالب فامتلأ قلبي له بغضا وحسدت عليا أن يكون له ابن مثله

68 فصرت إليه وقلت له أأنت ابن علي بن أبي طالب قال أنا ابنه قلت فعل بك وبأبيك أسبهما فلما انقضى كلامي قال لي أحسبك غريبا قلت أجل قال مل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آسيناك أو إلى حاجة عاوناك قال فانصرفت عنه وما على الأرض أحب إلي منه وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي وحكى صاحب العقد قال بينا معاوية جالس في أصحابه إذ قيل له الحسن بالباب فقال معاوية إنه إن دخل علينا أفسد ما نحن فيه فقال له مروان بن الحكم ايذن له فإني اسأله عما ليس عنده فيه جواب قال معاوية لا تفعل فإنهم قوم ألهموا الكلام وأذن له فلما دخل وجلس قال له مروان أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن إن ذلك من الخوف قال الحسن ليس كما بلغك ولكنا معشر بني هاشم طيبة أفواهنا عذبة شفاهنا فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهن وقبلهن وأنتم بني أمية فيكم بخر شديد فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصداغكم فإنما يشيب منكم

موضع العذار من أجل ذلك قال مروان أما إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء قال ما هي قال الغلمة قال أجل نزعت الغلمة من نسائنا ووضعت في رجالنا ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت في نسائكم فما قام لأموية إلا هاشمي فغضب معاوية وقال قد كنت أخبرتكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم وأفسد مجلسكم فخرج الحسن رضوان الله عليه وهو يقول (ومارست هذا الدهر خمسين حجة * وخمسا أرجي قابلا بعد قابل) (فما أنا في الدنيا بلغت جسيمها * ولا في الذي أهوى كدحت بطائل) (وقد أشرعت في المنايا أكفها * وأيقنت أني رهن موت معاجل) قال الحسن رضي الله عنه لحبيب بن مسلمة الفهري رب مسير لك في غير

69 طاعة الله قال أما مسيري إلى أبيك فلا قال بلى ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك فلو كنت إذ فعلت شرا قلت خيرا كنت كما قال الله تعالى (^ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) ولكنك كما قال الله تعالى (^ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقيل دار بين الحسن والحسين كلام فتقاطعا فقيل للحسين لو أتيت أخاك فهو أكبر سنا منك فقال إن الفضل للمبتدىء وأنا أكره أن يكون لي الفضل على أخي فبلغ ذلك الحسن فأتاه وكان الحسن إذا فرغ من الوضوء تغير لونه فقيل له في ذلك فقال حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه

156 الحسن البصري أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع عبادة وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي وربما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة رضي الله عنها ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها فشربه فيرون أن تلك

70 الحكمة والفصاحة من بركة ذلك قال أبو عمرو بن العلاء ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج ابن يوسف الثقفي فقيل له فأيهما كان أفصح قال الحسن ونشأ الحسن بوادي القرى وكان من أجمل أهل البصرة حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث وحكى الأصمعي عن أبيه قال ما رأيت أعرض زندا من الحسن كان عرضه شبرا وكان الحسن يقص في الحج فمر به علي بن الحسين عليهما السلام فقال له يا شيخ أترضى نفسك للموت قال لا قال فلله في أرضه معاد غير هذا البيت قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فلم تشغل الناس عن طواف البيت قال فما قص الحسن بعدها وقيل إن رجلا أتى الحسن فقال يا أبا سعيد إني حلفت بالطلاق ان الحجاج في النار فما تقول أقيم مع امرأتي أم أعتزلها فقال له قد كان الحجاج فاجرا فاسقا وما أدري ما أقول لك إن رحمة الله وسعت كل شيء وإن الرجل أتى محمد بن سيرين فأخبره

بما حلف فرد عليه شبيها بما قاله الحسن وإنه أتى عمرو
بن عبيد فقال له أقم مع زوجتك فإن الله تعالى إن غفر
للحجاج لم يضرك الزنا ذكر ذلك المختار في تاريخه
وكان في جنازة وفيها نوائح ومعه رجل فهم الرجل
بالرجوع فقال له الحسن يا أخي إن كنت كلما رأيت قبيحا
تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك وقيل له ألا ترى كثرة
الوباء فقال انفق ممسك واقلع مذنب واتعظ جاحد ونظر
إلى جنازة قد ازدحم الناس عليها فقال ما لكم تزدحمون ها
تلك هي ساريته في المسجد اقعدوا تحتها حتى تكونوا مثله
وحدث الحسن بحديث فقال له رجل يا أبا سعيد عن من
فقال وما تصنع بعمن أما أنت فقد نالتك موعظته وقامت
عليك حجته وقال له رجل أنا أزهد منك
71 وأفصح قال أما أفصح فلا قال فخذ علي كلمة
واحدة قال هذه وقال لفرقد بن يعقوب بلغني أنك لا تأكل
الفالوذج فقال يا أبا سعيد أخاف ألا اؤدي شكره قال الحسن
يا لكع هل تقدر تؤدي شكر الماء البارد الذي تشربه وقيل
للحسن إن فلانا اغتابك فبعث إليه طبق حلوى وقال بلغني
أنك أهديتي إلي حسناتك فكافأتك وقريب من هذا قول
سفيان بن الحسين قال كنت جالسا عند إياس بن معاوية
فنلت من إنسان فقال هل غزوت العام الترك والروم ولم
يسلم منك أخوك المسلم وسمع رجلا يشكو عليه إلى آخر
فقال اما إنك تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ومن
كلامه ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا

الموت ولما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي وذلك في سنة ثلاث ومائة فقال لهم إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ عليهم الميثاق بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولاني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر فما ترون فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية فقال ابن هبيرة ما تقول يا حسن فقال يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا ينجيك إلا عملك يا ابن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

72 فأجازهم ابن هبيرة وأضعف جائزة الحسن فقال الشعبي لابن سيرين سفسفنا له فسفسف لنا ورأى الحسن يوما رجلا وسيما حسن الهيئة فسأل عنه فقيل إنه يسخر للملوك ويحبونه فقال لله أبوه ما رأيت أحدا طلب الدنيا بما يشبهها إلا هذا وكانت أمه تقص للنساء ودخل عليها يوما وفي يدها كراثة تأكلها فقال لها يا أماه ألقي هذه البقلة الخبيثة من يدك فقالت يا بني إنك شيخ قد كبرت وخرفت فقال يا أماه أينا أكبر وأكثر كلامه حكم وبلاغة وكان أبوه

من سبي ميسان وهو صقع بالعراق ومولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة ويقال إنه ولد على الرق وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة رضي الله عنه وكانت جنازته مشهودة قال حميد الطويل توفي الحسن عشية الخميس وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفناه فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر بالجامع ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر وأغمي على الحسن عند موته ثم أفاق فقال لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين رأيت كأن طائرا أخذ أحسن حصاة بالمسجد فقال إن صدقت رؤياك مات الحسن فلم يكن إلا قليلا حتى مات الحسن

73 ولم يشهد ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما ثم توفي بعده بمائة يوم كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وميسان بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعد الألف نون قال السمعاني هي بليدة بأسفل البصرة 157 الزعفراني أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه برع في الفقه والحديث وصنف فيهما كتبا وسار ذكره في الآفاق ولزم الشافعي حتى تبحر وكان يقول أصحاب الأحاديث كانوا رقودا حتى أيقظهم الشافعي

وما حمل أحد محبرة إلا وللشافعي عليه منة وكان يتولى قراءة كتب الشافعي عليه وسمع من سفيان بن عيينة ومن في طبقته مثل وكيع ابن الجراح وعمرو بن الهيثم ويزيد بن هارون وغيرهم وهو أحد رواة الأقوال القديمة عن الشافعي رضي الله عنه ورواتها أربعة هو وأبو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيسي ورواة الأقوال الجديدة ستة المزني والربيع بن سليمان
74   الجيزي والربيع بن سليمان المرادي والبويطي وحرملة ويونس بن عبد الأعلى وقد تقدم ذكر بعضهم والباقي سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وروى عنه البخاري في صحيحه وأبو داود السجستاني والترمذي وغيرهم وتوفي سلخ شعبان وقال ابن قانع في شهر رمضان سنة ستين ومائتين وذكر السمعاني في كتاب الأنساب أنه توفي في شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى والزعفراني بفتح الزاي وسكون العين المهملة وفتح الفاء والراء وبعد الألف نون هذه النسبة إلى الزعفرانية وهي قرية بقرب بغداد والمحلة التي ببغداد تسمى درب الزعفراني منسوبة إلى هذا الإمام لأنه أقام بها قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء وفيه مسجد الشافعي رضي الله عنه وهو المسجد الذي كنت أدرس فيه بدرب الزعفراني ولله الحمد والمنة 158
أبو سعيد الإصطخري   أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل الإصطخري الفقيه الشافعي كان من

نظراء أبي العباس ابن سريج وأقران أبي علي ابن أبي هريرة وله مصنفات حسنة في الفقه منها كتاب الأقضية وكان قاضي قم

75 وتولى حسبة بغداد وكان ورعا متقللا واستقضاه المقتدر على سجستان فسار إليها فنظر في مناكحاتهم فوجد معظمها على غير اعتبار الولي فأنكرها وأبطلها عن آخرها وكانت ولادته في سنة أربع وأربعين ومائتين وتوفي في جمادى الآخرة يوم الجمعة ثاني عشره وقيل رابع عشره وقيل مات في شعبان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة رحمه الله تعالى والإصطخري بكسر الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون الخاء المعجمة وبعدها راء هذه النسبة إلى إصطخر وهي من بلاد فارس خرج منها جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى وقد قالوا في النسبة إلى إصطخر إصطخرزي أيضا بزيادة الزاي كما زادوها في النسبة إلى مرو والري فقالوا مروزي ورازي 159 أبو علي ابن أبي هريرة أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن أبي العباس ابن سريج وأبي إسحاق المروزي وشرح مختصر المزني وعلق عنه الشرح أبو علي الطبري وله مسائل في الفروع ودرس ببغداد وتخرج عليه خلق كثير وانتهت إليه إمامة العراقيين وكان معظما عند السلاطين والرعايا إلى أن توفي في رجب سنة خمس وأربعين وثلثمائة رحمه الله تعالى

76 160 أبو علي الطبري أبو علي الحسن بن القاسم الطبري الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن أبي علي ابن أبي هريرة المقدم ذكره وعلق عنه التعليقة المشهورة المنسوبة إليه وسكن ببغداد ودرس بها بعد أستاذه أبي علي المذكور وصنف كتاب المحرر في النظر وهو أول كتاب صنف في الخلاف المجرد وصنف أيضا كتاب الافصاح في الفقه وكتاب العدة وهو كبير يدخل في عشرة أجزاء وصنف كتابا في الجدل وكتابا في أصول الفقه وتوفي ببغداد سنة خمس وثلثمائة رحمه الله تعالى والطبري بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء هذه النسبة إلى طبرستان بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء والسين المهملة الساكنة والتاء المثناة من فوقها المفتوحة وبعد الألف نون وهي ولاية كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة أكبرها آمل خرج منها جماعة من العلماء والنسبة إلى طبرية الشام طبراني على ما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى ورأيت في عدة كتب من طبقات الفقهاء أن اسمه الحسن كما هو هاهنا ورأيت الخطيب في تاريخ بغداد قد عده في جملة من اسمه الحسين والله أعلم بالصواب

77 &&161أبو علي الفارقي أبو علي الحسن بن إبراهيم بن علي بن برهون الفارقي الفقيه الشافعي كان مبدأ اشتغاله بميافارقين على أبي عبد الله محمد الكازروني فلما توفي انتقل إلى بغداد واشتغل على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب المهذب وعلى أبي نصر ابن الصاغ

صاحب الشامل وتولى القضاء بمدينة واسط حكى الحافظ
أبو طاهر السلفي رحمه الله تعالى قال سألت الحافظ أبا
الكرم خميس بن علي بن أحمد الحوزي بواسط عن
جماعة منهم القاضي أبو علي الفارقي المذكور فقال هو
متقدم في الفقه وقضى بواسط بعد أبي تغلب فظهر من
عقله وعدله وحسن سيرته ما زاد على الظن به وسمع
الحديث من الخطيب أبي بكر ومن في طبقته وكان زاهدا
متورعا له كتاب الفوائد على المهذب وعنه أخذ القاضي
أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون كما سيأتي في ترجمته
إن شاء الله تعالى وكان يلازم ذكر الدرس من الشامل إلى
أن توفي وكانت وفاته يوم الأربعاء الثاني والعشرين من
المحرم سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بواسط ومولده
سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بميافارقين في شهر ربيع
الآخر ودفن في مدرسته رحمه الله تعالى وبرهون بفتح
الباء الموحدة وسكون الراء وضم الهاء وبعد الواو الساكنة
نون والفارقي معروف فلا حاجة إلى ضبطه

78 162 السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله
بن المرزبان السيرافي النحوي المعروف بالقاضي سكن
بغداد وتولى القضاء بها نيابة عن أبي محمد ابن معروف
وكان من أعلم الناس بنحو البصريين وشرح كتاب سيبويه
فأجاد فيه وله كتاب ألفات الوصل والقطع وكتاب أخبار
النحويين البصريين وكتاب الوقف والابتداء وكتاب صنعة
الشعر والبلاغة وشرح مقصورة ابن دريد وقرأ القرآن

الكريم على أبي بكر ابن مجاهد واللغة على ابن دريد والنحو على أبي بكر ابن السراج النحوي وكان الناس يشتغلون عليه بعدة فنون القرآن الكريم والقراءات وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والحساب والكلام والشعر والعروض والقوافي وكان نزها عفيفا جميل الأمر حسن الأخلاق وكان معتزليا ولم يظهر منه شيء وكان لا يأكل إلا من كسب يده ينسخ ويأكل منه وكان أبوه مجوسيا اسمه بهزاد فأسلم فسماه ابنه أبو سعيد المذكور عبد الله وكان كثيرا ما ينشد في مجالسه (اسكن إلى سكن تسر به * ذهب الزمان وأنت منفرد) (ترجو غدا وغد كحاملة * في الحي لا يدرون ما تلد)

79 وكان بينه وبين الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ما جرت العادة بمثله بين الفضلاء من التنافس فعمل فيه أبو الفرج (لست صدرا ولا قرأت على صدر * ولا علمك البكي بشاف) (لعن الله كل نحو وشعر * وعروض يجيء من سيراف) وتوفي يوم الاثنين ثاني رجب سنة ثمان وستين وثلثمائة ببغداد وعمره أربع وثمانون سنة ودفت بمقبرة الخيزران رحمه الله تعالى وقيل انه توفي سنة أربع وستين وقيل سنة خمس وستين والصحيح هو الأول والله أعلم وقال ولده أبو محمد يوسف أصل أبي من سيراف وبها ولد وبها ابتدأ بطلب العلم وخرج منها قبل العشرين ومضى إلى عمان وتفقه بها ثم عاد إلى سيراف ومضى إلى عسكر مكرم فأقام بها

عند أبي محمد ابن عمر المتكلم وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه ودخل بغداد وخلف القاضي أبا محمد ابن معروف على قضاء الجانب الشرقي ثم الجانبين
والسيرافي بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعد الألف فاء هذه النسبة إلى مدينة سيراف وهي من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان خرج منها جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى وسيأتي في ترجمة ولده يوسف تتمة الكلام على سيراف إن شاء الله تعالى

80 163 أبو علي الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي ولد بمدينة فسا واشتغل ببغداد ودخل إليها سنة سبع وثلثمائة وكان إمام وقته في علم النحو ودار البلاد وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة وكان قدومه عليه في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس ثم انتقل إلى بلاد فارس
وصحب عضد الدولة ابن بويه وتقدم عنده وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة أنا غلام أبي علي الفسوي في النحو وصنف له كتاب الإيضاح والتكملة في النحو وقصته فيه مشهورة ويحكى أنه كان يوما في ميدان شيراز يساير عضد الدولة فقال له لم انتصب المستثنى في قولنا قام القوم إلا زيدا فقال الشيخ بفعل مقدر فقال له كيف تقديره فقال أستثني زيدا فقال له عضد الدولة هلا رفعته وقدرت

الفعل امتنع زيد فانقطع الشيخ وقال له هذا الجواب ميداني ثم إنه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاما حسنا وحمله إليه فاستحسنه وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا وحكى أبو القاسم ابن أحمد الأندلسي قال جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي وأنا حاضر فقال إني لأغبطكم على قول الشعر فإن خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيقي العلوم التي هي من مواده فقال له رجل فما قلت قط

81 شيئا منه قال ما أعلم أن لي شعرا إلا ثلاثة أبيات في الشيب وهي قولي (خضبت الشيب لما كان عيبا * وخضب الشيب أولى أن يعابا) (ولم أخضب مخافة هجر خل * ولا عيبا خشيت ولا عتابا) (ولكن المشيب بدا ذميما * فصيرت الخضاب له عقابا) ويقال إن السبب في استشهاده في باب كان من كتاب الإيضاح ببيت أبي تمام الطائي وهو قوله (من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الأماني لم يزل مهزولا) لم يكن ذلك لأن أبا تمام ممن يستشهد بشعره لكن عضد الدولة كان يحب هذا البيت وينشده كثيرا فلهذا استشهد به في كتابه ومن تصانيفه كتاب التذكرة وهو كبير وكتاب المقصور والممدود وكتاب الحجة في القراءات وكتاب الاغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني وكتاب العوامل المائة وكتاب المسائل الحلبيات وكتاب المسائل البغداديات وكتاب المسائل الشيرازيات وكتاب المسائل القصريات وكتاب المسائل العسكرية

وكتاب المسائل البصرية وكتاب المسائل المجلسيات وغير ذلك وكنت رأيت في المنام في سنة ثمان وأربعين وستمائة وأنا يومئذ بمدينة القاهرة كأنني قد خرجت إلى قليوب ودخلت إلى مشهد بها فوجدته شعثا وهو عمارة قديمة ورأيت به ثلاثة أشخاص مقيمين مجاورين فسألتهم عن المشهد وأنا متعجب لحسن بنائه وإتقان تشييده ترى هذا عمارة من فقالوا لا نعلم ثم قال أحدهم إن الشيخ أبا علي الفارسي جاور في هذا المشهد سنين عديدة

82 وتفاوضنا في حديثه فقال وله مع فضائله شعر حسن فقلت ما وقفت له على شعر فقال أنا أنشدك من شعره ثم أنشد بصوت رقيق طيب إلى غاية ثلاثة أبيات فاستيقظت في أثر الإنشاد ولذة صوته في سمعي وعلق على خاطري منها البيت الأخير وهو (الناس في الخير لا يرضون عن أحد * فكيف ظنك سيموا الشر أو ساموا) وبالجملة فهو أشهر من أن يذكر فضله ويعدد وكان متهما بالاعتزال وكانت ولادته في سنة ثمان وثمانين ومائتين وتوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر وقيل ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلثمائة رحمه الله تعالى ببغداد ودفن بالشونيزي والفارسي لا حاجة إلى ضبطه لشهرته ويقال له أيضا أبو علي الفسوي بفتح الفاء والسين المهملة وبعدها واو هذه النسبة إلى مدينة فسا من أعمال فارس وقد تقدم ذكرها في ترجمة البساسيري وقليوب بفتح القاف وسكون اللام وضم الياء المثناة من

تحتها وسكون الواو وبعدها باء موحدة وهي بليدة صغيرة بينها وبين القاهرة مقدار فرسخين أو ثلاثة ذات بساتين كثيرة

83 &&164أبو أحمد العسكري أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري أحد الأئمة في الآداب والحفظ وهو صاحب أخبار ونوادر وله رواية متسعة وله التصانيف المفيدة منها كتاب التصحيف الذي جمع فيه فأوعب وغير ذلك وكان الصاحب بن عباد يود الاجتماع به ولا يجد إليه سبيلا فقال لمخدومه مؤيد الدولة بن بويه إن عسكر مكرم قد اختلت أحوالها وأحتاج إلى كشفها بنفسي فأذن له في ذلك فلما أتاها توقع أن يزوره أبو أحمد المذكور فلم يزره فكتب الصاحب إليه (ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم * ضعفنا فلم نقدر على الوخدان) (أتيناكم من بعد أرض نزوركم * وكم منزل بكر لنا وعوان) (نسائلكم هل من قرى لنزيلكم * بملء جفون لا بملء جفان) وكتب مع هذه الأبيات شيئا من النثر فجاوبه أبو أحمد عن النثر بنثر مثله وعن هذه الإبيات بالبيت المشهور وهو (أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان) فلما وقف الصاحب على الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له وقال والله

84 لو علمت أنه يقع له هذا البيت لما كتبت إليه على هذا الروي وهذا البيت لصخر بن عمرو بن الشريد أخي الخنساء وهو من جملة أبيات مشهورة وكان صخر

المذكور قد حضر محاربة بني أسد فطعنه ربيعة ابن ثور الأسدي فأدخل بعض حلقات الدرع في جنبه وبقي مدة حول في أشد ما يكون من المرض وأمه وزوجته سليمى تمرضانه فضجرت زوجته منه فمرت بها امرأة فسألتها عن حاله فقالت لا هو حي فيرجى ولا ميت فينسى فسمعها صخر فأنشد (أرى أم صخر لا تمل عيادتي * وملت سليمى موضعي ومكاني) (وما كنت أخشى أن أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان) (لعمري لقد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان) (وأي امرىء ساوى بأم حليلة * فلا عاش إلا في شقا وهوان) (أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان) (فللموت خير من حياة كأنها * معرس يعسوب برأس سنان) وكانت ولادته يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى وأخذ عن أبي بكر ابن دريد وله من التصانيف كتاب المختلف والمؤتلف وكتاب علم المنطق وكتاب الحكم والأمثال وكتاب الزواجر وغير ذلك والعسكري بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وبعدها

85 راء هذه النسبة إلى عدة مواضع فأشهرها عسكر مكرم وهي مدينة من كور الأهواز ومكرم الذي تنسب إليه مكرم الباهلي وهو أول من اختطها فنسبت إليه وأبو أحمد

المذكور من هذه المدينة وسيأتي العسكري منسوبا إلى شيء آخر إن شاء الله تعالى 165 ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني أحد الأفاضل البلغاء له التصانيف المليحة منها كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه وكتاب الأنموذج والرسائل الفائقة والنظم الجيد قال ابن بسام في كتاب الذخيرة بلغني أنه ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلا ثم ارتحل إلى القيروان سنة ست وأربعمائة وقال غيره ولد بالمهدية سنة تسعين وثلثمائة وأبوه مملوك رومي من موالي الأزد وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة وكانت صنعة أبيه في بلده وهي المحمدية الصياغة فعلمه أبوه صنعته وقرأ الأدب بالمحمدية وقال الشعر وتاقت نفسه إلى التزيد منه وملاقاة أهل الأدب فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها إلى أن هاجم العرب القيروان وقتلوا أهلها وأخربوها فانتقل إلى جزيرة صقلية وأقام بمازر إلى أن مات

86 ورأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة بمازر والأول أصح رحمه الله تعالى وهي قرية بجزيرة صقلية وسيأتي ذكرها في ترجمة المازري إن شاء الله تعالى وقيل إنه توفي ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين وأربعمائة بمازر والله أعلم وكانت بينه وبين ابن شرف القيرواني وقائع وماجريات وهما أديبا بلاد المغرب وشاعراها وكان ابن شرف أعور

قيل مر يوما وبيده كتاب فقال له ابن رشيق ما في كتابك قال الدريدية يعرض بقول ابن دريد فيها (والعبد لا يردعه إلا العصا *) يشير إلى أنه مولى فقال له ابن رشيق (أما أبي فرشيق لست أنكره * قل لي أبوك وصوره من الخشب) ومن شعره أيضا وقد غاب المعز بن باديس عن حضرته وكان العيد ماطرا (تجهم العيد وانهلت بوادره * وكنت أعهد منه البشر والضحكا) (كأنه جاء يطوي الأرض من بعد * شوقا إليك فلما لم يجدك بكى) وقال أيضا وقد أمره المعز بوصف أترجة مصبعة كانت بين يديه بديها (أترجة سبطة الأطراف ناعمة * تلقى العيون بحسن غير منحوس) (كأنها بسطت كفا لخالقها * تدعو بطول بقاء لابن باديس) ومن شعره أيضا (لو أورقت من دم الأبطال سمر قنا * لأورقت عنده سمر القنا الذبل) (إذا توجه في أولى كتائبه * لم تفرق العين بين السهل والجبل)
87 (فالجيش ينفض حوليه أسنته * نفض العقاب جناحيها من البلل) هذا البيت من فرائده وهو ملتقط من قول أبي صخر الهذلي (وإني لتعروني لذكرك فترة * كما انتفض العصفور بلله القطر) ولابن رشيق المذكور رحمه الله تعالى (ومن حسنات الدهر عندي ليلة * من العلم لم تترك لأيامها ذنبا) (خلونا بها ننفي الكرى عن جفوننا * بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا) (وملنا لتقبيل الخدود ولثمها * مميل جياع الطير تلتقط الحبا) ومن شعره

أيضا (صنم من الكافور بات معانقي * في حلتين تعفف
وتكرم) (فكرت ليلة وصله في صده * فجرت بقايا
أدمعي كالعندم) (فطفقت أمسح ناظري في نحره * إذ
شيمة الكافور إمساك الدم) ومن شعره رحمه الله (قالوا
رأينا فلانا ليس يوجعه * ما يوجع الناس من هجو به قذفا
) (فقلت لو أنه حي لأوجعه * لكنه مات من جهل وما
عرفا) (وما هجوت فلانا غير تجربة * وذو الرماية لا
يستشعر الهدفا) ومن شعره (أحب أخي وإن أعرضت
عنه * وقل على مسامعه كلامي) (ولي في وجهه
تقطيب راض * كما قطبت في وجه المدام) (ورب
تقطب من غير بغض * وبغض كامن تحت ابتسام)
88 ومن شعره (يا رب لا أقوى على دفع الأذى *
وبك استعنت على الضعيف الموذي) (ما لي بعثت إلي
ألف بعوضة * وبعثت واحدة إلى نمروذ) ومن شعره
على ما حكاه ابن بسام في الذخيرة (أسلمني حب
سليمانكم * إلى هوى أيسره القتل) (قالت لنا جند
ملاحاته * لما بدا ما قالت النمل) (قوموا ادخلوا مسكنكم
قبل أن * تحطمكم أعينه النجل) وله وقد كبر وضعف
مشيه وهو معني غريب (إذا ما خففت كعهد الصبا *
أبت ذلك الخمس والأربعونا) (وما ثقلت كبرا وطأتي *
ولكن أجر ورائي السنينا) وله أيضا (وقائلة ما إذ
الشحوب وذا الضنى * فقلت لها قول المشوق المتيم) (
هواك أتاني وهو ضيف أعزه * فأطعمته لحمي وأسقيته

دمي) ومن تصانيفه أيضا قراضة الذهب وهو لطيف الجرم كبير الفائدة وله كتاب الشذوذ في اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها وكتاب طراز الأدب وكتاب الممادح والمذام وكتاب متفق التصحيف وكتاب تحرير الموازنة وكتاب الاتصال وكتاب المن والفداء وكتاب غريب الأوصاف ولطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون وكتاب أرواح الكتب وكتاب شعراء الكتاب وكتاب المعونة في

89 الرخص والضرورات وكتاب الرياحين وكتاب صدق المدائح وكتاب الأسماء المعربة وكتاب إثبات المنازعة وكتاب معالم التاريخ وكتاب التوسع في مضايق القول وكتاب الحيلة والاحتراس وكانت بينه وبين أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد المعروف بابن شرف القيرواني وقائع وماجريات يطول شرحها وقصدنا الاختصار ورشيق بفتح الراء وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف والمسيلة قد تقدم ذكرها فلا حاجة إلى إعادته 166 ابن أبي الشخباء الشيخ المجيد أبو علي الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني صاحب الخطب المشهورة والرسائل المحبرة كان من فرسان النثر وله فيه اليد الطولى ويقال إن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى كان جل اعتماده على حفظ كلامه وإنه كان يستحضر أكثره وذكره عماد الدين الأصبهاني في الخريدة فقال المجيد مجيد كنعته قادر على

ابتداع الكلام ونحته له الخطب البديعة والملح الصنيعة وذكره ابن بسام في الذخيرة وسرد له جملة من الرسائل وذكر هذا المقطوع من نظمه وهو من بعض قصيد 90 (ما زال يختار الزمان ملوكه * حتى أصاب المصطفى المتخيرا) (قل للألى ساسوا الورى وتقدموا * قدما هلموا شاهدوا المتأخرا) (تجدوه أوسع في السياسة منكم * صدرا وأحمد في العواقب مصدرا) (إن كان رأي شاوروه أحنفا * أو كان بأس نازلوه عنترا) (قد صام والحسنات ملء كتابه * وعلى مثال صيامه قد أفطرا) (ولقد تخوفك العدو بجهده * لوكان يقدر أن يرد مقدرا) (إن أنت لم تبعث إليه ضمرا * جردا بعثت إليه كيدا مضمرا) (يسري وما حملت رجال أبيضا * فيه ولا ادرعت كماة أسمرا) (خطروا إليك فخاطروا بنفوسهم * وأمرت سيفك فيهم أن يخطرا) (عجبوا لحلمك أن تحول سطوة * وزلال خلقك كيف عاد مكدرا) (لا تعجبوا من رقة وقساوة * فالنار تقدح من قضيب أخضرا) وقد اقتصرت منها على هذا القدر خوفا من التطويل ومن المنسوب إلى ابن أبي الشخباء أيضا قوله (يا سيف نصري والمهند يانع * وربيع أرضي والسحاب مصاف) (أخلاقك الغر النميرة ما لها * حملت قذى الواشين وهي سلاف) (والإفك في مرآة رأيك ما له * يخفى وأنت الجوهر الشفاف) ورأيت في ديوانه البيتين المشهورين (حجاب وإعجاب وفرط تصلف * ومد يد

نحو العلا بتكلف) (ولو كان هذا من وراء كفاية *
عذرنا ولكن من وراء تخلف) ومن شعره أيضا (يجود
بالماء غيث السحب منقطعا * وغيث كفك بالأموال متصل
(
91) جارى نداك ولم يظفر ببغيته * فحمرة البرق
في حافاته خجل) ومن شعره (ومهفهف علق السقام
بطرفه * وسرى فخيم في معاقد خصره) (مزقت أثواب
الظلام بثغره * ثم انثنيت أحوكها من شعره) وذكر أنه
توفي مقتولا بخزانة البنود وهي سجن بمدينة القاهرة
المعزية سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى
والشخباء بفتح الشين المثلثة وسكون الخاء المعجمة وبعد
الباء الموحدة ألف ممدودة والعسقلاني نسبة إلى مدينة
عسقلان وهي مشهورة على الساحل 167 ابن زولاق أبو
محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن
خالد بن راشد بن عبد الله بن سليمان بن زولاق الليثي
مولاهم المصري كان فاضلا في التاريخ وله فيه مصنف
جيد وله كتاب في خطط مصر استقصى فيه وكتاب أخبار
قضاة مصر جعله ذيلا على كتاب أبي عمر محمد بن
يوسف بن يعقوب الكندي الذي ألفه في
92 أخبار قضاة مصر وانتهى فيه إلى سنة ست
وأربعين ومائتين فكمله ابن زولاق المذكور وابتدأ بذكر
القاضي بكار بن قتيبة وختمه بذكر محمد بن النعمان وتكلم
على أحواله إلى رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة وكان

جده الحسن بن علي من العلماء المشاهير وكانت وفاته أعني أبا محمد يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى ورأيت في كتابه الذي صنفه في أخبار قضاة مصر في ترجمة القاضي أبي عبيد أن الفقيه منصور بن إسماعيل الضرير توفي في جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة ثم قال قبل مولدي بثلاثة أشهر فعلى هذا التقدير تكون ولادة ابن زولاق المذكور في شعبان سنة ست وثلثمائة وروى عن الطحاوي وزولاق بضم الزاي وسكون الواو وبعد اللام ألف قاف والليثي بفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثلثة هذه النسبة إلى ليث بن كنانة وهي قبيلة كبيرة قال ابن يونس المصري هو ليثي بالولاء 168 ملك النحاة أبو نزار الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار بن أبي الحسن النحوي المعروف بملك النحاة ذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال كان من الفضلاء المبرزين وحكى ما جرى بينهما من المكاتبات بدمشق وبرع في

93 النحو حتى صار أنحى أهل طبقته وكان فهما فصيحا ذكيا إلا أنه كان عنده عجب بنفسه وتيه لقب نفسه ملك النحاة وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك وخرج عن بغداد بعد العشرين وخمسمائة وسكن واسط مدة وأخذ عنه جماعة من أهلها أدبا كثيرا واتفقوا على فضله ومعرفته وذكره أبو البركات ابن المستوفي في

تاريخ إربل فقال ورد إربل وتوجه إلى بغداد وسمع بها الحديث وقرأ مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني والخلاف على أسعد الميهني وأصول الفقه على أبي الفتح ابن برهان صاحب الوجيز والوسيط في أصول الفقه وقرأ النحو على الفصيحي وكان الفصيحي قد قرأ على عبد القاهر الجرجاني صاحب الجمل الصغرى ثم سافر إلى خراسان وكرمان وغزنة ثم رحل إلى الشام واستوطن دمشق وتوفي بها يوم الثلاثاء ثامن شوال ودفن يوم الأربعاء تاسعه سنة ثمان وستين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين ودفن بمقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى ثم ظفرت بمولده في سنة تسع وثمانين وأربعمائة بالجانب الغربي من بغداد بشارع دار الرقيق وله مصنفات كثيرة في الفقه والأصلين والنحو وله ديوان شعر ومدح النبي بقصيدة ومن شعره (سلوت بحمد الله عنها فأصبحت * دواعي الهوى من نحوها لا أجيبها)
94 (على أنني لا شامت إن أصابها بلاء * ولا راض بواش يعيبها) وله أشياء حسنة وكان مجموع فضائل &&169 أبو محمد العسكري أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية وهو والد المنتظر صاحب

السرداب ويعرف بالعسكري وأبوه علي يعرف أيضا بهذه النسبة وسيأتي ذكره وذكر بقية الأئمة إن شاء الله تعالى وكانت ولادة الحسن المذكور يوم الخميس في بعض شهور سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقيل سادس شهر ربيع الأول وقيل الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وتوفي يوم الجمعة وقيل يوم الأربعاء لثماني ليال خلون من شهر ربيع الأول وقيل جمادى الأولى سنة ستين ومائتين بسر م رأى ودفن بجنب قبر أبيه رحمهما الله تعالى والعسكري بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وبعدها راء هذه النسبة إلى سر من رأى ولما بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره

95 قيل لها العسكر وإنما نسب الحسن المذكور إليها لأن المتوكل أشخص أباه عليا إليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنسب هو وولده إليها 170 أبو نواس أبو علي الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح المعروف بأبي نواس الحكمي الشاعر المشهور كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان ونسبته إليه ذكر محمد بن داود بن الجراح في كتاب الورقة أن أبا نواس ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب ثم صار إلى بغداد وقال غيره إنه ولد بالأهواز ونقل منها وعمره سنتان وأمه أهوازية اسمها جلبان وكان أبوه من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية وكان من أهل دمشق وانتقل إلى الأهواز للرباط

فتزوج جلبان وأولدها عدة أولاد منهم أبو نواس وأبو معاذ فأما أبو نواس فأسلمته أمه إلى بعض العطارين فرآه أبو أسامة والبة بن الحباب فاستحلاه فقال له إني أرى فيك مخايل

96 أرى لك أن لا تضيعها وستقول الشعر فاصحبني أخرجك فقال له ومن أنت فقال أنا أبو أسامة والبة بن الحباب فقال نعم أنا والله في طلبك ولقد أردت الخروج إلى الكوفة بسببك لآخذ عنك وأسمع منك شعرك فصار أبو نواس معه وقدم به بغداد فكان أول ما قاله من الشعر وهو صبي (حامل الهوى تعب * يستخفه الطرب) (إن بكى يحق له * ليس ما به لعب) (تضحكين لاهية * والمحب ينتحب) (تعجبين من سقمي * صحتي هي العجب) وهي أبيات مشهورة وروي أن الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نواس عن نسبه فقال أغناني أدبي عن نسبي فأمسك عنه وقال إسماعيل بن نوبخت ما رأيت قط أوسع علما من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له إلا قمطرا فيه جزاز مشتمل على غريب ونحو لا غير وهو في الطبقة الأولى من المولدين وشعره عشرة أنواع وهو مجيد في العشرة وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتوزون فلهذا يوجد ديوانه مختلفا ومع شهرة ديوانه لا حاجة إلى ذكر شيء منه وكان أبو

نواس قوي البديهة والارتجال روي أن الخصيب قال له مرة
97 وهو بالمسجد الجامع أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب فقام من فوره فقال مرتجلا (نحلتكم يا أهل مصر نصيحتي * ألا فخذوا من ناصح بنصيب) (رماكم أمير المؤمنين بحية * أكول لحيات البلاد شروب) (فإن يك باقي إثم فرعون فيكم * فإن عصا موسى بكف خصيب) ثم التفت إليه وقال والله لا يأتي بمثلها خطيب مصقع فكيف رأيت فاعتذر إليه وحلف ما كنت إلا مازحا ورأيت في بعض الكتب أن المأمون كان يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس (ألا كل حي هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق) (إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق) والبيت الأول ينظر إلى قول امرىء القيس (فبعض اللوم عاذلتي فإني * سيكفيني التجارب وانتسابي) (إلى عرق الثرى وشجت عروقي * وهذا الموت يسلبني شبابي) وقد سبق في ترجمة الحسن البصري نظير هذا المعنى وما أحسن ظنه بربه عز وجل حيث يقول (تكثر ما استطعت من الخطايا * إذا كان القدوم على كريم) وقال وهي من رواية أخرى
98 (تكثر ما استطعت من الخطايا * فإنك بالغ ربا غفورا) (ستبصر إن وردت عليه عفوا * وتلقى سيدا ملكا كبيرا) (تعض ندامة كفيك مما * تركت مخافة

النار السرورا) وهذا من أحسن المعاني وأغربها وأخباره كثيرة ومن شعره الفائق المشهور قصيدته الميمية التي حسده عليها أبو تمام حبيب المقدم ذكره ووازنها بقوله (دمن ألم بها فقال سلام * كم حل عقدة صبره الإلمام) وأول قصيدة أبي نواس المشار إليها وهي مما مدح به الأمين محمد بن هارون الرشيد أيام خلافته (يا دار ما صنعت بك الأيام * لم يبق فيك بشاشة تستام) يقول من جملتها في صفة ناقته (وتجشمت بي هول كل تنوفة * هوجاء فيها جرأة إقدام) (تذر المطي وراءها فكأنها * صف تقدمهن وهي إمام) (وإذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام) وهذا البيت له حكاية سيأتي ذكرها في ترجمة ذي الرمة غيلان الشاعر المشهور وقد أذكرني هذا البيت واقعة جرت لي مع صاحبنا جمال الدين محمود

99 ابن عبد الله الإربلي الأديب المجيد في صناعة الألحان وغير ذلك فإنه جاءني إلى مجلس الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة في بعض شهور سنة خمس وأربعين وستمائة وقعد عندي ساعة وكان الناس يزدحمون لكثرة أشغالهم حينئذ ثم نهض وخرج فلم أشعر إلا وقد حضر غلامه وعلى يده رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات (يا أيها المولى الذي بوجوده * أبدت محاسنها لنا الأيام) (إني حججت إلى مقامك حجة الأشواق * لا ما يوجب الإسلام) (وأنخت بالحرم الشريف مطيتي * فتسربت واستاقها

الأقوام) (فظللت أنشد عند نشداني لها * بيتا لمن هو في القريض إمام) (وإذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام) فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر أنه لما قام من عندي وجد مداسه قد سرق فاستحسنت منه هذا التضمين والعرب يشبهون النعل بالراحلة وقد جاء هذا في شعر المتقدمين والمتأخرين واستعمله المتنبي في مواضع من شعره ثم جاءني من بعد جمال الدين المذكور وجرى ذكر هذه الأبيات فقلت له ولكن أنا اسمي أحمد لا محمد فقال علمت ذلك ولكن أحمد ومحمد سواء وهذا التضمين حسن ولو كان الاسم أي شيء كان وكان محمد الأمين المقدم ذكره قد سخط على أبي نواس لقضية جرت له معه فتهدده بالقتل وحبسه فكتب إليه من السجن (بك أستجير من الردى * متعوذا من سطو باسك) (وحياة رأسك لا أعود * لمثلها وحياة راسك) (من ذا يكون أبا نواسك * إن قتلت أبا نواسك)

100 وله معه وقائع كثيرة حدث أحمد بن معاوية الباهلي عن عطاء الملك قال دخلنا المسجد الجامع فإذا على السارية مكتوب بخط جليل التي إليها أبو عبيدة يجلس (صلى الإله على لوط وشيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا) قال فقال لي أبو عبيدة امحه قلت لا أناله فركع وارتفعت على ظهره حتى محوته فقلت لم يبق إلا الطاء فقال الطامة في الطاء فمحوتها فلما جلس قال والله ما أتهم بهذا

إلاالخبيث الماجن المتهتك يعني أبا نواس قال فبلغ قوله أبا نواس فحلف أنه لم يفعل ذلك فقبل يمينه وكان أبو عبيدة يحب أبا نواس ويقدمه لظرفه وأدبه وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة ويشنأ الأصمعي ويهجوه فقيل له ما تقول في الأصمعي فقال بلبل في قفص قيل فما تقول في خلف الأحمر قال جمع العلم وفهمه قيل فما تقول في أبي عبيدة قال ذاك أديم طوي على علم وكان بمصر رجل يعرف بالحسن بن عمر الأجهري يقول الشعر الضعيف وكان ناقص العقل فقيل له إن أردت أن يعلو شأنك في الشعر فاهج أبا نواس فأتاه وهو جالس في المجلس والناس حوله فأنشده (ألا قل للنواسي الضعيف * الحال والقدر) (خبرنا منك أحوالا * فلم نحمدك في الخبر) (وما روعت بالمنظر * ولكن رعت بالكدر) قال وكان هذا الشاعر من أوحش الناس صورة فنظر إليه أبو نواس وقال بم أهجوك وبأي شيء أصفك وقد سبقني الله تعالى إلى توحش منظرك وتقبيح مخبرك وهل أكون إن قلت شيئا إلا سارقا من ربي ومتكلفا

101 على ما قد كفاني فقال له بعض من معه اهجه على حال لا نقول إنه أفحمك فقال من وزن شعره (بما أهجوك لا أدري * لساني فيك لا يجري) (إذا فكرت في هجوك * أبقيت على شعري) قال فقاموا على أبي نواس فقبلوا رأسه وصفقوا الأيدي جهرا حدث الصولي عن عبد الله بن محمد بن حفص قال غلست يوما إلى المسجد فإذا

بأبي نواس يكلم امرأة عند باب المسجد وكنت أعرفه في مجالس الحديث والآداب فقلت له مثلك يقف هذا الموقف بحق أو باطل فاعتذر ثم كتب إلي ذلك اليوم هذه الأبيات (إن التي أبصرتها * سحرا تكلمني رسول) (دست إلي رسالة * كادت لها نفسي تزول) (من واضح الخدين يقصر * خطوه ردف ثقيل) (متنكب قوس الصبا * يرمي وليس له رسيل) (فلو ان أذنك عندنا * حتى تسمع ما تقول) (لرأيت ما استقبحت من * أمري لديك هو الجميل) وحكى الصولي عن إسماعيل بن نصر أخي محمد بن نصر الذي يقول فيه أبو نواس من جملة قصيد (فصلى هذه في وقت هذي * فكل صلاته أبدا قضاء) (وذاك محمد تفديه نفسي * وحق له وقل له الفداء) قال رأيت أبا نواس وقد صلى الظهر وقام يتطوع فقلت له ما بدا لك في

102 هذا قال ليصعد إلى السماء اليوم خبر ظريف حكى الصولي عن أبي العتاهية قال لقيت أبا نواس في المسجد الجامع فعذلته وقلت له أما آن لك أن ترعوي أما حان لك أن تزدجر فرفع رأسه إلي وقال (أتراني يا عتاهي * تاركا تلك الملاهي) (أتراني مفسدا بالنسك * عند القوم جاهي) قال فلما ألححت عليه بالعذل أنشأ يقول (لن ترجع الأنفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر) قال فوددت اني قلت هذا البيت بكل شيء قلته وقال أبو العتاهية قد قلت عشرين ألف بيت في الزهد وددت أن لي

مكانها الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس وهي (يا نواسي توقر * وتعز وتصبر) (إن يكن ساءك دهر * فلما سرك أكثر) (يا كبير الذنب عفو * الله عن ذنبك أكبر) وأشيع عن أبي نواس انه رجع عما كان عليه من البطالة وشرب الخمر وزهد في اللذات فاجتمع أصحابه وأقبلوا عليه يهنئونه بذلك فوضع بين يديه باطية وجعل لا يدخل عليه أحد يهنئه إلا شرب بين يديه رطلا وأنشد (قالوا نزعت ولما يعلموا وطري * في كل أغيد ساجي الطرف مياس) (كيف النزوع وقلبي قد تقسمه * لحظ العيون وقرع السن بالكاس) قال محمد بن نافع كان أبو نواس لي صديقا فوقع بيني وبينه هجرة في آخر عمره ثم بلغتني وفاته فتضاعف علي الحزن فبينا أنا بين النائم واليقظان إذ رأيته فقلت أبا نواس قال لات حين كنية قلت الحسن بن هانىء

103 قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر لي بأبيات قلتها في علتي قبل موتي وهي تحت الوسادة فأتيت أهله فلما رأوني أجهشوا بالبكاء فقلت لهم قال أخي شعرا قبل موته قالوا لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندري ما هو قلت ايذنوا لي أدخل قال فدخلت إلى مرقده فإذا ثيابه لم تحرك بعد فرفعت وسادة فلم أر شيئا ثم رفعت أخرى فإذا أنا برقعة فيها مكتوب (يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بأن عفوك أعظم) (إن كان لا يدعوك إلا محسن * فمن الذي يرجو ويدعو المجرم) (

أدعوك رب كما أمرت تضرعا * فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم) (ما لي إليك وسيلة إلا الرجا * وجميل عفوك ثم أني مسلم) وقد سبق في ترجمة أبي عمر أحمد بن دراج القسطلي ذكر بعض قصيدة أبي نواس الرائية وذكره الخطيب أبو بكر في تاريخ بغداد وقال ولد في سنة خمس وأربعين وقيل سنة ست وثلاثين ومائة وتوفي في سنة خمس وقيل ست وقيل ثمان وتسعين ومائة ببغداد ودفن في مقابر الشونيزي رحمه الله تعالى وإنما قيل له أبو نواس لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقيه والحكمي بفتح الحاء المهملة والكاف وبعدها ميم هذه النسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة قبيلة كبيرة باليمن منها الجراح بن عبد الله الحكمي وكان أمير خراسان وقد تقدم أن أبا نواس من مواليه فنسب إليه وقد تقدم الكلام على سعد العشيرة في ترجمة المتنبي في حرف الهمزة وأما الصولي فتأتي ترجمته في المحمدين وعلي بن حمزة لم أقف له على ترجمة

104 وتوزون أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد وبرع فيه وكان يسكن بغداد وتوفي في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وثلثمائة رحمه الله تعالى 171 ابن وكيع التنيسي أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي المعروف بابن وكيع التنيسي الشاعر المشهور أصله من بغداد ومولده بتنيس ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر وقال في

حقه شاعر بارع وعالم جامع قد برع على أهل زمانه فلم
يتقدمه أحد في أوانه وله كل بديعة تسحر الأوهام وتستعبد
الأفهام وذكر مزدوجته المربعة وهي من جيد النظم وأورد
له غيرها وله ديوان شعر جيد وله كتاب بين فيه سرقات
أبي الطيب المتنبي سماه المنصف وكان في لسانه عجمة
ويقال له العاطس ومن شعره (سلا عن حبك القلب
المشوق * فما يصبو إليك ولا يتوق) (جفاؤك كان عنك
لنا عزاء * وقد يسلي عن الولد العقوق) وله أيضا
105 (كأنها في الكؤوس إذ جليت * من عسجد
رق لونه وصفا) (أغضبها الماء حين مازجها *
وأزبدت في كؤوسها أنفا) (در حباب يود مبصره * لو
كان يوما لأذنه شنفا) وله أيضا إن كان قد بعد اللقاء فودنا
* دان ونحن على النوى أحباب كم قاطع للوصل يؤمن
ومواصل بوداده يرتاب وله أيضا (لقد شمت بقلبي * لا
فرج الله عنه) (كم لمته في هواه * فقال لا بد منه)
ولقد ألم به بعضهم فقال (لا رعى الله عزمة ضمنت لي
* سلوة القلب والتصبر عنه) (ما وفت غير ساعة ثم
عادت * مثل قلبي تقول لا بد منه) ومثله قول أسامة بن
منقذ الشيزري المقدم ذكره (لا تستعر جلدا على
هجرانهم * فقواك تضعف عن صدود دائم) (واعلم بأنك
إن رجعت إليهم * طوعا وإلا عدت عودة راغم) وقال
بعض الفقهاء أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر
بن محمد بن مقلد القضاعي الشيزرى المدرس كان بتربة

الإمام الشافعي رضي الله عنه بالقرافة لابن وكيع المذكور
(لقد قنعت همتي بالخمول * وصدت عن الرتب العاليه)
106 (وما جهلت طيب طعم العلا * ولكنها تؤثر
العافيه) فأنشدني لنفسه على البديهة (بقدر الصعود
يكون الهبوط * فإياك والرتب العاليه) (وكن في مكان
إذا ما سقطت * تقوم ورجلاك في عافيه) وله أيضا
أعني ابن وكيع (أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبل ذا
رآه) (فقال لي لو هويت هذا * ما لامك الناس في هواه
) (قل لي إلى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه)
(فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه)
وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين
محمد ولد الشيخ تقي الدين عبد المنعم المعروف بالخيمي
فأنشدني لنفسه في المعنى (لو رأى وجه حبيبي عاذلي *
لتفاصلنا على وجه جميل) وهذا البيت من جملة أبيات
ولقد أجاد فيه وأحسن في التورية وله كل معنى حسن
وكانت وفاة ابن وكيع المذكور يوم الثلاثاء لسبع بقين من
جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تنيس
ودفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بنيت له بها رحمه
الله تعالى ووكيع بفتح الواو وكسر الكاف وسكون الياء
المثناة من تحتها
107 وبعدها عين مهملة وهو لقب جده أبي بكر
محمد بن خلف وكان نائبا في الحكم بالأهواز لعبدان
الجواليقي وكان فاضلا نبيلا فصيحا من أهل القرآن والفقه

والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم وله مصنفات كثيرة فمنها كتاب الطريق وكتاب الشريف وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه وكتاب الرمي والنضال وكتاب المكاييل والموازين وغير ذلك وله شعر كشعر العلماء وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد وقال ابن قانع توفي عبدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بعسكر مكرم رحمه الله تعالى والتنيسي بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة نسبة إلى تنيس مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط بناها تنيس بن حام بن نوح عليه السلام فسميت باسمه وتوفي المرتضى الشيزري المذكور في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بمصر ودفن بسفح المقطم رحمه الله تعالى 172 ابن العلاف الشاعر أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد بن بشار بن زياد المعروف بابن العلاف الضرير النهرواني الشاعر المشهور كان من الشعراء المجيدين وحدث عن أبي عمر

108 الدوري المقرىء وحميد بن مسعدة البصري ونصر بن علي الجهضمي ومحمد بن إسماعيل الحساني وروى عنه عبد الله بن الحسن بن النخاس وأبو الحسن الخراجي القاضي وأبو حفص ابن شاهين وغيرهم وكان ينادم الإمام المعتضد بالله وقال بت ليلة في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه فأتانا خادم ليلا فقال أمير المؤمنين

يقول أرقت الليلة بعد انصرافكم فقلت (ولما انتبهنا للخيال الذي سرى * إذا الدار قفر والمزار بعيد) وقد أرتج علي تمامه فمن أجازه بما يوافق غرضي أمرت له بجائزة قال فأرتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل فابتدرت وقلت (فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي * لعل خيالا طارقا سيعود) فرجع الخادم إليه ثم عاد فقال أمير المؤمنين يقول قد أحسنت وقد أمر لك بجائزة وكان لأبي بكر المذكور هر يأنس به وكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها وكثر ذلك منه فأمسكه أربابها فذبحوه فرثاه بهذه القصيدة وقد قيل إنه رثى بها عبد الله بن المعتز الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وخشي من الإمام المقتدر أن يتظاهر بها لأنه هو الذي قتله فنسبها إلى الهر وعرض به في أبيات منها وكانت بينهما صحبة أكيدة وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير الذي سماه المعارف المتأخرة في ترجمة الوزير أبي الحسن علي بن الفرات ما مثاله قال الصاحب أبو القاسم ابن عباد أنشدني أبو الحسن ابن أبي بكر العلاف وهو الأكول المقدم في الأكل في مجالس الرؤساء والملوك قصائد أبيه في الهر وقال إنما كنى بالهر عن المحسن بن الفرات أيام محنته لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه قلت أنا وهذا المحسن ولد الوزير المذكور وسيأتي خبر ذلك في ترجمة

109 أبيه أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات إن شاء الله تعالى وذكر صاعد اللغوي في كتاب الفصوص قال حدثني أبو الحسن المرزباني قال هويت جارية لعلي بن عيسى غلاما لأبي بكر ابن العلاف الضرير ففطن بهما فقتلا جميعا وسلخا وحشيت جلودهما تبنا فقال أبو بكر مولاه هذه القصيدة يرثيه بها وكنى عنه بالهر والله أعلم وهي من أحسن الشعر وأبدعه وعددها خمسة وستون بيتا وطولها يمنع من الإتيان بجميعها فنأتي بمحاسنها وفيها أبيات مشتملة على حكم فنأتي بها وأولها (يا هر فارقتنا ولم تعد * وكنت عندي بمنزل الولد) (فكيف ننفك عن هواك وقد * كنت لنا عدة من العدد) (تطرد عنا الأذى وتحرسنا * بالغيب من حية ومن جرد) (وتخرج الفأر من مكامنها * ما بين مفتوحها إلى السدد) (يلقاك في البيت منهم مدد * وأنت تلقاهم بلا مدد) (لا عدد كان منك منفلتا * منهم ولا واحد من العدد) (لا ترهب الصيف عند هاجرة * ولا تهاب الشتاء في الجمد) (وكان يجري ولا سداد لهم * أمرك في بيتنا على سدد) (حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا * ولم تكن للأذى بمعتقد) (وحمت حول الردى بظلمهم * ومن يحم حول حوضه يرد) (وكان قلبي عليك مرتعدا * وأنت تنساب غير مرتعد) (تدخل برج الحمام متئدا * وتبلع الفرخ غير متئد) (وتطرح الريش في الطريق لهم * وتبلع اللحم بلع مزدرد) (أطعمك الغي لحمها فرأى * قتلك أربابها من الرشد)

110 (حتى إذا داوموك واجتهدوا * وساعد النصر كيد مجتهد) (كادوك دهرا فما وقعت وكم * أفلت من كيدهم ولم تكد) (فحين أخفرت وانهمكت وكاشفت * وأسرفت غير مقتصد) (صادوك غيظا عليك وانتقموا * منك وزادوا ومن يصد يصد) (ثم شفوا بالحديد أنفسهم * منك لم يرعووا على أحد) ومنها (فلم تزل للحمام مرتصدا * حتى سقيت الحمام بالرصد) (لم يرحموا صوتك الضعيف كما * لم ترث منها لصوتها الغرد) (أذاقك الموت ربهن كما * أذقت أفراخه يدا بيد) ومنها (كأن حبلا حوى بجودته * جيدك للخنق كان من مسد) (كأن عيني تراك مضطربا * فيه وفي فيك رغوة الزبد) (وقد طلبت الخلاص منه فلم * تقدر على حيلة ولم تجد) (فجدت بالنفس والبخيل بها * أنت ومن لم يجد بها يجد) (فما سمعنا بمثل موتك إذ * مت ولا مثل عيشك النكد) عشت حريصا يقوده طمع * ومت ذا قاتل بلا قود) ومنها (يا من لذيذ الفراخ أوقعه * ويحك هلا قنعت بالغدد) (ألم تخف وثبة الزمان كما * وثبت في البرج وثبة الأسد) (عاقبة الظلم لا تنام وإن * تأخرت مدة من المدد) (أردت أن تأكل الفراخ ولا * يأكلك الدهر أكل مضطهد) (هذا بعيد من القياس وما * أعزه في الدنو والبعد) (لا بارك الله في الطعام إذا * كان هلاك النفوس في المعد)

111 (كم دخلت لقمة حشا شره * فأخرجت روحه من الجسد) (ما كان أغناك عن تسورك البرج * ولو كان جنة الخلد) (قد كنت في نعمة وفي دعة * من العزيز المهين الصمد) (تأكل من فأر بيتنا رغدا * وأين بالشاكرين للرغد) (وكنت بددت شملهم زمنا * فاجتمعوا بعد ذلك البدر) (فلم يبقوا لنا على سبد * في جوف أبياتنا ولا لبد) (وفرغوا قعرها وما تركوا * ما علقته يد على وتد) (وفتتوا الخبز في السلال فكم * تفتت للعيال من كبد) (ومزقوا من ثيابنا جددا * فكلنا في المصائب الجدد) ونقتصر من هذه القصيدة على هذا القدر فهو زبدتها وكانت وفاته سنة ثماني عشرة وقيل تسع عشرة وثلثمائة وعمره مائة سنة رحمه الله تعالى والنهرواني بفتح النون وسكون الهاء وفتح الراء والواو وبعد الألف نون هذه النسبة إلى النهروان وهي بليدة قديمة بالقرب من بغداد وقال السمعاني هي بضم الراء وليس بصحيح 173 أبو الجوائز الواسطي أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد بن باري الكاتب الواسطي كان من الفضلاء سكن بغداد دهرا طويلا وذكره الخطيب في تاريخه فقال وعلقت

112 عنه أخبارا وحكايات وأناشيد وأمالي عن ابن سكرة الهاشمي وغيره ولم يكن ثقة فإنه ذكر لي أنه سمع من ابن سكرة وكان يصغر عن ذلك وكان أديبا شاعرا حسن الشعر في المديح والأوصاف وغير ذلك فمما

أنشدنيه لنفسه قوله (دع الناس طرا واصرف الود عنهم * إذا كنت في أخلاقهم لا تسامح) (ولا تبغ من دهر تظاهر رنقه * صفاء بنيه فالطباع جوامح) (وشيئان معدومان في الأرض درهم * حلال وخل في الحقيقة ناصح) انتهى قول الخطيب وله تواليف حسان وخط جيد وأشعار رائقة وقفت له على مقاطيع كثيرة ولم أر له ديوانا ولا أعلم هل دون شعره أم لا ومن أشعاره السائرة قوله (براني الهوى بري المدى وأذابني * صدودك حتى صرت أمحل من أمس) (فلست أرى حتى أراك وإنما * يبين هباء الذر في ألق الشمس) ومن شعره (أقول وجرس الحلي يمنع وصلها * وقد عاد ذاك القرب وهو بعاد) (هبي كل ذي نطق يغار عليكم * فكيف يغار الحلي وهو جماد) ومن شعره أيضا وفيه لزوم مالايلزم (واحزني من قولها * خان عهودي ولها) (وحق من صيرني * وقفا عليها ولها) (ما خطرت بخاطري * إلا كستني ولها) وكانت وفاته سنة ستين وأربعمائة رحمه الله تعالى وقال الخطيب

113 سمعت أبا الجوائز يقول ولدت في سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة وغاب عني خبره في سنة ستين وأربعمائة انتهى كلام الخطيب قلت وقد صح أن فاته كانت في سنة ستين كما ذكرته أولا والله أعلم وإن كان الخطيب لم يصرح به بل اقتصر على انقطاع خبره لا غير 174 العلم الشاتاني أبو علي الحسن بن سعيد بن

عبد الله بن بندار بن إبراهيم الشاتاني الملقب علم الدين كان فقيها غلب عليه الشعر وأجاد فيه واشتهر به وكان قد ترك بلده ونزل الموصل واستوطنها وكان يتردد منها إلى بغداد وكان الوزير أبو المظفر ابن هبيرة كثير الإقبال عليه والإكرام له وذكره العماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وأورد له أشعارا وقال مدح صلاح الدين بقصيدة أولها (أرى النصر معقودا برايتك الصفرا * فسر وافتح الدنيا فأنت بها أحرى)

114 (يمينك فيها اليمن واليسر في اليسرى * فبشرى لمن يرجو الندى بهما بشرى) وكان مولده في سنة عشر وخمسمائة وتوفي في شعبان سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالموصل رحمه الله تعالى وذكره ابن الدبيثي في ذيله وأثنى عليه وشاتان بفتح الشين المعجمة وبعد الألف تاء مثناة من فوقها وبعد الألف الثانية نون وهي بلد بنواحي ديار بكر 175 ناصر الدولة ابن حمدان أبو محمد الحسن الملقب ناصر الدولة ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون ابن الحارث بن لقمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب التغلبي كان صاحب الموصل وما والاها وتنقلت به الأحوال تارات إلى أن ملك الموصل بعد أن كان نائبا بها عن أبيه ثم لقبه الخليفة المتقي لله ناصر الدولة وذلك في مستهل شعبان

سنة ثلاثين وثلثمائة ولقب أخاه سيف الدولة في ذلك اليوم أيضا وعظم شأنهما وكان الخليفة المكتفي بالله قد ولى أباهما عبد الله بن حمدان الموصل وأعمالها في سنة اثنتين وتسعين ومائتين فسار إليها ودخلها في أول سنة ثلاث وتسعين ومائتين وكان ناصر الدولة أكبر سنا من أخيه سيف الدولة وأقدم منزلة عند
115 الخلفاء وكان كثير التأدب معه وجرت بينهما يوما وحشة فكتب إليه سيف الدولة (لست أجفو وإن جفيت ولا أترك * حقا علي في كل حال) (إنما أنت والد والأب الجافي * يجازى بالصبر والإحتمال) حكى هلال بن المحسن عن معز االدولة ابن بويه وكان منازلا لناصر الدولة أبي محمد بن حمدان فجاءه غلام فقال إن اغتلت ابن حمدان وقتلته ما يكون لي عليك قال اقتراحك ووعده وعدا ملأ به صدره فمضى واختلط بعسكر ناصر الدولة وتوصل إلى أن عرف موضع منامه ليلا من خيمته ثم جاء وقد اشتمل على دشنة فدخل الخيمة من تحت الطنب وقد تفرق الناس ونام الحراس فوجد ناصر الدولة نائما على سرير وفي جانب الخيمة شمعة وعلى بعد منه جماعة فتأمل موضع رأسه من رجليه ثم أطفأ الشمعة لئلا يصيح إذا جرحه فينذر به ويؤخذ وجاءه يريد الموضع الذي فيه رأسه فاتفق أن ناصر الدولة تقلب من جنب إلى جنب فزال عن المكان وجاء الغلام يريد موضعه فغرز الدشنة عزرا استقصى فيه وظن أنه قد بلغ المراد فأحس ناصر

الدولة بعدوه فانتبه فرأى الشمعة وقد أطفئت وأطناب
الخيمة مرفوعة فصاح بالغلمان فبادروا وجاءوا بضوء
وشاهدوا الصورة فجزع وأمر بالزيادة في الاحتراس ولم
يعلم كيف جرى الأمر وعاد الرجل فأخبر معز الدولة أنه
قد قتل ناصر الدولة فلم يعطه ما وعده به لكنه أطلق له
شيئا وقال لأبي جعفر الصيمري من يقدم على الملوك مثل
إقدام هذا لا يجوز استبقاؤه فضلا أن يوثق بمكانه وما
الذي يؤمننا أن يبذل لأعدائنا مثل ما بذل لنا فأرحني منه
كيف شئت فأخذه الصيمري فغرقه وكتب إليه مرة أخرى
وذكرها الثعالبي في اليتيمة
116 (رضيت لك العليا وقد كنت أهلها * وقلت
لهم بيني وبين أخي فرق) (ولم يك بي عنها نكول وإنما
* تجافيت عن حقي فتم لك الحق) (ولا بد لي من أن
أكون مصليا * إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق)
وأورد له أيضا قوله (قد جرى في دمعه دمه * فإلى كم
أنت تظلمه) (رد عنه الطرف منك فقد * خرقته منك
أسهمه) (كيف يسطيع التجلد من * خطرات الوهم تؤلمه
) وكان ناصر الدولة شديد المحبة لأخيه سيف الدولة فلما
توفي سيف الدولة في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن
شاء الله تعالى تغيرت أحوال ناصر الدولة وساءت أخلاقه
وضعف عقله إلى أن لم يبق له حرمة عند أولاده وجماعته
فقبض عليه ولده أبو تغلب فضل الله الملقب عدة الدولة
المعروف بالغضنفر بمدينة الموصل باتفاق من إخواته

وسيره إلى قلعة أردمشت في حصن السلامة وذكر شيخنا
ابن الأثير في تاريخه أن هذه القلعة هي التي تسمى الآن
قلعة كواشي وذلك في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من
جمادي الأولى سنة ست وخمسين وثلثمائة ولم يزل
محبوسا بها إلى أن توفي يوم الجمعة وقت العصر ثاني
عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ونقل
إلى الموصل ودفن بتل توبة شرقي الموصل وقيل إنه
توفي سنة سبع وخمسين وقال محمد بن عبد الملك
الهمذاني في كتاب عنوان السير في آخر ترجمة ناصر
الدولة ما مثاله ولم يزل يعني ناصر الدولة مستوليا على
ديار الموصل وغيرها حتى قبض عليه ابنه الغضنفر في
سنة ست وخمسين وثلثمائة وكانت
117 إمارته هناك اثنتين وثلاثين سنة وتوفي يوم
الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة سبع
وخمسين وثلثمائة رحمه الله تعالى وقتل أبوه ببغداد وهو
يدافع عن الإمام القاهر بالله وقصته مشهورة لثلاث عشرة
ليلة بقيت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة رحمه الله
تعالى وأما الغضنفر تن ناصر الدولة فإنه جرت له مع
عضد الدولة ابن بويه لما ملك بغداد بعد قتله بختيار ابن
عمه المقدم ذكره وقد كان معه في الواقعة التي قتل فيها
قضايا يطول شرحها وحاصلها أن عضد الدولة قصده
بالموصل فهرب منه إلى الشام ونزل بظاهر دمشق
والمستولي عليا قسام العيار فكتب إلى العزيز بن المعز

صاحب مصر يسأله تولية الشام فأجابه إلى ذلك ظاهرا ومنعه باطنا فتوجه إلى الرملة في المحرم سنة سبع وستين وبها المفرج بن الجراح البدوي الطائي فهرب منه ثم جمع له جموعا وعاد إليه فالتقيا على بابها في يوم الاثنين لليلة خلت من صفر من السنة فانهزم أصحابه وأسر وقتل يوم الثلاثاء ثاني صفر المذكور ومولده يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ونقلت نسبهم على هذه الصورة من كتاب أدب الخواص للوزير أبي القاسم الحسين ابن المغربي وقال محمد بن أحمد الأسدي النسابة اسم تغلب دثار وإنما سمي تغلب لأن أباه وائلا قصدته اليمن في داره لتسبي أهله فصرخ في أهله وعشيرته فنصر على اليمن وكان تغلب طفلا فتبرك به وقال هذا تغلب فسمي به

118 176 ركن الدولة ابن بويه أبو علي الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي الملقب ركن الدولة وقد تقدمت تتمة نسبه في حرف الهمزة عند ذكر أخيه معزالدولة أحمد وكان ركن الدولة المذكور صاحب أصبهان والري وهمذان وجميع عراق العجم وهو والد عضد الدولة فناخسرو ومؤيد الدولة أبي منصور بويه وفخر الدولة أبي الحسن علي وكان ملكا جليل القدر عالي الهمة وكان أبو الفضل ابن العميد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وزيره ولما توفي استوزر ولده أبا الفتح عليا وكان الصاحب بن عباد وزير ولده مؤيد الدولة ولما توفي وزر

لفخر الدولة وقد تقدم ذلك في حرف االهمزة في ترجمة الصاحب وكان مسعودا ورزق السعادة في أولاده الثلاثة وقسم عليهم الممالك فقاموا بها أحسن قيام وكان ركن الدولة المذكور أوسط الاخوة الثلاثة وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة المذكور ومعز الدولة أبو الحسين أحمد وقد سبق ذكره وكان عماد الدولة أكبرهم ومعز الدولة أصغرهم ولما كان في سنة 339&&سار الخراسانيون منصور بن قراتكين ومن معه إلى الري وكان ركن الدولة ببلاد فارس فلما وصل جرت بينه وبينهم حروب عدة وضاقت الميرة على الطائفتين وذبحوا دوابهم ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل فاستشار ويزره أبا الفضل ابن العميد في بعض الليالي في الهرب فقال لا ملجأ لك إلا إلى الله تعالى فانو للمسلمين خيرا وصمم العزم على حسن السيرة والإحسان فإن الحيل البشرية كلها تقطعت بنا وإن انهزمنا تبعونا وأهلكونا وهم أكثر منا فلا يفلت منا أحد فقال له قد سبقتك إلى هذا
119 فلما كان ثلث الليل الأخير أتاهم الخبر أن منصورا وعسكره قد عادوا إلى الري وتركوا خيامهم وكان سبب ذلك أن الميرة والعلوفة ضاقت عليهم أيضا إلا أن الديلم كانوا يصبرون ويقتنعون بالقليل من الطعام وكان الخراسانية بالضد منهم وحكى أبو الفضل ابن العميد قال استدعاني ركن الدولة تلك الليلة في الثلث الأخير وقال لي قد رأيت الساعة في منامي كأني على دابتي فيروز وقد

انهزم عدونا وأنت تسير إلى جانبي وقد جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب فمددت عيني فرأيت على الأرض خاتما فأخذته وإذا فصه من فيروزج فجعلته في إصبعي فتبركت به وانتبهت وقد أيقنت بالظفر فإن الفيروزج معناه الظفر وكذلك لقب الدابة فيروز قال ابن العميد فأتانا الخبر والبشارة بأن العدو قد رحل فما صدقنا حتى تواردت الأخبار فركبنا ولا نعرف سبب هزيمتهم وسرنا حذرين من كمين وسرت إلى جانب ركن الدولة وهو على فرسه فيروز فصاح ركن الدولة لغلام بين يديه ناولني ذلك الخاتم فأخذ خاتما من الأرض فناوله إياه فإذا هو من فيروزج فجعله في إصبعه وقال هذا تأويل رؤياي وهذا الخاتم الذي رأيت من ساعة وهذا من أحسن ما يحكى وأعجبه وكان ركن الدولة يقول مثل خراسان في صعوبة فتحها ونزارة دخلها كابن آوى يصعب صيده ولا يحصل خيره وهو معنى قول الشاعر (إن ابن آوى لشديد المقتنص * وهو إذا ما صيد ريح في قفص) وتوفي ركن الدولة ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ست وستين وثلثمائة بالري ودفن في مشهده ومولده تقديرا في سنة أربع وثمانين ومائتين قاله أبو إسحاق الصابئ وملك أربعا وأربعين سنة وشهرا وتسعة أيام وتولى بعده ولده مؤيد الدولة رحمه الله تعالى

120 177 الحسن بن سهل أبو محمد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي تولى وزارة المأمون بعد أخيه

ذي الرياستين الفضل وحظي عنده وقد تقدم في حرف الباء ذكر ابنته بوران وصورة زواجها من المأمون والكلفة التي احتفل بها والدها الحسن فلا حاجة إلى إعادتها وكان المأمون قد ولاه جميع البلاد التي فتحها طاهرين الحسين وقد ذكرته في ترجمته وكان عالي الهمة كثير العطاء للشعراء وغيرهم وقصده بعض الشعراء وأشده (تقول خليلتي لما رأتني * أنشد مطيتي من بعد حل) (أبعد الفضل ترتحل المطايا * فقلت نعم إلى الحسن بن سهل) فأجزل عطيته وخرج مع المأمون يوما يشيعه فلما عزم على مفارقته قال له المأمون يا أبا محمد ألك حاجة قال نعم يا أمير المؤمنين تحفظ علي من قلبك مالا أستطيع حفظه إلا بك وقال بعضهم حضرت مجلس الحسن ابن سهل وقد كتب لرجل كتاب شفاعة فجعل الرجل يشكره فقال الحسن يا هذا علام تشكرنا إنا نرى الشفاعات زكاة مروءاتنا ثم أنشأ يقول (فرضت علي زكاة ما ملكت يدي * وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا) (فإذا ملكت فجد فإن لم تستطع * فاجهد بوسعك كله أن تنفعا)

121 قال الحاكي وحضرته يوما وهو يملي كتاب شفاعة فكتب في آخره إنه بلغني أن الرجل يسأل عن فضل جاهه يوم القيامة كما يسأل عن فضل ماله وقال لبنيه يا بني تعلموا النطق فإن فضل الإنسان على سائر البهائم به وكلما كنتم بالنطق أحذق كنتم بالإنسانية أحق وكان سهل والد الحسن المذكور يتقهرم ليحيى بن خالد بن برمك

وضم يحيى الحسن والفضل ابني سهل إلى ابنيه الفضل وجعفر يكونان معهما فضم جعفر بن سهل إلى المأمون وهو ولي عهد فغلب عليه ولم يزل معه إلى أن قتل بخراسان فكتب المأمون إلى الحسن بن سهل وهو ببغداد يغريه بأخيه ويعلمه أنه قد استوزره وأجراه مجراه فلم يكن أحد من بني هاشم ولا من القواد يخالف للحسن أمرا ولا يخرج له من طاعة إلى أن بايع المأمون لعلي بن موسى الرضا بالعهد فغضب بنو العباس وخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي فحاربه الحسن بن سهل فضعف عنه فانحدر الحسن إلى فم الصلح فأقام به ووجه من فم الصلح من حارب إبراهيم فضعف أمر إبراهيم واستتر وقد تقدم ذكر ذلك ثم دخل المأمون بغداد وكتب إلى الحسن بن سهل فقدم عليه فزاد المأمون في كرامته وتشريفه عند تسليمه عليه وذلك في سنة أربع ومائتين قال ثعلب قيل للحسن وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله ليس في السرف خير فقال بل ليس في الخير سرف فرد اللفظ واستوفى المعنى ودخل على الحسن أعرابي مدحه بشعر استحسنه فلما فرغ منه قال له الحسن اجلس واحتكم وهو يظن ان الأعرابي صغير الهمة فقال ألف ناقة فوجم الحسن ولم تكن في وسعه يومئذ وكره أن يفتضح فأطرق إطراقة ثم قال يا أعرابي ليس بلدنا بلد إبل ولكن كما قال امرؤ القيس (إذا ما لم تكن إبلا فمعزى * كأن قرون

جلتها العصي) قال قد رضيت قال فالحق يحيى بن
خاقان يعطك ألف شاة فصار إلى
122 يحيى فأعطاه عن كل شاة دينارا وكتب الحسن
بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطبح في يوم غيم لم
يمطر أما ترى تكافؤ الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب
المطر وبعده كأنه قول كثير (وإني وتهامي بعزة بعدما *
تخليت مما بيننا وتخلت) (لكالمرتجي ظل الغمامة كلما
* تبوأ منها للمقيل اضمحلت) وما أمنيتي إلا في لقائك
ورقعتي هذه الأبيات وقد أدرت زجاجات أخذت من عقلي
ولم تتحيفه وبعثت نشاطا حركني على الكتاب إليك فرأيك
في إمطاري سرورا بسار خبرك إذ حرمت السرور
بالمطر في هذا اليوم موفقا إن شاء الله تعالى فأجابه
الحسن بن وهب وصل كتاب الأمير أيده الله ويدي عاملة
وفمي طاعم فلذلك تأخر الجواب قليلا وقد رأيت تكوفؤ
إحسان هذا اليوم وإساءته وما استحق ذما لأنه إن أشمس
حكى ضياءك وحسنك وإن أمطر أشبه سخاءك وجودك
وإن أغام فلم يشمس ولم يمطر فقد أشبه طيب ظلك ولذة
فنائك وسؤال الأمير أيده الله عني نعمته من الله أعفي بها
آثارالزمان المسيء وأنا كما يحب الامير صرف الله
الحوادث عنه وعن حظي منه ووقع الحسن بن سهل في
رقعة قد أمرنا لك بشء هو دون قدرك إلى استحقاق وفوق
الكفاية مع الاقتصار وتعرض إليه رجل فقال له من أنت
قال أنا الذي أحسنت إلي عام كذا فقال مرحبا بمن توسل

إلينا بنا وافتعل رجل على الحسن كتابا إلى إبراهيم الرازي وكان أمير الأهواز فقال له والله لئن كنت صادقا فما في ملكي ما يفي بحق الوزير وإن كنت مفتعلا فما في قدرتي ما يفي بعقوبتك فحبسه وبعث يستعلم أمر الكتاب وبلغ ذلك الحسن فأمر أن يكتب إليه أما كان في صغير ما أنعمنا به عليك ما تصدق به مخيلة رجل توسل بنا إن كان مبطلا فكيف وهو محق

123 وكان الحسن بن سهل يقول عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه ونظر يوما إلى رجل في مجلسه يعبس في كأسه فقال ما أنصفتها تضحك في وجهك وتعبس في وجهها وكان يقول من أدمن شم النرجس في الشتاء أمن البرسام في الصيف ولم يزل على وزارة المأمون إلى أن ثارت عليه المرة السوداء وكان سببها كثرة جزعه على أخيه الفضل لما قتل وسيأتي خبره في حرف الفاء إن شاء الله تعالى واستولت عليه حتى حبس في بيته ومنعته من التصرف وذكر الطبري في تاريخه أن الحسن بن سهل في سنة ثلاث ومائتين غلبت عليه السوداء وكان سببها أنه مرض مرضا شديدا فهاج به من مرضه تغير عقله حتى شد في الحديد وحبس في بيت فاستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد وكانت وفاته سنة ست وثلاثين في مستهل ذي الحجة وقيل خمس وثلاثين ومائتين بمدينة سرخس رحمه الله تعالى ومدحه يوسف الجوهري بقوله

(لو أن عين زهير عاينت حسنا * وكيف يصنع في أمواله

الكرم) (إذا لقال زهير حين يبصره * هذا الجواد على العلات لا هرم) قلت وحديث زهير وهرم بن سنان مذكور في آخر هذا الكتاب في ترجمة يحيى بن عيسى المعروف بابن مطروح فليكشف منه وللحسن بن سهل في ترجمة أبي بكر محمد الخوارزمي الشاعر ذكر فلينظر هناك والسرخسي بفتح السين والراء المهملتين وسكون الخاء المعجمة وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى سرخس وهي من بلاد خراسان

124 178 الوزير المهلبي أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي المهلبي الوزير كان وزير معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بوية الديلمي المقدم ذكره في حرف الهمزة تولى وزارته يوم الاثنين لثلاث بقين من جمادي الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وكان من ارتفاع القدر واتساع الصدر وعلو الهمة وفيض الكف على ما هو مشهور به وكان غاية في الأدب والمحبة لأهله وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضرورة والضائقة وكان قد سافر مرة ولقي في سفره مشقة صعبة واشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالا (ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش مالا خير فيه) ألا موت لذيذ الطعم يأتي * يخلصني من العيش الكريه) (إذا أبصرت قبرا من بعيد * وددت لو أنني مما يليه) (ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق

بالوفاة على أخيه) وكان معه رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفي وقيل أبو الحسين العسقلاني فلما سمع الأبيات اشترى له بدرهم لحما وطبخه وأطعمه وتفارقا وتنقلت بالمهلبي الأحوال وتولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور وضاقت الحال

125 برفيقه في السفر الذي اشترى له اللحم وبلغه وزارة المهلبي فقصده وكتب إليه (ألا قل للوزير فدته نفسي * مقالة مذكر ما قد نسيه) (أتذكر إذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فأشتريه) فلما وقف عليه تذكره وهزته أريحية الكرم فأمر له في الحال بسبعمائة درهم ووقع في رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة واللّه يضاعف لمن يشاء ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملا يرتفق به ولما ولي المهلبي الوزارة بعد تلك الإضافة عمل (رق الزمان لفاقتي * ورثي لطول تحرقي) (فأنالني ما أرتجيه * وحاد عما أتقي) (فلأصفحن عما أتاه * من الذنوب السبق) (حتى جنايته بما * صنع المشيب بمفرقي) وله أيضا (قال لي من أحب والبين قد جد * وفي مهجتي لهيب الحريق) (ما الذي في الطريق تصنع بعدي * قلت أبكي عليك طول الطريق) ومن المنسوب إليه في وقت الإضافة من الشعر ما كتبه إلى بعض الرؤساء

126 وقيل إنهما لأبي نواس (ولو أني استزدتك فوق ما بي * من البلوى لأعوزك المزيد) (ولو عرضت على الموتى حياة * بعيش مثل عيشي لم يريدوا) وقال أبو إسحاق الصابىء صاحب الرسائل كنت يوما عند الوزير المهلبي فأخذ ورقة وكتب فقلت بديها (له يد برعت جودا بنائلها * ومنطق دره في الطرس ينتثر) (فحاتم كامن في بطن راحته * وفي أناملها سحبان مستتر) وكان لمعز الدولة مملوك تركي في غاية الجمال يدعي تكين الجامدار وكان شديد المحبة له فبعث سرية لمحاربة بعض بني حمدان وجعل المملوك المذكور مقدم الجيش وكان الوزير المهلبي يستحسنه ويرى أنه من أهل الهوى لا مدد الوغى فعمل فيه (طفل يرق الماء في * وجناته ويرف عوده) (ويكاد من شبه العذارى * فيه أن تبدو نهوده) (ناطوا بمعقد خصره * سيفا ومنطقة تؤوده) (جعلوه قائد عسكر * ضاع الرعيل ومن يقوده) وكذا كان فإنه ما أنجح في تلك الحركة وكانت الكرة عليهم ومن شعره النادر في الرقة قوله (تصارمت الأجفان لما صرمتني * فما نلتقي إلا على عبرة تجري)

127 ومحاسن الوزير المهلبي كثيرة وكانت ولادته ليلة الثلاثاء لإربع بقين من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين بالبصرة وتوفي يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة في طريق واسط وحمل إلى بغداد فوصل إليها ليلة الأربعاء لخمس خلون

من شهر رمضان من السنة المذكورة ودفن في مقابر قريش في مقبرة النوبختية رحمه الله تعالى والمهلبي بضم الميم وفتح الهاء وتشديد اللام المفتوحة وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى المهلب المذكور أولا وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ولما مات الوزير المذكور رثاه أبو عبد الله الحسين بن الحجاج الشاعر المشهور وسيأتي ذكره بقوله (يا معشر الشعراء دعوة موجع * لا يرتجى فرج السلو لديه) (عزوا القوافي بالوزير فإنها * تبكي دما بعد الدموع عليه) (مات الذي أمسى الثناء وراءه * والعفو عفو الله بين يديه) (هدم الزمان بموته الحصن الذي * كنا نفر من الزمان إليه) (فليعلمن بنو بويه أنه * فجعت به أيام آل بويه)

128 179 الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الملقب نظام الملك قوام الدين الطوسي ذكر السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة الراذكان أنها بليدة صغيرة بنواحي طوس قيل إن نظام الملك كان من نواحيها وكان من أولاد الدهاقين واشتغل بالحديث والفقه ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بلخ وكان يكتب له فكان يصادره في كل سنة فهرب منه وقصد داود بن ميكائيل بن سلجوق والد السلطان ألب أرسلان فظهر له منه النصح والمحبة فسلمه إلى ولده ألب أرسلان وقال له اتخذه والدا ولا تخالفه فيما يشير به فلما ملك ألب أرسلان كما سيأتي في موضعه من

حرف الميم إن شاء الله تعالى دبر أمره فأحسن التدبير
وبقي في خدمته عشر سنين فلما مات ألب أرسلان
وازدحم أولاده على الملك وطد المملكة لولده ملك شاه
فصار الأمر كله لنظام الملك وليس للسلطان إلا التخت
والصيد وأقام على هذا عشرين سنة ودخل على الإمام
المقتدي بالله فأذن له في الجلوس بين يديه وقال له يا حسن
رضي الله عنك برضاء أمير المؤمنين عنك وكان مجلسه
عامرا بالفقهاء واالصوفية وكان كثير الإنعام على
االصوفية وسئل عن سبب ذلك فقال أتاني صوفي وأنا في
خدمة بعض الأمراء فوعظني وقال اخدم من تنفعك خدمته
ولا تشتغل بمن تأكله الكلاب غدا فلم أعلم
129 معنى قوله فشرب ذلك الأمير من الغد إلى
الليل وكانت له كلاب كالسباع تفترس الغرباء بالليل فغلبه
السكر فخرج وحده فلم تعرفه الكلاب فمزقته فعلمت أن
الرجل كوشف بذلك فأنا أخدم الصوفية لعلي أظفر بمثل
ذلك وكان إذا سمع الأذان أمسك عن جميع ما هو فيه
وكان إذا قدم عليه إمام الحرمين أبو المعالي وأبو القاسم
القشيري صاحب الرسالة بالغ في إكرامهما وأجلسهما في
مسنده وبنى المدارس والربط والمساجد في البلاد وهو
أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس وشرع في عمارة
مدرسته ببغداد سنة سبع وخمسين وأربعمائة وفي سنة
تسع وخمسين جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ
أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى فلم يحضر فذكر

الدرس أبو نصر ابن الصباغ صاحب الشامل عشرين
يوما ثم جلس الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك وهذا الفصل قد
استقصيته في ترجمة أبي نصر عبد السيد بن الصباغ
صاحب الشامل فلينظر هناك وكان الشيخ أبو إسحاق إذا
حضر وقت الصلاة خرج منها وصلى في بعض المساجد
وكان يقول بلغني أن أكثر آلاتها غصب وسمع نظام
الملك الحديث وأسمعه وكان يقول إني لأعلم أني لست
أهلا لذلك ولكني أريد أربط نفسي في قطار النقلة لحديث
رسول الله ويروى له من الشعر قوله (بعد الثمانين ليس
قوه * قد ذهبت شرة الصبوه) (كأنني والعصا بكفي *
موسى ولكن بلا نبوه) وقيل إن هذين البيتين لأبي الحسن
محمد بن أبي الصقر الواسطي وسيأتي ذكره إن شاء الله
تعالى
130 ويروى له أيضا أعني نظام الملك (تقوس
بعد طول العمر ظهري * وداستني الليالي أي دوس) (
فأمشي والعصا تمشي أمامي * كأن قوامها وتر بقوس)
وكانت ولادة نظام الملك يوم الجمعة الحادي والعشرين
من ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة بنوقان إحدى مدينتي
طوس وتوجه صحبة ملك شاه إلى أصبهان فلما كانت ليلة
السبت عاشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة
أفطر وركب في محفته فلما بلغ إلى قرية قريبة من نهاوند
يقال لها سحنة قال هذا الموضع قتل فيه خلق كثير من
الصحابة زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله

عنهم أجمعين فطوبى لمن كان معهم فاعترضه في تلك الليلة صبي ديلمي على هيئة الصوفية معه قصة فدعا له وسأله تناولها فمد يده ليأخذها فضربه بسكين في فؤاده فحمل إلى مضربه فمات وقتل القاتل في الحال بعد أن هرب فعثر في طنب خيمة فوقع وركب السلطان إلى معسكره فسكنهم وعزاهم وحمل إلى أصبهان ودفن بها وقيل إن السلطان دس عليه من قتله فإنه سئم طول حياته واستكثر ما بيده من الاقطاعات ولم يعش السلطان بعده سوى خمسة وثلاثين يوما فرحمه الله تعالى لقد كان من حسنات الدهر ورثاه شبل الدولة أبو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري الاتي ذكره إن شاء الله تعالى وكان ختنه فإن نظام الملك زوجه ابنته فقال (كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * نفيسة صاغها الرحمن من شرف) (عزت فلم تعرف الأيام قيمتها * فردها غيرة منه إلى الصدف)

131 وقد قيل إنه قتل بسبب تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسروفيروز المعروف بابن دارست فإنه كان عدو نظام الملك وكان كبير المنزلة عند مخدومه ملك شاه فلما قتل رتبه موضعه في الوزارة ثم إن غلمان نظام الملك وثبوا عليه فقتلوه وقطعوه إربا إربا في ليلة الثلاثاء ثاني عشر المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة وعمره سبع وأربعون سنة وهو الذي بنى على قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى 180 فخر الكتاب

الجويني أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الملقب فخر الكتاب الجويني الأصل البغدادي الكاتب المشهور كتب كثيرا ونسخ كتبا توجد في أيدي الناس بأوفر الأثمان لجودة خطها ورغبتهم فيه وذكره العماد الكاتب في الخريدة وبالغ في الثناء عليه وقال كان من ندماء أتابك زنكي بالشام وأقام بعده عند ولده نور الدين محمود في ظل الإكرام ثم سافر إلى مصر في أيام ابن رزيك وتوطن بها إلى هذه الايام وليس بمصر الآن من يكتب مثله وأورد له مقطوع شعر كتبه إلى القاضي الفاضل ولولا أنه طويل لذكرته وتوفي سنة أربع وثمانين وقيل ست وثمانين وخمسمائة بالقاهرة رحمه الله تعالى

132   والجويني بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون هذه النسبة إلى جوين وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور ينسب إليها جماعة كثيرة من العلماء وكان كثيرا ما ينشد لبعض العراقيين (يندم المرء على ما فاته * من لبانات إذا لم يقضها) (وتراه فرجا مستبشرا * بالتي أمضى كأن لم يمضها) (إنها عندي وأحلام الكرى * لقريب بعضها من بعضها) 181

الكرابيسي صاحب الشافعي   أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنهما وأشهرهم بانتياب مجلسه وأحفظهم لمذهبه وله تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه وكان متكلما

عارفا بالحديث وصنف أيضا في الجرح والتعديل وغيره وأخذ عنه الفقه خلق كثير
133 وتوفي سنة خمس وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين ومائتين وهو أشبه بالصواب رحمه الله تعالى والكرابيسي بفتح الكاف والراء وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى الكرابيس وهي الثياب الغليظة واحدها كرباس بكسر الكاف وهو لفظ فارسي عرب وكان أبو علي المذكور يبيعها فنسب إليها 182 ابن خيران أبو علي الحسين بن صالح بن خيران الفقيه الشافعي كان من جلة الفقهاء المتورعين وأفاضل الشيوخ وعرض عليه القضاء ببغداد في خلافة المقتدر فلم يفعل فوكل الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بداره مترسما فخوطب في ذلك فقال إنما قصدت ذلك ليقال كان في زماننا من وكل بداره ليتقلد القضاء فلم يفعل وكان يعاتب أبا العباس ابن سريج على توليته ويقول هذا الأمر لم يكن فينا وإنما كان في أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه ومثل هذا دعا عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عمر فقال اذهب كن قاضيا قال أو تعفيني يا أمير المؤمنين قال لا اذهب كن قاضيا قال لا تعجل يا أمير المؤمنين ألم تسمع رسول الله يقول من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ قال بلى قال فإني أعوذ بالله أن أكون قاضيا قال وما يمنعك من ذلك وأبوك كان يقضي بين الناس قال يمنعني قول النبي

134 من كان قاضيا بين المسلمين فقضى بجهل فهو في النار ومن كان قاضيا بحق أو بعدل سأل أن ينفلت كفافا فما أرجو من القضاء بعد هذا وكانت وفاته يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة عشرين وثلثمائة قاله أبو العلاء ابن العسكري وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني توفي في حدود سنة عشر وثلثمائة وصوبه الحافظ أبو بكر الخطيب في ذلك وقال وهم أبو العلاء العسكري رحمه الله تعالى وخيران بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعد الألف نون 183 القاضي حسين أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروروذي الفقيه الشافعي المعروف بالقاضي صاحب التعليقة في الفقه كان إماما كبيرا صاحب وجوه غريبة في المذهب وكلما قال إمام الحرمين في كتاب نهاية المطلب والغزالي في الوسيط والبسيط وقال القاضي فهو المراد بالذكر لا سواه أخذ الفقه عن أبي بكر القفال المروزي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في العبادلة وصنف في الأصول والفروع والخلاف ولم يزل يحكم بين الناس ويدرس ويفتي وأخذ عنه الفقه جماعة من الأعيان منهم أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي صاحب كتاب التهذيب وكتاب شرح السنة وغيرهما

135 وتوفي في سنة اثنتين وستين وأربعمائة بمروروذ رحمه الله تعالى وقد تقدم الكلام على مروروذ في حرف الهمزة 184 أبو علي السنجي أبو علي

الحسين بن شعيب بن محمد السنجي الفقيه الشافعي أحمد
الأئمة المتقنين أخذ الفقه بخراسان عن أبي بكر عبد الله
القفال المروزي هو والقاضي حسين الذي تقدم ذكره
والشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين وسيأتي
ذكره إن شاء الله تعاى وشرح الفروع التي لأبي بكر ابن
الحداد المصري شرحا لم يقاربه فيه أحد مع كثرة
شروحها فإن القفال شيخه شرحها والقاضي أبو الطيب
الطبري شرحها وغيرهما وشرح أيضا كتاب التلخيص
لأبي العباس ابن القاص شرحا كبيرا وهو قليل الوجود وله
كتاب المجموع وقد نقل منه أبو حامد الغزالي في كتاب
الوسيط وهو أول من جمع بين طريقتي العراق وخراسان
وكان فقيه أهل مرو في عصره وكان يقال في عصره
الأئمة بخراسان ثلاثة مكثر محقق ومقل محقق ومكثر
غير محقق فالمكثر المحقق أبو علي السنجي والمقل
المحقق أبو محمد الجويني
136 والمكثر غير المحقق ناصر المروزي وكانت
وفاته في سنة نيف وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى
والسنجي بكسر السين المهملة وسكون النون وبعدها جيم
نسبة إلى سنج وهي قرية كبيرة من قرى مرو 185
الفراء البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد
المعروف بالفراء البغوي الملقب ظهير الدين الفقيه
الشافعي المحدث المفسر كان بحرا في العلوم وأخذ الفقه
عن القاضي حسين بن محمد كما تقدم في ترجمته وصنف

في تفسير كلام الله تعالى وأوضح المشكلات من قول النبي
وروى الحديث ودرس وكان لا يلقي الدرس إلا على
الطهارة وصنف كتبا كثيرة منها كتاب التهذيب في الفقه
وكتاب شرح السنة في الحديث ومعالم التنزيل في تفسير
القرآن الكريم وكتاب المصابيح والجمع بين الصحيحين
وغير ذلك توفي في شوال سنة عشر وخمسمائة
بمروروذ ودفن عند شيخه القاضي حسين بمقبرة الطالقان
وقبره مشهور هنالك رحمه الله تعالى ورأيت في كتاب
الفوائد السفرية التي جمعها الشيخ الحافظ زكي الدين
137 عبد العظيم المنذري أنه توفي في سنة ست
عشرة وخمسمائة ومن خطه نقلت هذا والله أعلم ونقلت
عنه أيضا أنه ماتت له زوجة فلم يأخذ من ميراثها شيئا
وأنه كان يأكل الخبز البحت فعذل في ذلك فصار يأكل
الخبز مع الزبيب والفراء نسبة إلى عمل الفراء وبيعها
والبغوي بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة وبعدها واو
هذه النسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهراة يقال لها بغ
وبغشور بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم
الشين وبعدها واو ساكنة ثم راء وهذه النسبة شاذة على
خلاف الأصل هكذا قال السمعاني في كتاب الأنساب 186
الحليمي أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم
الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني ولد بجرجان
سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وحمل إلى بخارى وكتب
الحديث عن أبي بكر محمد بن أحمد بن حبيب وغيره

وتفقه على أبي بكر الأودني وأبي بكر القفال ثم صار
إماما معظما مرجوعا إليه بما وراء
138 النهر وله في المذهب وجوه حسنة وحدث
بنيسابور وروى عنه الحافظ الحاكم وغيره وتوفي في
جمادي الاولى وقيل في شهر ربيع الأول سنة ثلاث
وأربعمائة رحمه الله تعالى ونسبته إلى جده حليم المذكور
187 الوني الحاسب أبو عبد الله الحسين بن محمد الوني
الفرضي الحاسب كان إماما في الفرائض وله فيها
تصانيف كبيرة مليحة أجاد فيها وسمع الحديث من
أصحاب أبي علي الصفار وغيرهم وسمع منه أبو حكيم
عبد الله بن إبراهيم الخبري صاحب التخليص في الحساب
والخطيب التبريزي وغيرهما وهو شيخ الخبري في علم
الحساب والفرائض وانتفع به وبكتبه خلق كثير وتوفي
شهيدا ببغداد في ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة
في فتنة البساسيري المقدم ذكره والوني بفتح الواو
وتشديد النون هذه النسبة إلى ون وهي قرية من أعمال
قهستان أظنه منها
139 188 ابن خميس الكعبي أبو عبد الله الحسين
بن نصر بن محمد بن الحسين بن القاسم بن خميس بن
عامر المعروف بابن خميس الكعبي الموصلي الجهني
الملقب تاج الإسلام مجد الدين الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن
أبي حامد الغزالي ببغداد وعن غيره وولي القضاء برحبة
مالك بن طوق ثم رجع إلى الموصل وسكنها وصنف كتبا

كثيرة منها مناقب الأبرار على أسلوب رسالة القشيري ومنها مناسك الحج وأخبار المنامات ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في تاريخه وأثنى عليه وكان يروي عن أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان الكلبي الغزي الشاعر المقدم ذكره في وزير عميد الدولة ابن جهير قوله (من آلة الدست لم يؤت الوزير سوى * . . . .
البيتين) وخميس جده الأعلى وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى والجهني بضم الجيم وفتح الهاء وبعدها نون هذه النسبة إلى جهينة وهي قرية قريبة من الموصل تجاور القرية التي فيها العين المعروفة بعين القيارة
140 التي ينفع الاستحمام بمائها من الفالج والرياح الباردة وهي مشهورة وهما في بر الموصل أسفل من الموصل وجهينة أقرب من عين القيارة وبالجهني أيضا نسبة إلى جهينة وهي قبيلة كبيرة من قضاعة والكعبي بفتح الكاف وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة هذه النسبة إلى بني كعب وهم أربع قبائل ينسب إليها ولا أعلم المذكور إلى أيها ينتسب والموصلي معروف 189
الحلاج أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور هو من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس ونشأ بواسط والعراق وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره والناس في أمره مختلفون فمنهم من يبالغ في تعظيمه ومنهم من يكفره ورأيت في كتاب مشكاة الأنوار تأليف أبي حامد

الغزالي فصلا طويلا في حاله وقد اعتذر عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله أنا الحق وقوله ما في الجبة إلا الله و هذه الإطلاقاتت التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها 141 وحملها كلها على محامل حسنة وأولها وقال هذا من فرط المحبة وشدة الوجد وجعل هذا مثل قول القائل (أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا) (فإذا أبصرتني أبصرته * وإذا أبصرته أبصرتنا) وكان ابتداء حاله على ما ذكره عز الدين ابن الأثير في تاريخه انه كان يظهر الزهد والتصوف والكرامات ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ويمد يده إلى الهواء ويعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب قل هو الله أحد ويسميها دراهم القدرة ويخبر الناس بما يأكلون وما يصنعون في بيوتهم ويتكلم بما في ضمائر الناس فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول وبالجملة فإن الناس اختلفوا فيه اختلافهم في المسيح عليه السلام فمن قائل إنه حل فيه جزء إلهي ويدعي فيه الربوبية ومن قائل إنه ولي الله تعالى وان الذي يظهر منه من جملة كرامات الصالحين ومن قائل انه ممخرق ومستغش وشاعر كذاب ومتكهن والجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة بغير أوانها وكان قدم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة فأقام بها سنة في الحجر لا يستظل تحت سقف شتاء ولا صيفا وكان يصوم الدهر فإذا جاء العشاء أحضر له لخادم كوز ماء وقرصا فيشربه ويعض من

القرص ثلاث عضات من جوانيه ويترك الباقي ولا يأكل شيئا آخر إلى آخر النهار وكان شيخ الصوفية بمكة عبد الله المغربي يأخذ أصحابه إلى زيارة الحلاج فلم يجده في الحجر وقيل قد صعد إلى جبل أبي قبيس فصعد إليه فرآه على صخرة حافيا مكشوف الرأس والعرق يجري منه إلى الأرض فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه وقال هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله وسوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته وعاد الحسين إلى بغداد انتهى كلام ابن الأثير

142 وكان في سنة 299 ادعى للناس أنه إله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف من الناس وانتشر له في الحاشية ذكر عظيم ووقع بينه وبين الشبلي وغيره من مشايخ الصوفية فبعث به المقتدر إلى عيسى ليناظره فأحضر مجلسه وخاطبه خطابا فيه غلظة فحكي انه تقدم إليه وقال له فيما بينه وبينه قف من حيث انتهيت ولا تزد علي شيئا وإلا خسفت الأرض من تحتك وكلاما في هذا المعنى فتهيب عيسى مناظرته واستعفى منها فنقل في سنة 309 إلى حامد بن العباس الوزير فحدث غلام لحامد كان موكلا بالحلاج قال دخلت عليه يوما ومعي الطبق الذي عادتي أن أقدمه إليه كل يوم فوجدته قد ملأ البيت بنفسه وهو من سقفه إلى أرضه وجوانبه ليس فيه موضع فهالني ما رأيت منه ورميت الطبق من يدي وهربت وحم هذا الغلام من هول ما رأى وبقي مدة محموما فكذبه حامد

وشتمه وقال ابعد عني وكان دخوله إلى بغداد مشهرا على جمل وحبس في دار المقتدر وأفتى العلماء بإباحة دمه
وكان الحلاج قد أنفذ أحد أصحابه إلى بلد من بلدان الجبل ووافقه على حيلة يعملها فخرج الرجل فأقام عندهم سنتين يظهر النسك والعبادة وقراءة القرآن والصوم فغلب على البلد حتى إذا تمكن أظهر أنه عمي فكان يقاد إلى مسجده ويتعامى في كل أحد شهورا ثم أظهر أنه زمن فكان يحبو ويحمل إلى المسجد حتى مضت سنة وتقرر في النفوس عماه وزمانته فقال لهم بعد ذلك رأيت النبي في النوم يقول انه يطرق هذا البلد عبد صالح مجاب الدعوة تكون عافيتك على يديه ودعائه فاطلبوا لي كل من يجتاز من الفقراء أو من الصوفية لعل الله تعالى أن يفرج عني فتعلقت النفوس لورود العبد الصالح ومضى الأجل الذي بينه وبين الحلاج فقدم البلد ولبس الثياب الصوف الرقاق وتفرد في الجامع فقال الأعمى احملوني إليه فلما حصل عنده وعلم أنه الحلاج قال له يا عبد الله رأيت في النوم كذا وكذا فادع الله تعالى لي فقال ومن أنا وما تحكي ثم دعا له ومسح يده عليه فقام مبصرا صحيحا فانقلب البلد وكثر الناس على الحلاج فتركهم وخرج من البلد وأقام المتعامي المبرأ مما فيه

143 شهورا ثم قال لهم ان من حق الله عندي ورده جوارحي علي أن أنفرد بالعبادة انفرادا أكثر من هذا وأن يكون مقامي في الغزو وقد عملت على الخروج إلى

طرسوس فمن كانت له حاجة يحملها فأخرج هذا ألف درهم وقال اغز بهذه عني وأخرج هذا مائة دينار وقال اخرج بها غزاة من هناك وأعطاه كل أحد شيئا فاجتمع له ألوف دنانير ودراهم فلحق بالحلاج وقاسمه عليها وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد وزير المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر وقد قرئ عليه رقعة بخطه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه افرد في داره شيئا لا يلحقه نجاسة ولا يدخله أحد ومنع من يطرقه فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله طوافه بالبيت الحرام فإذا انقضى ذلك وقضى من المناسك ما يقضي بمكة مثله جمع ثلاثين يتيما وعمل لهم ما يمكنه من الطعام وأحضرهم إلى ذلك البيت وقدم إليهم ذلك الطعام وتولى خدمتهم بنفسه فإذا أكلوا وغسلوا أيديهم كسا كل واحد منهم قميصا ودفع إليه سبعة دراهم أو ثلاثة فإذا فعل ذلك قام له قيام الحج فلما فرغ منها التفت إليه أبو عمر القاضي وقال له من أين لك هذا قال من كتاب الإخلاص للحسن البصري فقال له أبو عمر كذبت يا حلاج اللهم قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة وليس فيه شيء مما ذكرت الخ ومن الشعر المنسوب إليه على اصطلاحهم وإشاراتهم قوله (لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولا * لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن) وقوله أيضا على هذا الاصطلاح (ألقاه في اليم مكتوفا وقال له * إياك إياك أن تبتل بالماء)

144 وغير ذلك مما يجري هذا المجرى وينبني على هذا الأسلوب وقال أبو بكر ابن ثوابة القصري سمعت الحسين بن منصور وهو على الخشبة يقول (طلبت المستقر بكل أرض * فلم أر لي بأرض مستقرا) (أطعت مطامعي فاستعبدتني * ولو أني قنعت لكنت حرا) والبيت الذي قبل قوله (لا كنت إن كنت أدري *) (أرسلت تسأل عني كيف كنت وما * لاقيت بعدك من هم ومن حزن) وقيل إن بعضهم كتب إلى أبي القاسم سمنون بن حمزة الزاهد يسأله عن حاله فكتب إليه هذين البيتين والله أعلم وبالجملة فحديثه طويل وقصته مشهورة والله يتولى السرائر وكان جده مجوسيا وصحب هو أبا القاسم الجنيد ومن في طبقته وأفتى أكثر علماء عصره بإباحة دمه ويقال إن أبا العباس ابن سريج كان إذا سئل عنه يقول هذا رجل خفي عني حاله وما أقول فيه شيئا وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير الإمام المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر فأفتى بحل دمه وكتب خطه بذلك وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء فقال لهم الحلاج ظهري حمى ودمي حرام وما يحل لكم أن تتأولوا علي بما يبيحه وأنا اعتقادي الإسلام ومذهبي السنة وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشيدين وبقية العشرة من

145 الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين فالله في دمي ولم يزل

يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه ونهضوا من المجلس وحمل الحلاج إلى السجن وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بما جرى في المجلس وسير الفتوى فعاد جواب المقتدر بأن القضاة إذا كانوا قد أفتوا بقتله فليسلم إلى صاحب الشرطة وليتقدم إليه بضربه ألف سوط فإن مات من الضرب وإلا ضربه ألف سوط أخرى ثم تضرب عنقه فسلمه الوزير إلى للشرطي وقال له ما رسم به المقتدر وقال إن لم يتلف بالضرب فتقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم تحز رقبته وتحرق جثته وإن خدعك وقال لك أنا أجري الفرات ودجلة ذهباً وفضة فلا تقبل ذلك منه ولا ترفع العقوبة عنه فتسلمه الشرطي ليلاً وأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين وقيل لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلثمائة فأخرجه عند باب الطاق واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم وضربه الجلاد ألف سوط ولم يتأوه بل قال الشرطي لما بلغ ستمائة ادع بي إليك فإن لك عندي نصيحة تعدل فتح قسطنطينية فقال له قد قيل لي عنك إنك تقول هذا وأكثر منه وليس إلى أن أرفع الضرب عنك سبيل فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ثم حز رأسه وأحرق جثته ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة ونصب الرأس ببغداد على الجسر وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوما واتفق ان زادت دجلة في تلك السنة زيادة وافرة فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها

وادعى بعض أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقي شبهه على عدو له وادعى بعضهم أنه رآه في ذلك اليوم بعد الذي عاينوه من الحال التي جرت عليه وهو راكب على حمار في طريق النهروان وقال لهم لعلكم مثل هؤلاء النفر الذين ظنوا أني هو المضروب والمقتول ومن شعره المنسوب إليه

146 (متى سهرت عيني لغيرك أو بكت * فلا بلغت ما أملت وتمنت) (وإن أضمرت نفسي سواك فلا رعت * بأرض المنى من وجنتيك وجنت) وشرح حاله فيه طول وفيما ذكرناه كفاية والحلاج بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام وبعدها ألف ثم جيم وإنما لقب بذلك لأنه جلس على حانوت حلاج واستقضاه شغلا فقال الحلاج أنا مشتغل بالحلج فقال له أمض في شغلي حتى أحلج عنك فمضى الحلاج وتركه فلما عاد رأى قطنه جميعه محلوجا وقيل إنه كان يتكلم قبل أن ينسب إليه على الأسرار ويخبر عنها فسمي بذلك حلاج الأسرار والبيضاء بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الضاد المعجمة وبعدها همزة ممدودة قلت وبعد الفراغ من هذه الترجمة وجدت في كتاب الشامل في أصول الدين تصنيف الشيخ العلامة إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد الجويني رحمهما الله تعالى الآتي ذكره إن شاء الله تعالى فضلاً ينبغي ذكره ههنا والتنبيه على الوهم الذي وقع فيه فإنه قال وقد ذكر طائفة من الأثبات

الثقات إن هؤلاء الثلاثة تواصوا على قلب الدولة والتعرض لإفساد المملكة واستعطاف القلوب واستمالتها وارتاد كل واحد منهم قطراً أما الجنابي فأكناف الأحساء وابن المقفع توغل في أطراف بلاد الترك وارتاد الحلاج قطر بغداد فحكم عليه صاحباه بالهلكة والقصور عن درك الأمنية لبعد أهل العراق عن الانخداع هذا آخر كلام إمام الحرمين رحمه الله قلت وهذا كلام لا يستقيم عند أرباب التواريخ لعدم اجتماع الثلاثة المذكورين في وقت واحد اما الحلاج والجنابي فيمكن اجتماعهما لأنهما كانا في عصر واحد ولكن لا أعلم هل اجتمعا أم لا والمراد بالجنابي هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي رئيس القرامطة

147 وحديثهم وحروبهم وخروجهم على الخلفاء والملوك مشهور فلا حاجة إلى الإطالة بشرحه في هذا المكان بل إن يسر الله تعالى تحرير التاريخ الكبير فسأذكر فيه حديثهم مستوفى إن شاء الله تعالى وبعد أن جرى ذكرهم فينبغي أن نذكر منه فصلاً مختصراً ههنا حتى لا يخلو هذا الكتاب من حديثهم فأقول إن شيخنا عز الدين أبا الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير ذكر في تاريخه الكبير الذي سماه الكامل أول أمرهم وأطال الحديث فيه وشرح في كل سنة ما كان يجري لهم فيها فاخترت ههنا شيئاً من ذلك طلباً للإيجاز وأول ما شرع فيه في سنة ثمان وسبعين ومائتين فقال في هذه السنة

تحرك قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة ثم بسط القول في ابتداء أمرهم وحاصله أن رجلاً أظهر العبادة والزهد والتقشف وكان يسف الخوص ويأكل من كسبه وكان يدعو الناس إلى إمام من أهل البيت رضي الله عنهم وأقام على ذلك مدة فاستجاب له خلق كثير وجرت له أحوال أوجبت له حسن الاعتقاد فيه وانتشر ذكرهم بسواد الكوفة (23)
ثم قال شيخنا ابن الأثير بعد هذا في سنة ست وثمانين ومائتين وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي بالبحرين واجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة وقوي أمره فقتل من حوله من أهل تلك القرى وكان أبو سعيد المذكور يبيع للناس الطعام ويحسب لهم بيعهم ثم عظم أمرهم وقربوا من نواحي البصرة فجهز إليهم الخليفة المعتضد بالله جيشاً يقاتلهم مقدمه العباس بن عمرو الغنوي فتواقعوا وقعة شديدة وانهزم أصحاب العباس وأسر العباس وكان ذلك في آخر شعبان سنة سبع وثمانين فيما بين البصرة والبحرين وقتل أبو سعيد الأسرى وأحرقهم واستبقى
148 العباس ثم أطلقه بعد أيام وقال له امض إلى صاحبك وعرفه ما رأيت فدخل بغداد في شهر رمضان من السنة وحضر بين يدي المعتضد فخلع عليه ثم إن القرامطة دخلوا بلاد الشام في سنة تسع وثمانين ومائتين وجرت بين الطائفتين وقعات يطول شرحها ثم قتل أبو سعيد المذكور في سنة إحدى وثلثمائة قتله خادم له في

الحمام وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد ولما قتل أبو سعيد كان قد استولى على هجر والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين (24) وفي سنة إحدى عشرة وثلثمائة في شهر ربيع الآخر منها قصد أبو طاهر وعسكره البصرة وملكوها بغير قتال بل صعدوا إليها ليلاً بسلالم الشعر فلما حصلوا بها وأحسوا بهم ثاروا إليهم فقتلوا متولي البلاد ووضعوا السيف في الناس فهربوا منهم وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منها الأموال ثم عاد إلى بلده ولم يزالوا يعيشون في البلاد ويكثرون فيها الفساد من القتل والسبي والنهب والحريق إلى سنة سبع عشرة وثلثمائة فحج الناس فيها وسلموا في طريقهم ثم وافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية فنهبوا أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه وقلع الحجر الأسود وأنفذه إلى هجر فخرج إليه أمير مكة في جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أجمعين وقلع باب الكعبة وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط فمات وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين في المسجد الحرام من غير كفن ولا غسل ولا صلاة على أحد منهم وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ونهب دور أهل مكة فلما بلغ ذلك المهدي عبيد الله صاحب إفريقية الآتي ذكره إن شاء الله تعالى كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة ويقول له حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا الكفر واسم الإلحاد بما قد فعلت فإن لم

149 ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما قد أخذت منهم وترد الحجر الأسود إلى مكانه وترد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة فرده ثم ذكر شيخنا ابن الأثير في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة أن القرامطة ردوا الحجر إلى مكة وقالوا أخذناه بأمر وأعدناه بأمر وكان بجكم التركي أمير بغداد والعراق قد بذل لهم في رده خمسين ألف دينار فلم يردوه وردوه الآن وقال غير شيخنا إنهم ردوه إلى مكانه من الكعبة المعظمة لخمس خلون من ذي القعدة وقيل من ذي الحجة من السنة في خلافة المطيع لله وإنه لما أخذوه تفسخ تحته ثلاثة جمال قوية من ثقله وحملوه لما أعادوه على جمل واحد ضعيف فوصل به سالماً قلت وهذا الذي ذكره شيخنا من كتاب المهدي إلى القرمطي في معنى الحجر وأنه رده لذلك لا يستقيم لأن المهدي توفي سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وكان رد الحجر في سنة تسع وثلاثين فقد ردوه بعد موته بسبع عشرة سنة والله أعلم ثم قال شيخنا عقيب هذا ولما أرادوا رده حملوه إلى الكوفة وعلقوه بجامعها حتى رآه الناس ثم حملوه إلى مكة وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة قلت وقد ذكر غير شيخنا أن الذي رده هو ابن سنبر وكان من خواص أبي سعيد ثم ذكر شيخنا في سنة ستين وثلثمائة أن القرامطة وصلوا إلى دمشق فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح نائب

المصريين وقد سبق في ترجمة جعفر المذكور طرف من
خبر هذه القضية ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عين شمس
وهي على باب القاهرة وظهروا عليهم ثم انتصر أهل
مصر عليهم فرجعوا عنهم قلت وعلى الجملة فالذي فعلوه
في الإسلام لم يفعله أحد قبلهم ولا بعدهم من
150 المسلمين وقد ملكوا كثيراً من بلاد العراق
والحجاز وبلاد الشرق والشام إلى باب مصر ولما أخذوا
الحجر تركوه عندهم في هجر وقتل أبو طاهر المذكور في
سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة والقرمطي بكسر القاف
وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة والقرمطة
في اللغة تقارب الشيء بعضه من بعض يقال خط مقرمط
ومشي مقرمط إذا كان كذلك وكان أبو سعيد المذكور
قصيراً مجتمع الخلق أسمر كريه المنظر فلذلك قيل له
قرمطي وقد ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني فصلاً طويلاً
من أحوالهم في كتاب كشف أسرار الباطنية وأما الجنابي
فإنه بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الألف باء موحدة وهذه
النسبة إلى جنابة وهي بلدة من أعمال فارس متصلة
بالبحرين عند سيراف والقرامطة منها فنسبوا إليها
والأحساء بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وبعدها سين
مهملة ثم همزة ممدودة وهي كورة في تلك الناحية فيها
بلاد كثيرة منها جنابة المذكورة وهجر والقطيف وهي
بفتح القاف وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من
تحتها وبعدها فاء وغير ذلك من البلاد والاحساء جمع

حسي بكسر الحاء وسكون السين المهملة والحسي ماء تنشفه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه ولما كانت هذه الأرض كثيرة الأحساء سميت بهذا الاسم وصار علماً عليها لا تعرف إلا به وأما البحرين فقد قال الجوهري في كتاب الصحاح البحرين بلد والنسبة إليه بحراني وقال الأزهري إنما ثنوا البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء وقرى هجر بينها وبين البحر الأخضر الأعظم عشرة فراسخ وقدرت البحيرة ثلاثة أميال في مثلها ولا يغيض ماؤها وهو راكد زعاق وهذه النواحي كلها بلاد العرب وهي وراء البصرة تتصل بأطراف الحجاز وهي على ساحل البحر المتصل باليمن والهند بالقرب من جزيرة قيس ابن عميرة وهي التي تسميها العامة كيش وهي في وسط البحر بين عمان وبلاد فارس وفي تلك الناحية أيضاً رامهرمز وغيرها من البلاد والله أعلم

151 (25) وأما ابن المقفع فهو عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة صاحب الرسائل البديعة وهو من أهل فارس وكان مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور الخليفتين الأولين من خلفاء بني العباس ثم كتب له واختص به ومن كلامه شربت من الخطب ريا ولم أضبط لها رويا فغاضت ثم فاضت فلا هي هي نظاما وليست غيرها كلاما وقال الهيثم ابن عدي جاء

ابن المقفع إلى عيسى بن علي فقال له قد دخل الاسلام في قلبي وأريد أن أسلم على يدك فقال له عيسى ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فإذا كان الغد فاحضر ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس فقال له عيسى أتزمزم وأنت على عزم الإسلام فقال أكره أن أبيت على غير دين فلم أصبح أسلم على يده وكان ابن المقفع مع فضله يتهم بالزندقة فحكى الجاحظ أن ابن المقفع ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد كانوا يتهمون في دينهم قال بعضهم فكيف نسي الجاحظ نفسه وكان المهدي بن المنصور الخليفة يقول ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع وقال الأصمعي صنف ابن المقفع المصنفات الحسان منها الدرة اليتيمة التي لم يصنف في فنها مثلها وقال الأصمعي قيل لابن المقفع من أدبك فقال نفسي إذا رأيت من غيري حسنا أتيته وإن رأيت قبيحاً أبيته واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد صاحب العروض فلما افترقا قيل للخليل كيف رأيته فقال علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخلل فقال عقله أكثر من عمله ويقال إن ابن
152 المقفع هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة وقيل إنه لم يضعه وإنما كان باللغة الفارسية فعربه ونقله إلى العربية وإن الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه وكان ابن المقفع يعبث بسفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أمير البصرة وينال من أمه ولا

يسميه إلا بابن المغتلمة وكثر ذلك منه فقدم سليمان وعيسى ابنا علي البصرة وهما عما المنصور ليكتبا أماناً لأخيهما المنصور وطلب الخلافة لنفسه فأرسل إليه المنصور جيشاً مقدمه أبو مسلم الخراساني فانتصر أبو مسلم عليه وهرب عبد الله بن علي إلى أخويه سليمان وعيسى واستتر عندهما خوفاً على نفسه من المنصور فتوسطا له عند المنصور ليرضي عنه ولا يؤاخذه بما جرى منه فقبل شفاعتهما واتفقوا على أن يكتب له أمان من المنصور وهذه الواقعة مشهورة في كتب التواريخ وقد أتيت منها في هذا المكان بما تدعو الحاجة إليه لينبتي الكلام بعضه على بعض فلما أتيا البصرة قالا لعبد الله بن المقفع اكتبه أنت وبالغ في التأكيد كي لا يقتله المنصور وقد ذكرت أن ابن المقفع كان كاتباً لعيسى بن علي فكتب ابن المقفع الأمان وشدد فيه حتى قال في جملة فصوله ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته وكان ابن المقفع يتنوق في الشروط فلما وقف عليه المنصور عظم ذلك عليه وقال من كتب هذا فقالوا له رجل يقال له عبد الله بن المقفع يكتب لأعمامك فكتب إلى سفيان متولي البصرة المقدم ذكره يأمره بقتله وكان سفيان شديد الخنق عليه للسبب الذي تقدم ذكره فاستأذن ابن المقفع يوماً على سفيان فأخر إذنه حتى خرج من كان عنده ثم أذن له فدخل فعدل به إلى حجرة فقتل فيها وقال المدائني لما

دخل ابن المقفع على سفيان قال له أتذكر ما كنت تقول في أمي فقال أنشدك الله أيها الأمير في نفسي فقال أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد وأمر بتنور فسجر ثم أمر بابن المقفع

153 فقطعت أطرافه عضواً عضواً وهو يلقيها في التنور وهو بنظر حتى أتى على جميع جسده ثم أطبق عليه التنور وقال ليس علي في المثلة بك حرج لأنك زنديق وقد أفسدت الناس وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل إنه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها فخاصماه إلى المنصور وأحضراه إليه مقيداً وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج فأقاموا الشهادة عند المنصور فقال لهم المنصور أنا أنظر في هذا الأمر ثم قال لهم أرأيتم إن قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت وأشار إلى باب خلفه وخاطبكم ما تروني صانعاً بكم أأقتلكم بسفيان فرجعوا كلهم عن الشهادة وأضرب عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا أن قتله كان برضا المنصور ويقال إنه عاش ستاً وثلاثين سنة وذكر الهيثم بن عدي أن ابن المقفع كان يستخف بسفيان كثيرا وكان أنف سفيان كبيراً فكان إذا دخل عليه قال السلام عليكما يعني نفس وأنفه وقال له يوما ما تقول في شخص مات وخلف زوجاً وزوجة يسخر به على رؤوس الناس وقال سفيان يوماً ما ندمت على سكوت قط فقال له ابن المقفع الخرس زين لك فكيف تندم عليه وكان سفيان يقول والله لأقطعنه إرباً إرباً

وعينة تنظر وعزم على أن يغتاله فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله وقال البلاذري لم قدم عيسى بن علي البصرة في أمر أخيه عبد الله بن علي قال لابن المقفع اذهب إلى سفيان في أمر كذا وكذا فقال ابعث إليه غيري فإني أخاف منه فقال اذهب فأنت في أماني فذهب إليه ففعل به ما ذكرناه وقيل إنه ألقاه في بئر المخرج وردم عليه الحجارة وقيل أدخله حماماً وأغلق عليه بابه فاختنق قلت ذكر صاحبنا شمس الدين أبو المظفر يوسف الواعظ سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ المشهور في تاريخه الكبير الذي سماه مرآه الزمان أخبار ابن المقفع وما جرى له وقتله في سنة خمس وأربعين ومائة ومن عادته أن يذكر كل واقعة في السنة التي كانت فيها فيدل على أن قتله كان في السنة المذكورة وفي كلام عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة ما يدل على أن ذلك كان في سنة اثنتين وأربعين ومائة أو ثلاث وأربعين ولا خلاف في أن سليمان بن علي المقدم ذكره مات في سنة اثنتين وأربعين ومائة وقد ذكرنا أنه قام مع أخيه عيسى بن علي في طلب ثأر ابن المقفع فيدل أيضاً على أنه قتل في هذه السنة والله أعلم وابن المقفع له شعر وهو مذكور في كتاب الحماسة وسيأتي في ترجمة أب عمرو ابن العلاء المقرىء له مرثية فيه وقد قيل إنها لولده محمد بن عبد الله ابن المقفع على ما ذكرته هناك من الخلاف فلينظر فيه وكيفما كان فإن تاريخ قتله لم يكن بعد سنة خمس وأربعين

ومائة وإنما كان فيها أو فيما قبلها وإذا كان كذلك فكيف يتصور أن يجتمع بالحلاج والجنابي كما ذكره إمام الحرمين رحمه الله تعالى ومن ها هنا حصل الغلط وأيضاً فإن ابن المقفع لم يفارق العراق فكيف يقول إنه توغل في بلاد الترك وإنما كان مقيماً بالبصرة ويتردد في بلاد العراق ولم تكن بغداد موجودة في زمنه فإن المنصور أنشأها في مدة خلافته فاختطها في سنة أربعين ومائة واستتم بناءها ونزلها في سنة ست وأربعين وفي سنة تسع وأربعين تم جميع بنائها وهي بغداد القديمة التي كانت بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث المروي عن رسول الله أنه تنشأ مدينة في هذا المكان وهذا الحديث هو الذي ذكره الخطيب أبو بكر البغدادي في أول تاريخه الكبير وقد غاب عني الآن لفظه فلهذا لم أذكره وبغداد في هذا الزمان هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وهي قاعدة الملك في هذا الوقت وكان السفاح وأخوه المنصور قد نزلا بالكوفة ثم بنى السفاح بليدة عند الأنبار سماها الهاشمية فانتقلا إليها ثم انتقلا إلى الأنبار وبها مات السفاح وقبره ظاهر بها وأقام المنصور على ذلك إلى أن بنى بغداد فانتقل اليها
154 السنة المذكورة وفي كلام عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة ما يدل على أن ذلك كان في سنة اثنتين وأربعين ومائة أو ثلاث وأربعين ولا خلاف في أن سليمان بن علي المقدم ذكره مات في سنة اثنتين وأربعين

ومائة وقد ذكرنا أنه قام مع أخيه عيسى بن علي في طلب ثأر ابن المقفع فيدل أيضاً على أنه قتل في هذه السنة والله أعلم وابن المقفع له شعر وهو مذكور في كتاب الحماسة وسيأتي في ترجمة أب عمرو ابن العلاء المقرىء له مرثية فيه وقد قيل إنها لولده محمد بن عبد الله ابن المقفع على ما ذكرته هناك من الخلاف فلينظر فيه وكيفما كان فإن تاريخ قتله لم يكن بعد سنة خمس وأربعين ومائة وإنما كان فيها أو فيما قبلها وإذا كان كذلك فكيف يتصور أن يجتمع بالحلاج والجنابي كما ذكره إمام الحرمين رحمه الله تعالى ومن ها هنا حصل الغلط وأيضاً فإن ابن المقفع لم يفارق العراق فكيف يقول إنه توغل في بلاد الترك وإنما كان مقيماً بالبصرة ويتردد في بلاد العراق ولم تكن بغداد موجودة في زمنه فإن المنصور أنشأها في مدة خلافته فاختطها في سنة أربعين ومائة واستتم بناءها ونزلها في سنة ست وأربعين وفي سنة تسع وأربعين تم جميع بنائها وهي بغداد القديمة التي كانت بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث المروي عن رسول الله أنه تنشأ مدينة في هذا المكان وهذا الحديث هو الذي ذكره الخطيب أبو بكر البغدادي في أول تاريخه الكبير وقد غاب عني الآن لفظه فلهذا لم أذكره وبغداد في هذا الزمان هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وهي قاعدة الملك في هذا الوقت وكان السفاح وأخوه المنصور قد نزلا بالكوفة ثم بنى السفاح بليدة عند

الأنبار سماها الهاشمية فانتقلا إليها ثم انتقلا إلى الأنبار وبها مات السفاح وقبره ظاهر بها وأقام المنصور على ذلك إلى أن بنى بغداد فانتقل اليها

155 والمقفع بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء وفتحها وبعدها عين مهملة واسمه داذويه وكان الحجاج بن يوسف الثقفي في أيام ولايته العراق وبلاد فارس قد ولاه خراج فارس فمد يده وأخذ الأموال فعذبه فتقفعت يده فقيل له المقفع وقيل بل ولاه خالد بن عبد الله القسري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى وعذبه يوسف بن عمر الثقفي الآتي ذكره لما تولى العراق بعد خالد والله أعلم أي ذلك كان وقال ابن مكي في كتاب تثقيف اللسان ويقولون ابن المقفع والصواب ابن المقفع بكسر الفاء لأن أباه كان يعمل القفاع ويبيعها قلت والقفاع بكسر القاف جمع قفعة بفتح القاف وهي شيء يعمل من الخوص شبيه الزبيل لكنه بغير عروة والقول الأول هو المشهور بين العلماء وهو فتح الفاء قلت ولما وقفت على كلام إمام الحرمين رحمه الله تعالى ولم يمكن أن يكون ابن المقفع أحد الثلاثة المذكورين قلت لعله أراد المقنع الخراساني الذي ادعى الربوبية وأظهر القمر كما شرحته في ترجمته بعد هذا في حرف العين فإن اسمه عطاء ويكون الناسخ قد حرف كلام إمام الحرمين فأراد أن يكتب المقنع فكتب المقفع فإنه يقرب منه في الخط فيكون الغلط والتحريف من الناسخ لا من الإمام ثم أفكرت في أنه لا يستقيم أيضاً لأن المقنع الخراساني

قتل نفسه بالسم في سنة ثلاث وستين ومائة كما ذكرناه في ترجمته فما أدرك الحلاج والجنابي أيضاً (26) وإذا أردنا تصحيح هذا القول وأن ثلاثة اجتمعوا واتفقوا على الصورة التي ذكرها إمام الحرمين فما يمكن أن يكون الثالث إلا ابن الشلمغاني فإنه كان في عصر الحلاج والجنابي وأموره كلها مبنية على التمويهات وقد ذكره جماعة من أرباب التاريخ فقال شيخنا عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير في سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فصلاً طويلاً اختصرته وهو وفي هذه

156 السنة قتل أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر وسبب ذلك أنه أحدث مذهباً غالياً في التشيع والتناسخ وحلول الإلهية فيه إلى غير ذلك مما يحكيه وأظهر ذلك من فعله أبو القاسم الحسين بن روح الذي تسميه الامامية الباب فطلب ابن الشلمغاني فاستتر وهرب إلى الموصل وأقام سنين ثم انحدر إلى بغداد وظهر عنه أنه يدعي الربوبية وقيل إنه تبعه على ذلك الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الذي وزر للمقتدر بالله وابنا بسطام وإبراهيم بن أحمد بن أبي عون وغيرهم وطلبوا في أيام وزارة ابن مقلة للمقتدر فلم يوجدوا فلما كان في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ظهر ابن الشلمغاني فقبض عليه ابن مقلة وحبسه وكبس داره فوجد فيها رقاعاً وكتباً ممن يدعي أنه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً

فعرضت على ابن الشلمغاني فأقر أنها خطوطهم وأنكر مذهبه وأظهر الإسلام وتبرأ مما يقال فيه وأحضر ابن أبي عون وابن عبدوس معه عند الخليفة فأمرا بصفعه فامتنعا فلما أكرها مد ابن عبدوس يده فصفعه وأما ابن أبي عون فإنه مد يده إلى لحيته ورأسه وارتعدت يده وقبل لحية ابن الشلمغاني ورأسه وقال إلهي وسيدي ورازقي فقال له الخليفة الراضي بالله قد زعمت أنك لا تدعي الإلهية فما هذا فقال وما علي من قول ابن أبي عون والله يعلم أنني ما قلت له إنني إله قط فقال ابن عبدوس إنه لم يدع إلهية إنما ادعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر ثم أحضروا مرات ومعهم الفقهاء والقضاة وفي آخر الأمر أفتى الفقهاء بإباحة دمه فأحرق بالنار في ذي القعدة من سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة (27) وذكره محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد في ترجمة ابن أبي عون المذكور وقال إن ابن أبي عون ضربت عنقه بعد أن ضرب بالسياط ضرباً مبرحاً لمتابعته ابن الشلمغاني وصلب ثم أحرق بالنار وذلك في يوم الثلاثاء لليلة خلت من ذي القعدة من السنة المذكورة قلت وابن أبي عون هو صاحب التصانيف المليحة منها التشبيهات والأجوبة المسكتة وغير ذلك وكان من أعيان الكتاب

157 والشلمغاني بفتح الشين المعجمة وسكون اللام وبعدها ميم ثم غين معجمة وبعد الألف نون هذه النسبة إلى شلمغان وهي قرية بنواحي واسط وقد ذكره السمعاني في

كتاب الأنساب أيضا والله أعلم 190 ابن سينا الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور كان أبوه من أهل بلخ وانتقل منها إلى بخارى وكان من العمال الكفاة وتولى العمل بقرية من ضياع بخارى يقال لها خرميثنا من أمهات قراها وولد الرئيس أبو علي وكذلك أخوه بها واسم أمه ستارة وهي من قرية يقال لها أفشدنة بالقرب من خرميثنا ولما ولد أبو علي كان الطالع السرطان درجة شرف المشتري والقمر على شرف درجته والزهرة على درجة شرفها وسهم السعادة في تسع من السرطان وسهم الغيب في أول السرطان مع سهيل والشعرى اليمانية ثم انتقلوا إلى بخارى وتنقل الرئيس بعد ذلك في البلاد واشتغل بالعلوم وحصل الفنون ولما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز والأدب وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة ثم توجه
158 نحوهم الحكيم أبو عبد الله الناتلي فأنزله أبو الرئيس أبي علي عنده فابتدأ أبو علي يقرأ عليه كتاب إيساغوجي وأحكم عليه علم المنطق وإقليدس والمجسطي وفاقه أضعافاً كثيرة حتى أوضح له منها رموزاً وفهمه إشكالات لم يكن للناتلي يد بها وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد يقرأ ويبحث ويناظر ولما توجه الناتلي نحو خوارزم شاه مأمون بن محمد اشتغل أبو علي بتحصيل العلوم كالطبيعي والإلهي وغير ذلك ونظر في

النصوص والشروح وفتح الله عليه أبواب العلوم ثم رغب بعد ذلك في علم الطب وتأمل الكتب المصنفة فيه وعالج تأدباً لا تكسباً وعلمه حتنفاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة وأصبح فيه عديم القرين فقيد المثل واختلف إليه فضلاء هذا الفن وكبراؤه يقرؤون عليه أنواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة وسنه إذ ذاك نحو ست عشرة سنة وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكمالها ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد الجامع وصلى ودعا الله عز وجل أن يسهلها عليه ويفتح مغلقها له وذكر عند الأمير نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان في مرض مرضه فأحضره وعالجه حتى بريء واتصل به قرب منه ودخل إلى دار كتبه وكانت عديمة المثل فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلاً عن معرفته فظفر أبو علي فيها بكتب من علم الأوائل وغيرها وحصل نخب فوائدها واطلع على أكثر علومها واتفق بعد ذلك احتراق تلك الخزانة فتفرد أبو علي بما حصله من علومها وكان يقال إن أبا علي توصل إلى إحراقها لينفرد بمعرفة ما حصله منها وينسبه إلى نفسه ولم يستكمل ثماني عشرة سنة من عمره إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها التي عاناها وتوفي أبوه وسن أبي علي اثنتان وعشرون سنة وكان يتصرف

159 هو ووالده في الأحوال ويتقلدان للسلطان الأعمال ولما اضطربت أمور الدولة السامانية خرج أبو علي من بخارى إلى كركانج وهي قصبة خوارزم واختلف إلى خوارزم شاه علي بن مأمون بن محمد وكان أبو علي على زي الفقهاء ويلبس الطيلسان فقرروا له في كل شهر ما يقوم به ثم انتقل إلى نسا وأبيورد وطوس وغيرها من البلاد وكان يقصد حضرة الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير في أثناء هذه الحال فلم أخذ قابوس وحبس في بعض القلاع حتى مات كما سيأتي شرحه في ترجمته في حرف القاف من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ذهب أبو علي إلى دهستان ومرض بها مرضاً صعباً وعاد إلى جرجان وصنف بها الكتاب الأوسط ولهذا يقال له الأوسط الجرجاني واتصل به الفقيه أبو عبيد الجوزجاني واسمه عبد الواحد ثم انتقل إلى الري واتصل بالدولة ثم إلي قزوين ثم إلى همذان وتولى الوزارة لشمس الدولة ثم تشوش العسكر عليه فأغاروا على داره ونهبوها وقبضوا عليه وسألوا شمس الدولة قتله فامتنع ثم أطلق فتوارى ثم مرض شمس الدولة بالقولنج فأحضره لمداواته واعتذر إليه وأعاده وزيرا ثم مات شمس الدولة وتولى تاج الدولة فلم يستوزره فتوجه إلى أصبهان وبها علاء الدولة أبو جعفر ابن كاكويه فأحسن إليه وكان أبو علي قوي المزاج وتغلب عليه قوة الجماع حتى أنهكته ملازمته وأضعفه ولم يكن يداوي مزاجه وعرض له قولنج فحقن نفسه في يوم

واحد ثمان مرات فقرح بعض أمعائه وظهر له سحج
واتفق سفره مع علاء الدولة فحصل له الصرع الحادث
عقيب القولنج فأمر باتخاذ دانقين من كرفس في جملة ما
يحقن به فجعل الطبيب الذي يعالجه فيه خمسة دراهم منه
فازداد السحج به من حدة الكرفس فطرح بعض غلمانه في
بعض أدويته شيئاً كثيراً من الأفيون وكان سببه أن غلمانه
خانوه في شيء فخافوا عاقبة أمره عند برئه وكان مذ
حصل له الألم يتحامل ويجلس مرة بعد أخرى ولا يحتمي
ويجامع فكان يمرض أسبوعاً ويصلح أسبوعاً ثم قصد
علاء الدولة همذان من أصبهان ومعه الرئيس أبو علي
فحصل له القولنج في الطريق ووصل إلى همذان وقد
160 ضعف جداً وأشرفت قوته على السقوط فأهمل
المداواة وقال المدبر الذي في بدني قد عجز عن تدبيره فلا
تنفعني المعالجة ثم اغتسل وتاب وتصدق بما معه على
الفقراء ورد المظالم على من عرفه وأعتق مماليكه وجعل
يختم في كل ثلاثة أيام ختمة ثم مات في التاريخ الذي يأتي
في آخر ترجمته إن شاء الله تعالى وكان نادرة عصره في
علمه وذكائه وتصانيفه وصنف كتاب الشفاء في الحكمة
والنجاة والإشارات والقانون وغير ذلك مما يقارب مائة
مصنف ما بين مطول ومختصر ورسالة في فنون شتى
وله رسائل بديعة منها رسالة حي بن يقطان ورسالة
سلامان وابسال ورسالة الطير وغيرها وانتفع الناس بكتبه
وهو أحد فلاسفة المسلمين وله شعر فمن ذلك قوله في

النفس هبطت إليك من المحل الأرفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع) (محجوبة عن كل مقلة عارف * وهي التي سفرت فلم تبرق) (وصلت على كره إليك وربما * كرهت فراقك وهي ذات تفجع) (أنفت وما ألفت فلما واصلت * ألفت مجاورة الخراب البلقع) (وأظنها نسيت عهوداً بالحمى * ومنازلاً بفراقها لم تقنع) (حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها * من ميم مركزها بذات الأجرع) (علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت * بين المعالم والطلول الخضع) (تبكي وقد نسيت عهوداً بالحمى * بمدامع تهمي ولما تقلع) (حتى إذا قرب المسير إلى الحمى * ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع) (وغدت تغرد فوق ذروة شاهق * والعلم يرفع كل من لم يرقع) (وتعود عالمة بكل خفية * في العالمين فخرقها لم يرفع) (فهبوطها إذ كان ضربة لازم * لتكون سامعة لما لم تسمع) (فلأي شيء أهبطت من شاهق * سام إلى قعر الحضيض الأوضع)

161 (إن كان أهبطها الإله لحكمة * طويت عن الفطن اللبيب الأروع) (إذ عاقها الشرك الكثيف فصدها * فقص عن الأوج الفسيح الأربع) (فكأنهما برق تألق بالحمي * ثم انطوى فكأنه لم يلمع) ومن المنسوب إليه أيضاً ولا أتحققه قوله (أجعل غذاءك كل يوم مرة * واحذر طعاماً قبل هضم طعام) (وأحفظ منيك ما استطعت فإنه * ماء الياة يراق في الأرحام) وينسب إليه

البيتان اللذان ذكرهما الشهرستاني في أول كتاب نهاية الأقدام وهما (لقد طفت في تلك المعاهد كلها * وسرت طرفي بين تلك المعالم) (فلم أر إلا واضعاً كف حائر * على ذقن أو قارعاً سن نادم) ومن شعره أيضا (هذب النفس بالعلوم لترقى * فترى الكل فهي للكل بيت) (إنما النفس كالزجاجة والعلم * سراج وحكمة الله زيت) (فهي إن أشرقت فإنك حي * وهي إن أظلمت فإنك ميت) وقصائد كثيرة ومشهورة وكانت ولادته سنة سبعين وثلثمائة في شهر صفر وتوفي بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ودفن بها وحكى شيخنا عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير في تاريخه الكبير أنه توفي بأصبهان والأول أشهر رحمه الله تعالى

162 وكان الشيخ كمال الدين بن يونس رحمه الله تعالى يقول إن مخدومه سخط عليه واعتقله ومات في السجن وكان ينشد (رأيت ابن سينا يعادي الرجال * وفي السجن مات أخس الممات) (فلم يشف ما نابه بالشفا * ولم ينج من موته بالنجاة) وسينا بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ممدودة 191 الخليع الشاعر أبو علي الحسين بن الضحاك بن ياسر الشاعر البصري المعروف بالخليع مولى لولد سلمان بن ربيعة الباهلي الصحابي رضي الله عنه وأصله من خراسان وهو شاعر ماجن مطبوع حسن

الافتنان في ضروب الشعر وأنواعه واتصل في مجالسة الخلفاء إلى ما لم يتصل إليه إلا إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلي فإنه قاربه في ذلك أو ساواه وأول من صحب منهم الأمين محمد بن هارون الرشيد وكان اتصاله به في سنة ثمان وتسعين ومائة وهي السنة التي قتل فيها الأمين ولم يزل مع الخلفاء بعده إلى أيام المستعين ما عدا المأمون فإنه لم يدخل

163 عليه ولم يختلط به وذلك لأنه رثى الأمين فقال (هلا بقيت لسد فاقتنا * أبداً وكان لغيرك التلف) (قد كان فيك لمن مضى خلف * فاليوم أعوز بعدك الخلف) فلما ورد المأمون بغداد أمر أن يكتب من يصلح لمنادمته من أهل الأدب فأثبت له قوم وذكر فيهم الحسين بن الضحاك فقال أليس القائل وكان لغيرك التلف والله لا أرى وجهه على الطريق فلم يحظ في أيام المأمون بشيء وقد كان وقت خدمته للمتوكل ضعف كبراً فكتب إليه يستعفيه من الخدمة بأبيات (أسلفت أسلافك من خدمتي * في مدتي إحدى وستينا) (كنت ابن عشرين وخمس وقد * وفيت بضعاً وثمانينا) (إني لمعروف بضعف القوى * وإن تجلدت أحايينا) (فإن تحملت على كبرتي * خدمة أبناء الثلاثينا) (هدت قواي ووهت أعظمي * وصرت في العلة عزونا) وعزون هذا كان نديماً للمعتصم ثم للمتوكل وهو في الطبقة الأولى من الشعراء المجيدين وبينه وبين أبي نواس ماجريات لطيفة ووقائع حلوة

وسمي بالخليع لكثرة مجونه وخلاعته ذكره ابن المنجم في كتابه البارع وأبو الفرج الأصبهاني في الأغاني وكل منهما أورد طرفاً من محاسن شعره فمن ذلك قوله
164 (صل بخدي خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير) (فبخديك للربيع رياض * وبخدي للدموع غدير) وله أيضاً (أيا من طرفه سحر * ويا من ريقه خمر) (تجاسرت فكاشفتك * لما غلب الصبر) (وما أحسن في مثلك * أن ينهتك الستر) (فإن عنفني الناس * ففي وجهك لي عذر) وله (لا وحبيك لا أصافح * بالدمع مدمعا) (من بكى شجوه استراح * وإن كان موجعا) (كبدي في هواك أسقم * من أن تقطعا) (لم تدع صورة الضنى * في السقم موضعا) وذكر في كتاب الأغاني أن هذه الأبيات أوردها أبو العباس ثعلب النحوي المقدم ذكره للخليع المذكور وقال ما بقي من يحسن أن يقول مثل هذا وله (إذا خنتم بالغيب عهدي فمالكم * تدلون إدلال المقيم على العهد) (صلوا وافعلوا فعل المدل بوصله * وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذي الصد) وله من قصيدة سقى الله عصراً لم أبت فيه ليلة * من الدهر إلا من حبيب على وعد) وذكر أبو عبد الله ابن حمدون عن الحسين بن الضحاك قال كان يألفني
165 فتى من أهل الشام عجيب الخلقة والشكل غليظ جلف جاف فكنت أحتمل ذلك منه وكان حظي التعجب منه وكان يأتيني بكتب عشقية له ما رأيت كتباً أحلى منها ولا

أظرف ولا أشكل من معانيها ويسألني أن أجيب عنها فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي أن الشامي بجهله لا يميز بين الخطإ والصواب ولا يفرق بين الابتداء والجواب فلما طال ذلك عليّ حسدته وتنبهت على إفساد حاله عندها فسألته عن اسمها فقال بصبص فكتبت إليها عنه في جواب كتاب منها كان جاءني به (أرقصني حبنك يا بصبص * والحب يا سيدتي يرقص) (أرمصت أجفاني لطول البكا * فما لأجفانك لا ترمص) (أوحشني وجهك ذاك الذي * كأنه من حسنه عصعص) قال فجاءني بعد ذلك يا أبا علي ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي فقلت له وما ذاك عافاك الله فقال ما هو إلا أن وصل إليها ذلك الكتاب حتى بعثت إلي إني مشتاقة اليك والكتاب لا ينوب عن الرؤية فتعال إلى الروشن الذي بالقرب من بابنا فقف بحياله حتى أراك فتزينت بأحسن ما قدرت عليه وصرت إلى الموضع فبينا أن واقف أنتظر مكلماً لي أو مشيراً إلى وإذا شيء قد صب علي فملأني من فرقي إلى قدمي فأفسد ثيابي وسرجي وصيرني وجميع ما علي ودابتي في نهاية السواد والنتن والقذر وإذا هو ماء قد خلط ببول وسواد وسرجين وانصرفت بخزي وكان ما مر بي من الصبيان وسائر من مررت به من الطنز والضحك والصياح أعظم مما جرى علي ولحقني من أهلي ومن منزلي وشر من ذلك وأعظم من كل ما ذكرت أن رسلها انقطعت عني جملة قال

فجعلت أعتذر إليه وأقول إن الآفة أنها لم تفهم الشعر لجودته وأنا أحمد الله على ما ناله وأسر بالشماتة به حدث محمد بن جعفر بن قدامة عن محمد بن عبد الملك قال كنا في مجلس
166 ومعنا الحسين بن الضحاك ونحن على شراب وعندنا مغنية فعبث الخليع بالمغنية وجمشها فصاحت بالحسين واستخفت به فأنشأ الخليع يقول (لها في خدها عكن * وثلثا وجهها ذقن) 0&&وأسنان كريش البط بين * أصولها عفن) قال فضحكنا وبكت المغنية حتى قلنا إنها عميت وما انتفعنا بها بقية يومنا وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلهما وكانت إذ حضرت في مجلس أنشدوا البيتين فتجن ثم إنها هربت من سر من رأى فما عرفنا لها بعد ذلك خبرا حدث الصولي عن أحمد بن حمدون قال أمر المتوكل بأن ينادمه الحسين بن الضحاك ويلازمه فلم يطق ذلك لكبر سنه فقيل له هو يطيق الذهاب إلى القرى والمواخير فيشرب فيها ويعجز عن خدمتك فبلغه ذلك قال ابن حمدون فدفع إلي أبياتا قالها فأوصلتها إلى المتوكل وهي قوله (أما في ثمانين وفيتها * عذير وإن أنا لم أعتذر) (فكيف وقد جزتها صاعدا * مع الصاعدين بتسع أخر) (وقد رفع الله أقلامه * عن ابن ثمانين دون البشر) (سوى من أصر على فتنة * وألحد في دينه أو كفر) (وإني لمن أسراء الإله * في الأرض نصب صروف القدر) (فإن يقض لي عملا صالحا * أثاب وإن

يقض سوءا غفر) (وقد بسط الله لي عذره * فمن ذا يلوم
إذا ما عذر) (وما للحسود وأشياعه * وكذب بالوحي إلا
حجر) قال ابن حمدون فلما أوصلتها شفعتها بكلام أعتذر
وأقول لو أطاق خدمة
167 أمير المؤمنين لكان أسعد بها فقال المتوكل
صدقت خذ له عشرة آلاف درهم فاحملها إليه فأخذتها
وحملتها حدث أبو العيناء قال حج الحسين بن الضحاك
فمر في منصرفه على موضع يعرف بالقريتين وإذا جارية
كأنها القمر في ليلة التم تتطلع من تحت ثيابها وتنظر إلى
حرها ثم تضربه بيدها وهي تقول ما أضيعني وأضيعك
فأنشأ الحسين يقول (مررت بالقريتين منصرفا * من
حيث يقضي ذوو الهوى النسكا) (إذا فتاة كأنها قمر *
للتم لما توسط الفلكا) (واضعة كفها على حرها * تقول
واضيعتي وضيعتكا) قال فلما سمعت قوله ضحكت
وغطت وجهها وقالت وافضيحتاه وقد سمعت ما قلت
وقال الحسين بن الضحاك كنت جالسا في داري في يوم
شات وقد أفطر المأمون وأمر الناس بالإفطار فجاءتني
رقعة الحسن بن رجاء يقول فيها (هززتك للصبوح وقد
نهاني * أمير المؤمنين عن الصيام) (وعندي من قيان
الكرخ عشر * يطيب بها مصافحة المدام) (ومن
أمثالهن إذا انتشينا * ترانا نجتني ثمر الحرام) (فكن أنت
الجواب فليس شيء * أحب إلي من حذف الكلام)
فوردت رقعته وقد أرسل إلى محمد بن الحارث غلاما له

نظيف الوجه ومعه ثلاثة غلمان حسان ومعه رقعة منشورة قد ختم أسفلها مثل المناشير فيها (سر على اسم الله يا أحسن من غصن لجين *)
168 (في ثلاث من بني الروم إلى دار حسين *) (فاشخص الكهل إلى مولاك يا قرة عيني *) (أره العنف إن استعصى وطالبه بدين *) (ودع اللفظ وكلمه بغمز الحاجبين *) (واحذر الرجعة من وجهك في خفي حنين *) قال فمضيت مع غلمان محمد بن الحارث وتركت الحسن وكانت وفاته سنة خمسين ومائتين وقد قارب مائة سنة رحمه الله تعالى وقال الخطيب في تاريخ بغداد يقال إنه ولد في سنة اثنتين وستين ومائة 192 ابن الحجاج الشاعر أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج الكاتب الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة والسخف في شعره كان فرد زماه في فنه فإنه لم يسبق إلى تلك الطريقة مع عذوبة الألفاظ وسلامة شعره من التكلف ومدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء وديوان كبير أكثر ما يوجد في عشر مجلدات والغالب عليه الهزل وله في الجد أيضاً أشياء حسنة وتولي حسبة بغداد وأقام بها مدة ويقال إنه عزل بأبي سعيد
169 الإصطخري الفقيه الشافعي وله في غزله أبيات مشهورة لا حاجة إلى إثباتها هاهنا ويقال إنه في الشعر في درجة امرىء القيس وإنه لم يكن بينهما مثلهما

لأن كل واحد منهما مخترع طريقة وقد أفرد أبو الحسن الموسوي المعروف بالرضي من شعره في المديح والغزل وغيرهما ما جانب السخف وكان شعراً متخيراً حسناً جيداً ومن جيد شعره وجده هذه الأبيات (يا صاحبي استيقظا من رقدة * تزري على عقل اللبيب الأكيس) (هذي المجرة والنجوم كأنها * نهر تدفق في حديقة نرجس) &&0وأرى الصبا قد غلست بنسيمها * فعلام شرب الراح غير مغلس) (قوما اسقياني قهوة رومية * من عهد قيصر دنها لم يمس) (صرفا تضيف إذا تسلط حكمها * موت العقول إلى حياة الأنفس) وأورد له أيضا (تمت بسري في الهوى أدمعي * ودلت الواشي على موضعي) (يا معشر العشاق إن كنتم * مثلي وفي حالي فموتوا معي) وأورد له أيضا (يا من إليها من ظلمها الهرب * ردي فؤادي فقل مما يجب) (ردي حياتي إن كنت منصفة * ثم إليك الرضا أو الغضب) (طلبت قلبي فلم أفتك به * سبحان من لا يفوته الطلب) ومن شعره
170 (قال قوم لزمت حضرة حمد * وتجنبت سائر الرؤساء) (قلت ما قاله الذي أحرز المعنى * قديماً قبلي من الشعراء) (يسقط الطير حيث يلتقط الحب * وتغشى منازل الكرماء) وهذ البيت الثالث لبشار بن برد وقد ضمنه شعره وأورد له أيضا في الورد (جنى من البستان لي وردة * أحسن من إنجازه وعدي) (وقال والوردة في كفه * من قدح أذكى من الند) (اشرب هنيئاً

لك يا عاشقي * ريقي من كفي على خدي) ودعي ابن الحجاج إلى دعوة وتأخر عنه الطعام قليلاً فقال (يا ذاهباً في داره جائيا * بغير معنى وبلا فائدة) (قد جن أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائدة) ومثل هذا ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني قال دعانا أبو محمد ابن الشاب يوماً ودعا جحظة البرمكي وأطال حبس الطعام جداً وجاع جحظة فأخذ دواة وقرطاساً وكتب (ما لي وللشاب وأولاده * لا قدس الوالد والوالده) (قد حفظوا القرآن واستعملوا * ما فيه إلا سورة المائدة)
ورمى بها إلي فقرأتها ودفعتها إلى ابن الشاب فقرأها ووثب مسرعاً وقدم الطعام وأكلنا وانصرفنا وقطعه جحظة بعد ذلك فكان يجهد جهده في أن يجيبه فلا يفعل فإذا عاتبناه قال حتى يحفظ تلك السورة

171 وكانت وفاة ابن الحجاج يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادي الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بالنيل وحمل إلى بغداد رحمه الله تعالى ودفن عند مشهد موسى بن جعفر رضي الله عنه وأوصى أن يدفن عند رجليه وأن يكتب على قبره (^ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) وكان من كبار الشعراء الشيعة ورآه بعد موته بعض أصحابه في المنام فسأله عن حاله فأنشد (أفسد سوء مذهبي * في الشعر حسن مذهبي) (وحملي الجد على * ظهر حصان اللعب) (لم يرض مولاي علي * سبي لأصحاب النبي) (وقال لي ويحك يا * أحمق لم لم

تتب) (من سب قوم من رجا * ألاءهم لم يخب) (
رمت الرضى جهلاً بما * أصلاك نار اللهب) ورثاه
الشريف الرضي بقصيدة من جملتها (نعوه على حسن
ظني به * فلله ماذا نعى الناعيان) (رضيع ولاء له
شعبة * من القلب مثل رضيع اللبان) (وما كنت أحسب
أن الزمان * يقل مضارب ذاك اللسان) (بكيتك للشرد
السائرات * تعنق ألفاظها بالمعاني) (ليبك الزمان
طويلاً عليك * فقد كنت خفة روح الزمان) والنيل بكسر
النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام وهي بلدة
على الفرات بين بغداد والكوفة خرج منها جماعة من
العلماء وغيرهم والأصل
172 فيه نهر حفره الحجاج بن يوسف في هذا
المكان ومخرجه من الفرات وسماه باسم نيل مصر وعليه
قرى كثيرة 193 الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن
علي بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن بحر بن
بهرام ابن المرزبان بن ماهان بن باذان بن ساسان بن
الحرون بن بلاش بن جاماس ابن فيروز بن يزدجرد بن
بهرام جور المعروف بالوزير المغربي ورأيت جماعة من
أهل الأدب يقولون إن أبا علي هارون بن عبد العزيز
الأوارجي الذي مدحه المتنبي بقصيدته التي أولها (أمن
ازديارك في الدجى الرقباء * إذ حيث كنت من الظلام
ضياء) خاله ثم إني كشفت عنه فوجدت المذكور خال
أبيه وأما هو فأمه بنت محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني

ذكره في أدب الخواص وكانت وفاة الأوارجي المذكور في جمادي الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة والوزير أبو القاسم المغربي المذكور هو صاحب الديوان الشعر والنثر وله مختصر إصلاح المنطق وكتاب الإيناس وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة ويدل على كثرة اطلاعه وكتاب أدب الخواص وكتاب المأثور في ملح الخدور وغير ذلك

173 وجدت في بعض المجاميع ما صورته وجد بخط والد الوزير المعروف بالمغربي على ظهر مختصر إصلاح المنطق الذي اختصره ولده الوزير ما مثاله ولد سلمه الله تعالى وبلغه مبالغ الصالحين أول وقت طلوع الفجر من ليلة صباحها يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبعين وثلثمائة واستظهر القرآن العزيز وعدة من الكتب المجردة في النحو واللغة ونحو خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم ونظم الشعر وتصرف في النثر وبلغ من الخط إلى ما يقصر عنه نظراؤه ومن حساب المولد والجبر والمقابلة إلى ما يستقل بدونه الكاتب وذلك كله قبل استكماله أربع عشرة سنة واختصر هذا الكتاب فتناهى في اختصاره وأوفى على جميع فوائده حتى لم يفته شيء من ألفاظه وغير من أبوابه ما أوجب التدبير تغييره للحاجة إلى الاختصار وجمع كل نوع إلى ما يليق به ثم ذكرت له نظمه بعد اختصاره فابتدأ به وعمل منه عدة أوراق في ليلة وكان جميع ذلك قبل استكماله سبع

عشرة سنة وأرغب إلى الله سبحانه في بقائه ودوام سلامته
انتهى كلام والده ومن شعر الوزير المذكور (أقول لها
والعيس تحدج للسرى * أعدي لفقدي ما استطعت من
الصبر) (سأنفق ريعان الشبيبة آنفاً * على طلب العلياء
أو طلب الأجر) (أليس من الخسران أن لياليا ً* تمر بلا
نفع وتحسب من عمري) ومن شعره أيضاً (أرى الناس
في الدنيا كراع تنكرت * مراعيه حتى ليس فيهن مرتع)
(فماء بلا مرعى ومرعى بغير ما * وحيث ترى ماء
ومرعى فمسبع) وله في غلام حسن الوجه حلق شعره
174 (حلقوا شعره ليكسوه قبحا * غيرة منهم عليه
وشحا) (كان صبحا عليه ليل بهيم * فمحوا ليله وأبقوه
صبحا) ومن شعره أيضاً (إني أبثك عن حديثي *
والحديث له شجون) (غيرت موضع مرقدي * ليلاً
ففارقني السكون) (قل لي فأول ليلة * في القبر كيف
ترى أكون) ولما ولد للوزير المذكور ولده أبو يحيى عبد
الحميد كتب إليه أبو عبد الله محمد ابن أحمد صاحب ديوان
الجيش بمصر أبياتاً منها (قد أطلع الفأل منه معنى *
يدركه العالم الذكي) (رأيت جد الفتى علياً * فقلت جد
الفتى علي) وكان الوزير المذكور من الدهاة العارفين
وكان خبيث الباطن إذا دخل عليه الفقيه سأله عن النحو
وإذا دخل عليه النحوي سأله عن الفقه والفرائض ولما
قتل الحاكم صاحب مصر أباه وعمه وأخويه وهرب
الوزير وصل إلى الرملة واجتمع بصاحبها المتغلب عليها

حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي وبنيه وبني
عمه وأفسد نياتهم على الحاكم صاحب مصر المذكور
175 ثم توجه إلى الحجاز وأطمع صاحب مكة في
الحاكم ومملكة الديار المصرية وعمل في ذلك عملاً قلق
الحاكم بسببه وخاف على ملكه وقصته في ذلك طويلة إلى
أن أرضى الحاكم بني الجراح ببذل الأموال لهم واستمالهم
إليه وكان صاحب مكة وهو أبو الفتوح الحسن بن جعفر
العلوي قد استدعوه ووصل إليهم وبايعوه بالخلافة ولقبوه
بالرشيد بتدبير أبي القاسم المذكور فلم يزل الحاكم يعمل
الحيل حتى استمال بني الجراح إليه وانتقض أمر أبي
الفتوح وهرب إلى مكة وقصد أبو القاسم العراق هارباً
من الحاكم ومفارقاً لبني الجراح وقصد فخر الملك أبا
غالب ابن خلف الوزير ورفع خبره إلى الإمام القادر بالله
فاتهمه أنه ورد لإفساد الدولة العباسية وراسل فخر الملك
في إبعاده فاعتذر عنه فخر الملك وقام في أمره واتفق
انحدار فخر الملك من بغداد إلى واسط فأخذ أبا القاسم في
جملته وأقام معه بواسط على جملة من الرعاية إلى أن
توفي فخر الملك مقتولاً وشرع الوزير أبو القاسم في
استعطاف قلب الإمام القادر بالله
176 والتنصل مما نبذ به حتى صلح له بعض
الصلاح وعاد إلى بغداد وأقام قليلاً ثم أصعد إلى الموصل
واتفق موت أبي الحسن ابن أبي الوزير كاتب معتمد الدولة
أبي المنيع قرواش أمير بني عقيل فتقلد كتابته موضعه ثم

شرع أبو القاسم يسعى في وزارة الملك مشرف الدولة البويهي ولم يزل يعمل السعي إلى أن قبض على الوزير مؤيد الملك أبي علي فكوتب الوزير أبو القاسم بالحضور من الموصل إلى الحضرة وقلد الوزارة من غير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة وأقام كذلك حتى جرى من الأحوال ما أوجب مفارقة مشرف الدولة بغداد فخرج معه منها وقصدا أبا سنان غريب بن محمد بن مقن ونزلا عليه وأقاما بأوانا وبينا هو على ذلك إذ عرض له إشفاق من مخدومه مشرف الدولة دعاه إلى مفارقته فانتقل بعد ذلك إلى أبي المنيع قرواش بالموصل وأقام عنده ثم تجدد من سواء رأي الإمام القادر فيه ما ألجأته الضرورة بسبب ما كوتب به قرواش وغريب في معناه إلى مفارقته والإبعاد عنه وقصد أبا نصر ابن مروان بميافارقين وأقام عنده على سبيل الضيافة إلى أن توفي وقيل إنه لما توجه إلى ديار بكر وزر لسلطانها أحمد بن مروان المقدم ذكره فأقام عنده إلى أن توفي في ثالث عشر شهر رمضان سنة ثماني عشرة وأربعمائة وقيل ثمان وعشرين والأول أصح

وكانت وفاته بميافارقين وحمل إلى الكوفة بوصية منه وله في ذلك حديث يطول شرحه ودفن بها في تربة مجاورة لمشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأوصى أن يكتب على قبره (كنت في سفرة الغواية والجهل * مقيماً فحان مني قدوم) (تبت من كل مأثم فعسى يمحى

* بهذا الحديث ذاك القديم) (بعد خمس وأربعين لقد ماطلت * إلا أن الغريم كريم)
177 وكان قتل أبيه وعمه وأخويه في الثالث من ذي القعدة سنة أربعمائة رحمهم الله تعالى ورأيت في بعض المجاميع أنه لم يكن مغربياً وإنما أحد أجداده وهو أبو الحسن علي بن محمد كانت له ولاية في الجانب الغربي ببغداد وكان يقال له المغربي فأطلق عليهم هذه النسبة ولقد رأيت خلقاً كثيراً يقولون هذه المقالة ثم بعد ذلك نظرت في كتابه الذي سماه أدب الخواص فوجدت في أوله وقد قال المتنبي وإخواننا المغاربة يسمونه المتنبه فأحسنوا (أتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم) فهذا يدل على أنه مغربي حقيقة لا كما قالوه والله أعلم ثم أعاد هذا القول بعينه لما ذكر النابغة الجعدي وشعره وأنشد عنده قول المتنبي (وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبة * ولو أن ما في الوجه منه حراب) ونقلت نسبه المذكور في الأول من خط أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي المصري صاحب الرسائل وذكر أنه منقول من خط الوزير المذكور والله أعلم بصحته
178 194 ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي أصله من همذان ولكنه دخل بغداد وأدرك جلة العلماء بها مثل أبي بكر ابن الأنباري وابن مجاهد المقرىء وأبي عمر الزاهد وابن دريد وقرأ

على أبي سعيد السيرافي وانتقل إلى الشام واستوطن حلب
وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب
وكانت إليه الرحلة من الآفاق وآل حمدان يكرمونه
ويدرسون عليه ويقتبسون منه وهو القائل دخلت يوماً
على سيف الدولة بن حمدان فلما مثلت بين يديه قال لي
اقعد ولم يقل اجلس فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب
واطلاعه على أسرار كلام العرب وإنما قال ابن خالويه
هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم اقعد وللنائم
أو الساجد اجلس وعلله بعضهم بأن القعود هو الانتقال من
العلو إلى السفل ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد
والجلوس هو الانتقال من السفل إلى العلو ولهذا قيل لنجد
جلسا لارتفاعها وقيل لمن أتاها جالس وقد جلس ومنه قول
مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق (
قل للفرزدق والسفاهة كاسمها * إن كنت تارك ما أمرتك
فاجلس) أي اقصد الجلسا وهي نجد وهذا البيت من
جملة أبيات ولها قصة طويلة وهذا كله وإن جاء في غير
موضعه لكن الكلام شجون

179 ولابن خالويه المذكور كتاب كبير في الأدب
سماه كتاب ليس وهو يدل على اطلاع عظيم فإن مبنى
الكتاب من أوله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب
كذا وليس كذا وله كتاب لطيف سماه الآل وذكر في أوله
أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسماً وما أقصر فيه
وذكر فيه الأئمة الاثني عشر وتواريخ مواليدهم ووفياتهم

وأمهاتهم والذي دعاه إلى ذكرهم أنه قال في جملة أقسام الآل وآل محمد بنو هاشم ولـه كتاب الاشتقاق وكتاب الجمل في النحو وكتاب القراءات وكتاب إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز وكتاب المقصور والممدود وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب الألفات وكتاب شرح المقصورة لابن دريد وكتاب الأسد وغير ذلك ولابن خالويه مع أبي الطيب المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة ولولا خوف الاطالة لذكرت شيئاً منها ولـه شعر حسن فمنه قوله على ما نقله الثعالبي في كتاب اليتيمة (إذا لم يكن صدر المجالس سيد * فلا خير فيمن صدرته المجالس) (وكم قائل ما لي رأيتك راجلا * فقلت له من أجل أنك فارس) وخالويه بفتح الخاء الموحدة وبعد الألف لام مفتوحة وواو مفتوحة أيضاً وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم هاء ساكنة وكانت وفاة ابن خالويه في سنة سبعين وثلثمائة بحلب رحمه الله تعالى

180 أبو علي الجياني أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني الأندلسي المحدث كان إماماً في الحديث والأدب ولـه كتاب مفيد سماه تقييد المهمل ضبط فيه كل لفظ يقع فيه اللبس من رجال الصحيحين وما أقصر فيه وهو في جزأين وكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين وكان حسن الخط جيد الضبط وكان له معرفة الغريب والشعر والأنساب وكان يجلس في جامع قرطبة ويسمع منه أعيانها ولم أقف على شيء من أخباره

حتى أذكر طرفاً منها وكانت ولادته في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة وطلب الحديث سنة أربع وأربعين وتوفي ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة رحمه الله تعالى والجياني بفتح الجيم وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون هذه النسبة إلى جيان وهي مدينة كبيرة بالأندلس وبأعمال الري قرية يقال لها جيان أيضاً والغساني قد تقدم الكلام عليه

181 196 البارع الدباس أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير الحارثي من بني الحارث ابن كعب بن عمرو الدباس البدري المنعوت بالبارع الشاعر المشهور الأديب النديم البغدادي كان نحوياً لغوياً مقرئاً حسن المعرفة بصنوف الآداب وأفاد خلقاً كثيراً خصوصاً بإقراء القرآن الكريم وهو من بيت الوزارة فإن جده القاسم كان وزير المعتضد والمكتفي بعده وهو الذي سم ابن الرومي الشاعر كما سيأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى وعبيد الله كان وزيراً أيضاً وسليمان بن وهب الوزير تغني شهرته عن ذكره وستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى والبارع المذكور من أرباب الفضائل وله مصنفات حسان وتواليف غريبة وديوان شعر جيد وكان بينه وبين الشريف أبي يعلى ابن الهبارية مداعبات لطيفة فإنهما كانا رفيقين ومتحدين في

الصحبة فاتفق أن البارع المذكور تعلق بخدمة بعض الأمراء وحج فلما عاد حضر الشريف إليه مرارا فلم يجده فكتب إليه قصيدة طويلة دالية يعاتبه فيها ويشير إلى أنه تغير عليه بسبب الخدمة وأولها (يا ابن ودي وأين مني ابن ودي * غيرت طرفه الرياسة بعدي)
182 ولولا ما أودعها من السخف والفحش لذكرتها فكتب إليه البارع المذكور جوابها وأطال فيها وضمنها أيضا شيئا من الفحش وأولها (وصلت رقعة الشريف أبي يعلى * فحلت محل لقياه عندي) (فتلقيتها بأهلا وسهلا * ثم ألصقتها بطرفي وخدي) (وفضضت الختام عنها فما ظنك * بالصاب إذ يشاب بشهد) (بين حلو من العتاب ومر * هو أولى به وهزل وجد) (وتجن علي من غير جرم * بملام يكاد يحرق جلدي) (يدعي أنني حجبت وقد زار * مرارا حاشاه من قبح رد) (ثم دع ذا ماللرياسة والحج * أبن لي من حل أنف وعقد) (فماذا علمت بالله أني * قد تنكرت أو تغير عهدي) (من تراني أعامل أم وزير * لأمير أم عارض للجند) (أنا إلا ذاك الخليع الذي تعرف * أرضى ولو بجرة دردي) (وإذا صح لي مليح فذاك اليوم * عيدي وصاحب الدست عبدي) (أتراني لو كنت في النار مع هامان * أنساك في جنان الخلد)
183 (أو لو أني عصبت بالتاج أسلوك * ولو كنت عانيا في القد) (أنا أضعاف ما عهدت على العهد * وإن

كنت لا تجازي بود) ومنها (أم لأني قنعت من سائر
الناس * بفرد بين الأكارم فرد) (صان وجهي عن اللئام
وأولامي * جميلا منه إلى غير حد) (فتعففت واقتنعت
بتدفيع * زماني وقلت إني وحدي) (لا لأني أنفت مع ذا
من الكدية * أين الكرام حتى أكدي) ونقتصر من هذه
القصيدة على هذه الأبيات ففيها سخف لا يليق ذكره وغيره
مما لا حاجة إليه ومن شعره أيضا (أفنيت ماء الوجه
من طول ما * أسأل من لا ماء في وجهه) (أنهي إليه
شرح حالي الذي * ياليتني مت ولم أنهه) (فلم ينلني
كرما رفده * ولم أكد أسلم من جبهه) (والموت من دهر
نحاريره * ممتدة الأيدي إلى بلهه) وأورد له الحظيري
في كتاب زينة الدهر وذكر أنه نقلها من خطه وذكر أنه
قال هذه القصيدة بمكة في سنة 472 (ذكر الأحباب
والوطنا * والهوى والإلف والسكنا) (فبكى شجوا وحق
له * مدنف بالشوق حلف ضنى) (أبعدت مرمى يد
رجمت * من خراسان به اليمنا) (خلست من بين
أضلعه * بالنوى قلبا له ضمنا)
184 (من لمشتاق يميله * ذات سجع ميلت فننا)
(كلما هاج الهديل به * طربا هاجت له شجنا) (لم
تعرض بالحنين بمن * مسعد إلا وقال أنا) (لك يا ورقاء
أسوة من * لم تذيقي جفنه الوسنا) (بك أنسي مثل أنسك
بي * فتعالي نبد ما كمنا) (نتشاكى ما نجن إذا * نحت
شجوا صحت واحزنا) (غير أني منك أعدل إن * عاد

سري في الهوى علنا) (أنا لا أنت البعيد هوى أنالا أنت
الغريب هنا أنا فرد يا حمام وها أنت والإلف القرين ثنا)
(أنصفونا يا بني حسن * ليس هذا منكم حسنا) (كم
أحلت محرماتكم * بالعيون النجل أنفسنا) (نحن وفد الله
عندكم * ما لكم جيرانه ولنا) (لم يجرنا منكم حرم * من
أتاه خائفا أمنا) وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة
ثلاث وأربعين وأربعمائة ببغداد وتوفي يوم الثلاثاء سابع
عشر جمادي الآخرة وقيل الأولى سنة أربع وعشرين
وخمسمائة وكان قد عمي في آخر عمره رحمه الله تعالى
والدباس بفتح الدال المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد
الألف سين مهملة وهذا يقال لمن يعمل الدبس أو يبيعه
والبدري بفتح الباء الموحدة وسكون الدال المهملة وبعدها
راء هذه النسبة إلى البدرية وهي محلة ببغداد المحروسة
وكان البارع المذكور يسكنها فنسب إليها

185 197 الطغرائي العميد فخر الكتاب أبو
إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب
مؤيد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي كان
غزير الفضل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصنعة النظم
والنثر ذكره أبو سعد ابن السمعاني في نسبه المنشئ من
كتاب الأنساب وأثنى عليه وأورد قطعه من شعره في
صفة الشمعة وذكر أنه قتل في سنة خمس عشرة
وخمسمائة والطغرائي المذكور له ديوان شعر جيد ومن
محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم وكان عملها

ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حاله ويشكو زمانه
وهي التي أولها (أصالة الرأي صانتني عن الخطل *
وحلية الفضل زانتني لدى العطل) (مجدي أخيرا
ومجدي أولا شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس في
الطفل) (فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى * بها ولا ناقتي
فيها ولا جملي) (ناء عن الأهل صفر الكف منفرد *
كالسيف عري متناه عن الخلل) (فلا صديق إليه مشتكى
حزني * ولا أنيس إليه منتهى جذلي)
186 (طال اغترابي حتى حن راحلتي * ورحلها
وقرى العسالة الذبل) (وضج من لغب نضوي وعج لما
* يلقى ركابي ولج الركب في عذلي) (أريد بسطة كف
أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلي) (والدهر
يعكس آمالي ويقنعني * من الغنيمة بعد الكد بالقفل) (
وذي شطاط كصدر الرمح معتقل * بمثله غير هياب ولا
وكل) (حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة البأس
منه رقة الغزل) (طردت سرح الكرى عن ورد مقلته *
والليل أغرى سوام النوم بالمقل) (والركب ميل على
الأكوار من طرب * صاح وآخر من خمر الهوى ثمل)
(فقلت أدعوك للجلى لتنصرني * وأنت تخذلني في
الحادث الجلل) (تنام عيني وعين النجم ساهرة *
وتستحيل وصبغ الليل لم يحل) (فهل تعين على غي
هممت به * والغي يزجر أحيانا عن الفشل) (إني أريد
طروق الحي من إضم * وقد حماه رماة من بني ثعل) (

يحمون بالبيض والسمر اللدان به * سود الغدائر حمر الحلي والحلل) (فسر بنا في ذمام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل) (فالحب حيث العدا والأسد رابضة * حول الكناس لها غاب من الأسل) (نؤم ناشئةبالجزعقد سقيت * نصالها بمياه الغنج والكحل) (قد زاد طيب أحاديث الكرام بها * ما بالكرائم من جبن ومن بخل) (تبيت نار الهوى منهن في كبد * حرى ونار القرى منهم على قلل) (يقتلن أنضاء حب لا حراك بها * وينحرون كرام الخيل والإبل) (يشفى لديغ العوالي في بيوتهم * بنهلة من غدير الخمر والعسل) (لعل إلمامة بالجزع ثانية * يدب منها نسيم البرء في عللي) لاأكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الأعين النجل) (ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني * باللمح من خلل الأستار والكلل) (ولا أخل بغزلان تغازلني * ولو دهتني أسود الغيل بالغيل)
187 (حب السلامة يثني هم صاحبه * عن المعالي ويغري المرء بالكسل) (فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا * في الأرض أو سلما في الجو واعتزل) (ودع غمار العلا للمقدمين على * ركوبها واقتنع منهن بالبلل) (رضى الذليل بخفض العيش مسكنه * والعز تحت رسيم الاينق الذلل) (فادرأ بها في نحور البيد حافلة * معارضات مثاني اللجم بالجدل) (إن العلا حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث أن العز في النقل) (لو أن في شرف المأوى

بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل) (أهبت
بالحظ لو ناديت مستعما * والحظ عني بالجهال في شغل)
(لعله إن بدا فضلي ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لي
) (أعلل النفس بالآمال أرقبها * ما أضيق العيش لولا
فسحة الأمل) (لم أرض بالعيش والأيام مقبلة * فكيف
أرضى وقد ولت على عجل) (غالى بنفسي عرفاني
بقيمتها * فصنتها عن رخيص القدر مبتذل) (وعادة
النصل أن يزهي بجوهره * وليس يعمل إلا في يدي بطل
) (ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني * حتى أرى دولة
الأوغاد والسفل) (تقدمتني أناس كان شوطهم * وراء
خطوي إذ أمشي على مهل) (هذا جزاء امرئ أقرانه
درجوا * من قبله فتمنى فسحة الأجل) (وإن علاني من
دوني فلا عجب * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل)
(فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * في حادث الدهر ما
يغني عن الحيل) (أعدى عدوك أدنى من وثقت به *
فحاذر الناس واصحبهم على دخل) (وإنما رجل الدنيا
وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل) (وحسن
ظنك بالأيام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل) (
غاض الوفاء وفاض الغدروانفرجت * مسافة الخلف بين
القول والعمل) (وشان صدقك عند الناس كذبهم * وهل
يطابق معوج بمعتدل) (إن كان ينجع شيء في ثباتهم *
على العهود فسبق السيف للعذل)

188 (يا واردا سؤر عيش كله كدر * أنفقت صفوك في أيامك الأول) (فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت يكفيك منه مصة الوشل) (ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه إلى الأنصار والخول) (ترجو البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير متنقل) (ويا خبيرا على الأسرار مطلعا * اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل) (قد رشحوك لأمر لو فطنت له * فاربا بنفسك أن ترعى مع الهمل) ومن رقيق شعره قوله (يا قلب مالك والهوى من بعد ما * طاب السلو وأقصر العشاق) (أوما بدا لك في الإفاقة والألى * نازعتهم كأس الغرام أفاقوا) (مرض النسيم وصح والداء الذي * تشكوه لا يرجى له إفراق) (وهدا خفوق البرق والقلب الذي * تطوى عليه أضالعي خفاق) وله أيضا (أجما البكا يا مقلتي فإننا * على موعد للبين لا شك واقع) (إذا جمع العشاق موعدهم غدا * فواخجلتا إن لم تعني مدامعي) ومن شعره (ولا غرو إن أهديت من فيض بره * إليه قليلا ليس يعتده نزرا) (فإني رأيت الغيم يحمل ماءه * من البحر غمرا ثم يهدي له قطرا) ومن شعره (لا تحقرن الرأي وهو موافق * حكم الصواب وإن بدا من ناقص) (فالدر وهو أجل شيء يقتني * ما حط رتبته هوان الغائص) وله أيضا (أخاك أخاك فهو أجل ذخر * إذا نابتك نايبة الزمان)

189 (وإن رابت إساءته فهبها * لما فيه من الشيم الحسان) (تريد مهذبا لا غش فيه * وهل عود يفوح بلا دخان) ومن شعره (ما فلان إلا كجيفة ميت * والضرورات أحوجتنا إليه) (فمن اضطر غير باغ ولا عاد * فلا إثم في الكتاب عليه) وله من أبيات (لا غرو إن حزت المروءة والتقى * والدين والدنيا ولم تتصدع) (إن النواظر والقلوب صغيرة * تحوي الكبير وليس بالمستبدع) وله (جامل أخاك إذا استربت بوده * وانظر به عقب الزمان يعاود) (فإن استمر على الفساد فخله * فالعضو يقطع للفساد الزائد) وذكره أبو المعالي الحظيري في كتاب زينة الدهر وذكر له مقاطيع وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل وقال إنه ولي الوزارة بمدينة إربل مدة وذكر العماد الكاتب في كتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة وهو تاريخ الدولة السلجوقية أن الطغرائي المذكور كان ينعت بالأستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل وأنه لما جرى المصاف بينه وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من همذان وكانت النصرة لمحمود فأول من أخذ الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميرمي فقال الشهاب أسعد وكان طغرائيا في ذلك الوقت نيابة عن النصير الكاتب هذا الرجل ملحد يعني الأستاذ فقال وزير محمود من يكن ملحدا يقتل فقتل ظلما

190 وقد كانوا خافوا منه ولا قبل عليه لفضله فاعتدوا قتله بهذه الحجة وكانت هذه الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقيل إنه قتل سنة أربع عشرة وقيل ثماني عشرة وقد جاوز ستين سنة وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعا وخمسين سنة لأنه قال وقد جاءه مولود (هذا الصغير الذي وافى على كبري * أقر عيني ولكن زاد في فكري) (سبع وخمسون لو مرت على حجر * لبان تأثيرها في صفحة الحجر) والله تعالى أعلم بما عاش بعد ذلك رحمه الله تعالى وقتل الكمال السميرمي الوزير المذكور يوم الثلاثاء سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية وقيل قتله عبد أسود كان للطغرائي المذكور لأنه قتل أستاذه والطغرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء وبعدها ألف مقصورة هذه النسبة إلى من يكتب الطغرى وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه وهي لفظة أعجمية والسميرمي بضم السين المهملة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ثم ميم هذه النسبة إلى سميرم وهي بلدة بين أصبهان وشيراز وهي آخر حدود أصبهان

191 198 أبو الفوارس ابن الخازن أبو الفوارس الحسين بن علي بن الحسين المعروف بابن الخازن الكاتب كان فريد عصره في الكتابة وكتب مالم يكتبه أحد فإنه

كتب فيما كتب خمسمائة نسخة من كتاب الله العزيز ما بين ربعة وجامع وله شعر حسن فمن ذلك قوله (عنت الدنيا لطالبها * واستراح الزاهد الفطن) (كل ملك نال زخرفها * حسبه مما حوى كفن) (يقتني مالا ويتركه * في كلا الحالين مفتتن) (أملي كوني على ثقة * من لقاءالله مرتهن) (أكره الدنيا وكيف بها * والذي تسخوبه وسن) (لم تدم قبلي على أحد * فلماذا الهم والحزن) قال محمد بن أبي الفضل الهمذاني المؤرخ في ذيل تجارب الأمم لمسكويه توفي ابن الخازن المذكور في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسمائة فجأة رحمه الله تعالى وقال الشريف أبو العمر المبارك بن أحمد الأنصاري توفي ليلة الثلاثاء ودفن من الغد وهو اليوم السادس والعشرين من الشهر المذكور

192 199 أبو عبد الله الشيعي أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي القائم بدعوة عبيد الله المهدي جد ملوك مصر وقصته في القيام بالغرب مشهورة وله بذلك سيرة مسطورة وسيأتي في حرف العين عند ذكر المهدي عبيد الله طرف من أخباره إن شاء الله تعالى وأبو عبد الله المذكور من أهل صنعاء اليمن وكان من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون فإنه دخل أفريقية وحيدا بلا مال ولا رجال ولم يزل يسعى إلى أن ملكها وهرب ملكها أبو مضر زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب منه إلى بلاد المشرق وهلك هناك وحديثه يطول

ولما مهد القواعد للمهدي ووطد له البلاد وأقبل المهدي من المشرق وعجز عن الوصول إلى أبي عبد الله المذكور وتوجه إلى سجلماسة وأحس به صاحبها اليسع آخر ملوك بني مدرار فأمسكه واعتقله ومضى إليه أبو عبد اللّه وأخرجه من الاعتقال وفوض إليه أمر المملكة اجتمع به أخوه أبو العباس أحمد وكان هو الأكبر أعني أحمد وندمه على ما فعل وقال له تكون أنت صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسلمها إلى غيرك وتبقى من جملة الأتباع وكرر عليه القول فندم أبو عبد الله على ما صنع وأضمر الغدر واستشعر منهما المهدي فدس عليهما من قتلهما في ساعة واحدة وذلك في منتصف جمادي الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة بين القصرين رحمهما الله تعالى

193 والشيعي بكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى من يتولى شيعة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورقادة بفتح الراء وتشديد القاف وبعد الألف دال مهملة وبعد الدال هاء ساكنة مدينة من أعمال القيروان من بلاد إفريقية وأما زيادة اللّه فقد ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال هو أبو مضر زيادة اللّه بن عبد اللّه بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ابن إبراهيم بن سالم بن عقال بن خفاجة وهو زيادة اللّه الأصغر آخر ملوك بني الأغلب بإفريقية التميمي وقال قدم دمشق سنة اثنتين

وثلثمائة مجتازا إلى بغداد حين غلب على ملكه بإفريقية ثم قال في آخر الترجمة بلغني أن زيادة الله توفي بالمرملة في سنة أربع وثلثمائة في جمادي الأولى منها ودفن بالرملة فساخ قبره فسقف عليه وترك مكانه وهو من ولد الأغلب بن عمرو المازني البصري وكان الرشيد ولى عمرا المغرب بعد أن مات إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فما زال بالمغرب إلى أن توفي وخلف ولده الأغلب ثم أولاده إلى أن صار الأمر إلى زيادة الله هذا انتهى ما ذكره ابن عساكر وفي ترجمة أبي القاسم علي بن القطاع اللغوي هذا النسب وبينهما اختلاف قليل لكني نقلته على ما وجدته في الموضعين وقال غير ابن عساكر توفي أبو مضر زيادة الله بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب بالرقة وحمل تابوته إلى القدس الشريف ودفن بها في سنة ست وتسعين ومائتين وكانت مدة مملكته إلى أن خرج عن القيروان خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوما وكان سبب خروجه من االقيروان أن أبا عبد الله الشيعي المذكور لما هزم إبرهيم بن الأغلب بلغ الخبر زيادة الله المذكور فشد أمواله وأخذ خواص حرمه وخرج من رقادة ليلا وبعد خروجه بويع إبراهيم بن الأغلب وكانت مملكة بني الأغلب مائتي سنة واثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوما والشرح في ذلك يطول فاختصرته

194

200 حسان التنوخي أبو ليلى حسان بن سنان بن أوفى

بن عوف التنوخي وهو جد إسحاق بن البهلول سمع أنس
بن مالك رضي الله عنه روى عنه ابن ابنه إسحاق وقال
أبو حاتم محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول
قال جدي إسحاق عن جدي حسان قال خرجت في وفد من
أهل الأنبار إلى الحجاج إلى واسط نتظلم إليه من عامله
علينا الرقيل فدخلنا ديوانه فرأيت شيخا والناس حوله
يكتبون عنه فسألت عنه فقيل لي أنسن بن مالك فوقفت
عليه فقال لي من أين فقلت من الأنبار جئنا إلى الأمير
نتظلم إليه فقال لي بارك الله فيك فقلت حدثني بشيء
سمعته من رسول الله يا خادم رسول الله فقال سمعته يقول
مر بالمعروف وانه عن المنكر ما استطعت وأعجلني
أصحابي فلم أسمع منه غير هذا الحديث قال أبو حاتم
وكان إسحاق يقول أرجو أن أكون ممن سبقت فيه دعوة
195 رسول الله بقوله طوبى لمن رآني ولمن رأى
من رآني وكان من بركة دعاء أنس لحسان أنه عاش مائة
سنة وعشرين سنة وخرج من أولاده جماعة فقهاء وقضاة
ورؤساء وصلحاء وكتاب وزهاد ولد حسان سنة ستين من
الهجرة وتوفي سنة 180&&ه رحمه الله تعالى وكان
أحيانا يكنى أبا العلاء ولد بالأنبار على النصرانية وكانت
دينه ودين آبائه وكانت له حين أسلم ابنة بالغة فأقامت على
النصرانية فلما حضرتها الوفاة أوصت لدير تنوخ بالأنبار
وكان حسان يتكلم ويقرأ ويكتب بالفارسية والسريانية
والعربية ولحق الدولتين فلما قلد أبو العباس السفاح ربيعة

الرأي قضاء الأنبار أتي بكتب مكتوبة بالفارسية فلم يحسن أن يقرأها فطلب رجلا ثقة دينا يحسن قرائتها فدل على حسان بن سنان فجيء به فكان يقرأ له الكتب الفارسية فلما اختبره رضي مذهبه واستكتبه على جميع أمره 201 أبو سلمة الخلال أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني مولى السبيع وزير أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس وأبو سلمة أول من وقع عليه اسم الوزير وشهر بالوزارة في دولة بني العباس ولم يكن من قبله يعرف بهذا النعت لا في دولة بني أمية ولا في غيرها من الدول وكان السفاح يأنس به لأنه كان ذا مفاكهة

196 حسنة وممتعا في حديثه أديبا عالما بالسياسة والتدبير وكان ذا يسار ويعالج الصرف بالكوفة وأنفق أموالا كثيرة في إقامة دولة بني العباس وصار إلى خراسان في هذا المعنى وأبو مسلم الخراساني يومئذ تابع له في هذا الامر وكان يدعو إلى بيعة إبراهيم الإمام أخي السفاح فلما قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بحران وانقلبت الدعوة إلى السفاح توهموا من أبي سلمة المذكور أنه مال إلى العلويين فلما ولي السفاح واستوزره بقي في نفسه منه شيء فيقال إن السفاح سير إلى أبي مسلم وهو بخراسان يعرفه بفساد نية أبي سلمة ويحرضه على قتله ويقال إن أبا مسلم لما اطلع على ذلك كتب إلى السفاح وعرفه بحاله وحسن له قتله فلم يفعل وقال هذا الرجل بذل ماله في خدمتنا ونصحنا وقد صدرت منه هذه الزلة فنحن

نغتفرها له فلما رأى أبو مسلم امتناعه من ذلك سير جماعة كمنوا له ليلا وكانت عادته أن يسمر عند السفاح فلما خرج من عنده وهو في مدينته بالأنبار ولم يكن معه أحد وثبوا عليه وخبطوه بأسيافهم وأصبح الناس يقولون قتلته الخوارج وكان قتله بعد خلافة السفاح بأربعة أشهر وولي السفاح الخلافة ليلة الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ولما سمع السفاح بقتله أنشد (إلى النار فليذهب ومن كان مثله * على أي شيء فاتنا منه نأسف) وذكر في كتاب أخبار الوزراء أن قتله كان في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان أبو سلمة يقال له وزير آل محمد فلما قتل عمل في ذلك سليمان ابن المهاجر البجلي (إن المساءة قد تسر وربما * كان السرور بما كرهت جديرا) (إن الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك كان وزيرا) ولم يكن خلالا وإنما كان منزله بالكوفة في حارة الخلالين فكان يجلس

197 عندهم لقرب داره منهم فسمي خلالا

والهمداني بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون وهذه النسبة إلى همدان وهي قبيلة عظيمة باليمن والسبيع يذكر في حرف العين عند ذكر أبي إسحاق السبيعي إن شاء الله تعالى وقد اختلف أرباب اللغة في اشتقاق الوزارة على قولين أحدهما أنها من الوزر بكسر الواو وهو الحمل وكأن الوزير قد حمل عن السلطان الثقل وهذا قول ابن قتيبة والثاني أنها من الوزر بفتح الواو

والزاي وهو الجبل الذي يعتصم به لينجى به من الهلاك وكذلك الوزير معناه الذي يعتمد عليه الخليفة أو السلطان ويلتجئ إلى رأيه وهذا قول أبي إسحاق الزجاج والله أعلم

202 حفص بن غياث القاضي أبو عمرو حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة ابن عامر بن ربيعة بن جشم بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع بن مذحج

198 النخعي الكوفي سمع عبد الله بن عمر العمري وهشام بن عمرو وإسماعيل بن أبي خالد وأبا إسحاق الشيباني والأعمش وخلقا سواهم روى عنه ابنه عمر وأبو نعيم الفضل بن دكين وعفان بن مسلمة وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعامة الكوفيين ولي القضاء ببغداد وحدث بها ثم عزل وولي قضاء الكوفة قال حميد بن الربيع لما جيء بعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ووكيع ابن الجراح إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ليوليهم القضاء دخلوا عليه فأما ابن إدريس فقال السلام عليكم وطرح نفسه كأنه مفلوج فقال هارون خذوا بيد الشيخ لا فضل في هذا وأما وكيع فقال والله يا أمير المؤمنين ما أتصرف بها منذ سنة ووضع إصبعه على عينه وعنى إصبعه فأعفاه وأما حفص بن غياث فقال لولا غلبة الدين والعيال ما وليت وكان حفص المذكور لما قربوا من بغداد طرى خضابه فالتفت ابن إدريس إلى وكيع فقال أما هذا فقد قبل وقال حفص وهو قاض على الشرقية

لرجل يسأل عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا لأن يدخل الرجل إصبعه في عينه فيقلعها فيرمي بها خير له من أن يكون قاضيا وكان حفص يقول لو رأيت أني اسر بما أنا فيه هلكت قال عمرو بن حفص بن غياث لما حضرت أبي الوفاة أغمي عليه فبكيت عند رأسه فأفاق فقال ما يبكيك قلت أبكي لفراقك ولما دخلت فيه من هذا الأمر يعني القضاء فقال لابنه يا بني ما حللت سراويلي على حرام قط ولا جلس بين يدي خصمان فباليت على من توجه الحكم بينهما وقال الخطيب كان حفص بن غياث المذكور جالسا في الشرقية للقضاء فأرسل إليه الخليفة يدعوه فقال لرسوله حتى أفرغ من أمر الخصوم إذ كنت أجيرا لهم وأصير إلى أمير المؤمنين ولم يقم حتى تفرق الخصوم وقال غنام بن حفص مرض أبي خمسة عشر يوما فدفع إلي مائة درهم وقال امض بها إلى العامل وقل له هذه رزق خمسة عشر يوما لم أحكم فيها بين المسلمين لاحظ لي فيها

199 وقال باع رجل من أهل خراسان جمالا بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر فمطله ثمنها وحبسه عن سفره وطال ذلك على الرجل فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوره فقال له اذهب إليه فقل له أعطني ألف درهم وأحيل عليك ببقية المال وأخرج إلى خراسان فإذا فعلت هذا فأخبرني حتى أشير عليك ففعل الرجل وأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع إلى الرجل

فأخبره فقال عد إليه فقل له إذا ركبت غدا فطريقك على
القاضي تحضر وأوكل رجلا بالقبض على المال واخرج
فإذا جلس إلى القاضي فادع عليه بما بقي لك من المال فإذا
أقر حبسه القاضي وأخذت مالك فرجع إلى مرزبان فسأله
فقال انتظرني بباب القاضي فلما ركب من الغد وثب إليه
الرجل وقال إن رأيت أن تترك إلي القاضي حتى أوكل
بقبض المال وأخرج فنزل مرزبان إلى حفص المذكور
فقال الرجل أصلح الله القاضي لي على هذا الرجل تسعة
وعشرون ألف درهم فقال حفص ما تقول يا مجوسي قال
صدق أصلح الله القاضي فقال القاضي ما تقول يا رجل فقد
أقر لك فقال يعطيني مالي فأقبل حفص على المجوسي
فقال ما تقول فقال هذا المال على السيدة فقال أنت أحمق
تقر ثم تقول على السيدة ما تقول يا رجل قال أصلح الله
القاضي إن أعطاني مالي وإلا حبسته قال حفص ما تقول
يا مجوسي قال المال على السيدة فقال حفص خذوا بيده
إلى الحبس فلما حبس بلغ الخبر أم جعفر فغضبت وبعثت
إلى السندي وجه إلى المرزبان وكانت القضاة تحبس
الغرماء في مجلس الشرط فأخرجه وبلغ الخبر حفصا
فقال أحبس أنا ويخرج السندي لا جلست مجلسي هذا أو
يرد مرزبان إلى الحبس فجاء السندي إلى أم جعفر فقال
الله الله في إنه حفص ابن غياث وأخاف من أمير المؤمنين
أن يقول لي بأمر من أخرجته رديه إلى الحبس وأنا أكلم
حفصا في أمره فرجع مرزبان إلى الحبس فقالت أم جعفر

لهارون قاضيك هذا أحمق حبس وكيلي واستخف به فمره
لا ينظر في الحكم وتولي أمره أبا يوسف فأمر لها بالكتاب
وبلغ حفصا الخبر فقال أحضري شهودا حتى أسجل لك
على المجوسي وجلس حفص وسجل على المجوسي
بالمال
200 وورد كتاب هارون مع خادم فقال هذا كتاب
أمير المؤمنين فقال مكانك نحن في شيء حتى نفرغ منه
فقال كتاب أمير المؤمنين فقال انظر ما يقال لك فلما فرغ
حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم فقرأه فقال اقرأ
على أمير المؤمنين السلام وقل له إن كتابه ورد وقد أنفذت
الحكم فقال الخادم في عرفت ما صنعت أبيت أن تأخذ
كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لأخبرن
أمير المؤمنين بما فعلت فقال حفص قل له ما أحببت فجاء
الخادم فأخبر هارون فضحك وقال للحاجب مر لحفص
بثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا
منصرفا من مجلس القضاء فقال أيها القاضي قد سررت
أمير المؤمنين وأمر لك بثلاثين ألف درهم فما السبب فقال
تمم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلاءته ما
زدت على ما أفعل كل يوم سجلت على مرزبان المجوسي
بما وجب عليه قال يحيى بن خالد فمن هذا سر أمير
المؤمنين فقال حفص الحمد لله كثيرا فقالت أم جعفر
لهارون لا أنا ولا أنت إلا أن تعزل حفصا فأبى عليها ثم
ألحت عليه فعزله عن الشرقية وولاه قضاء الكوفة فمكث

عليها ثلاث عشرة سنة وكان أبو يوسف لما ولي حفص القضاء قال لأصحابه تعالوا نكتب نوادر حفص فلما وردت أحكامه وقضاياه على أبي يوسف قال له أصحابه أين النوادر التي زعمت بكتبها قال ويحكم إن حفصا أراد الله فوفقه وقال حفص والله ما وليت القضاء حتى حلت لي الميتة ومات رحمه الله ولم يخلف درهما وخلف عليه تسعمائة درهم دينا وكان يقال ختم القضاء بحفص بن غياث وقال الحسين بن المغيرة رأى بعض الصالحين كأن زورقا غرق بين الجسرين وفيه عشرون قاضيا فما نجا منهم إلا ثلاثة على سوءاتهم حفص بن غياث والقاسم بن معن وشريك وقال يحيى بن معين جميع ما حدث به حفص بن غياث ببغداد والكوفة إنما هو من حفظه لم يخرج كتابا كتبوا عنه ثلاثة آلاف وأربعة آلاف حديث من حفظه

201 قال عبيد الله بن صالح العجلي حدثني أبي قال حفص بن غياث ثقة مأمون فقيه وكان على قضاء الكوفة وكان وكيع ربما يسأل عن الشيء فيقول اذهبوا إلى قاضينا فاسألوه وكان شيخا عفيفا مسلما ولد حفص بن غياث سنة سبع عشرة ومائة ومات سنة أربع وتسعين ومائة في العشر من ذي الحجة وقيل مات سنة ست وتسعين ومائة رحمه الله تعالى 203 الحكم بن عبدل الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال الأسدي شاعر مجيد مقدم في طبقته

هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية وكان أعرج أحدب ومنزله ومنشؤه الكوفة حدث العتبي قال كان الحكم بن عبدل الشاعر الأسدي أعرج لا تفارقه العصا فترك الوقوف بأبواب الملوك وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يحبس له رسول ولا تؤخر له حاجة فقال في ذلك يحيى بن نوفل (عصا حكم في الدار أول داخل * ونحن على الأبواب نقصى ونحجب) (وكانت عصا موسى لفرعون آية * وهذي لعمر الله أدهى وأعجب) (تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها * ويرغب في المرضاة منها ويرهب)

202 قال فشاعت هذه الأبيات وضحك الناس منها فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى يا ابن الزانية ما أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكة واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع وكان للحكم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو علية وكان ابن عبدل قد أقعد فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض اخوانهما والحكم يحمل وأبو علية يقاد فلقيهما صاحب العسس بالكوفة فأخذهما فحبسهما فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصا أبي علية موضوعة إلى جانب عصاه فضحك وأنشأ يقول (حبسي وحبس أبي علي * من أعاجيب الزمان) (أعمى يقاد ومقعد * لا الرجل منه ولا اليدان) (هذا بلا بصر هناك وبي * يخب الحاملان) (يا من رأى ضب الفلاة * قرين حوت في مكان))

طرفي وطرف أبي علي * دهرنا متوافقان) (من يقتحم بجواده * فجوادنا عكازتان) (طرفان لا علفاهما * بشرى ولا يتصاولان) (هبني وإياه الحريق * أكان يسطع بالدخان) وكان اسم أبي علية يحيى فقال الحكم فيه أيضا (أقول ليحيى ليلة السجن سادرا * ونومي به نوم الأسير المقيد) (أعني على رعي النجوم ولحظها * أعنك على تحبير شعر مقصد) (ففي حالتينا عبرة وتفكر * وأعجب منها حبس أعمى ومقعد) (كلانا إذا العكاز فارق كفه * يخر صريعا بل على الوجه يسجد) (فعكازه يهدي إلى السبل اكمها * وأخرى مقام الرجل قامت مع اليد) قال وولي الشرطة باكوفة رجل أعرج ثم ولي الإمارة آخر أعرج وخرج ابن عبدل وكان أعرج فلقي سائلا أعرج قد تعرض للأمير يسأله فقال ابن عبدل للسائل

203 (ألق العصا ودع التحامل والتمس * عملا فهذي دولة العرجان) (لأميرنا وأمير شرطتنا معا * يا قومنا لكليهما رجلان) (فإذا يكون أميرنا ووزيره * وأنا فإن الرابع الشيطان) فبلغت أبياته ذلك الأمير فبعث له مائتي درهم وسأله أن يكف عنه وقيل قدم الحكم بن عبدل واسطا على ابن هبيرة وكان بخيلا فأقبل حتى وقف بين يديه فقال (أتيتك في أمر من أمر عشيرتي * وأعلى الأمور المفطعات جسيمها) (فإن قلت لي في حاجتي أنا فاعل * فقد ثلجت نفسي وولت همومها) قال أنا فاعل إن اقتصدت فما حاجتك قال غرم لزمنا قال كم هو قال أربعة

آلاف درهم قال نحن مناصفوها قال أصلح الله الأمير أتخاف علي التخمة إن أتممتها قال أكره أن أعود الناس هذه العادة قل فأعطني جميعها سرا وامنعني جميعها ظاهرا حتى تعود الناس المنع وإلا فالضرر واقع عليك إن عودتهم نصف ما يطلبون فضحك ابن هبيرة وقال ما عندنا غير ما بذلناه لك فجثا بين يديه وقال امرأتي طالق إن أخذت أقل من أربعة آلاف درهم أو انصرفت وأنا غضبان فقال اعطوه إياها قبحه الله فإنه ما علمت حلاف مهين فأخذها وانصرف وقيل لما وقع الطاعون بالكوفة ومات منهم بنو زر بن حبيش العامري صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا ظرفاء وبنو عم لهم فقال الحكم بن عبدل الغاضري يرثيهم (أبعد بني زر وبعد ابن جندل * وعمرو أرجي لذة العيش في خفض) (مضوا وبقينا نأمل العيش بعدهم * ألا إن من يبقى على إثر من يمضي) حدث الأصمعي قال كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس

204 ديون فاستعانت بابنعبدل في دينها وقالت إني امرأة ليس لي زوج وجعلت ثعرض بأنها تزوجه نفسها فقام ابن عبدل في دينها حتى استوفته فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه (سيخطبك الذي حاولت مني * فقطع حبل وصلك من حبالي) (كما أخطاك معروف ابنبشر * وكنت تعد ذلك رأس مال) وكان ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة فسأله فقال أخمسمائة أحب إليك العام أم ألف في

قابل فقال ألف في قابل فلما أتاه قال ألف أحب إليك أم ألفان
في قابل قال فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما
أعطاه شيئا قال ودخل ابن عبدل على عبد الملك بن
ماروان بنبشر فقال ما أحدثت بعدي قال خطبت امرأة من
قومي فردت علي جواب رسالتي بيتي شعر قال وماا هما
وأنشده البيتين المذكورين فضحك عبد الملك وقال ما أجود
ما ذكرت بنفسك وأمر له بألفي درهم ومثل هذا قال عب
دالملك بن مروان لرجل ما ملك قال ما أكف به وجهي
وأعود منه على صديقي قال لقد لطفت في المسألة وأمر له
بمال وقريب من هذا قال قيس بن سعد لعجوز كيف حالك
قالت ما في بيتي جرذ فقال ماا ألطف ما سألت لأملأن
بيتك جرذانا وأمر لها بمال وشخص الحكم بن عبدل مع
عمر بن هبيرة إلى واسط فشكا إليه الضيقة فوهب له
جارية من جواريه فواثبها ليلة صارت إليه فنكحها تسعة
أو عشرة طلقا واحدا فلما أصبحت قالت له جعلت فداك من
أي الناس أنت قال امرؤ من أهل الشام قالت بهذا العمل
غلبتم أهل العراق في حربكم
205   204 حماد بن أبي حنيفة أبو إسماعيل حماد
ابن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت كان على مذهب أبيه
رضي الله تعالى عنه وكان من الصلاح والخير على قدم
عظيم ولما توفي أبوه كانت عنده ودائع كثيرة من ذهب
وفضة وغير ذلك وأربابها غائبون وفيهم أيتام فحملها ابنه
حماد المذكور إلى القاضي ليتسلمها منه فقال له القاضي

ما نقبلها منك ولا نخرجها عن يدك فإنك أهل لها وموضعها فقال حماد للقاضي زنها واقبضها حتى تبرأ منها ذمة أبي حنيفة ثم افعل مابدا لك ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها أياما فلما كمل وزنها استتر حماد فلم يظهر حتى دفعها إلى غيره وكان ابنه إسماعيل قاضي البصرة وعزل عنها بالقاضي يحيى بن أكثم ورأيت في كتاب أخبار أبي حنيفة أن القاضي يحيى بن أكثم لما وصل إلى البصرة وعزم إسماعيل بن حماد على السفر شيعه القاضي يحيى بن أكثم فكان الناس يدعون لإسماعيل ويقولون له عففت عن أموالنا ودمائنا فيقول إسماعيل وعن أبنائكم وكان يعرض بما يتهم به القاضي يحيى بن أكثم وقال إسماعيل المذكور كان لنا جار طحان رافضي وكان له بغلان سمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر فرمحه ذات ليلة أحد البغلين فقتله فأخبر جدي أبو حنيفة به فقال انظروا فإني إخال أن البغل الذي سماه عمر هو الذي رمحه فنظروا فكان كما قال وكانت وفاة حماد المذكور في ذي القعدة سنة ست وسبعين ومائة رحمه الله تعالى وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى

206 205 حماد الراوية أبو القاسم حماد بن أبي ليلى سابور وقيل ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي مولى بني بكر بن وائل المعروف بالراوية وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف وفي كتاب طبقات الشعراء إنه مولى مكنف بن زيد الخيل الطائي الصحابي رضي الله

عنه كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها وهو الذي جمع السبع الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره فيفد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها وقال له الوليد بن يزيد الأموي يوما وقد حضر مجلسه بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية فقال بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروي لأكثر منهم ممن تعترف أنك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني أحد شعرا قديما ومحدثا إلا ميزت القديم من المحدث فقال له فكم مقدار ما تحفظ من الشعر فقال كثير ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعراء الجاهلية دون شعراء الإسلام قال سامتحنك في هذا وأمره بالإنشاد فأنشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم

207 قال الطرماح أنشدت حمادا الراوية قصيدة لي ستين بيتا فسكت ساعة ثم قال أهذه لك قلت نعم قال ليس الأمر كذلك ثم ردها علي كلها وزيادة عشرين بيتا زادها في وقته دخل مطيع بن إياس ويحيي بن زياد على حماد الراوية فإذا سراجه على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين فقال له يحيى يا حماد إنك لمترف متبذل بحر المتاع وقال له مطيع ألا تبيع هذه المنارة وتشتري

بأقل ثمنا منها منارة تزيل بها عذرك وتنفق علينا وعلى
نفسك الباقي وتتسع وقال له يحيى ما أحسن ظنك به ومن
أين له هذه المنارة هذه وديعة أو عارية وقال مطيع إنه
لعظيم الأمانة عند الناس قال يحيى وعلى عظم أمانته فما
أجهل من يخرج هذه من داره ويأمن عليها غيره قال
مطيع ما أظنها عارية ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة
عنده على مال وإلا فمن يخرج هذه من بيته فقال حماد
يرهنها من يدخلكما على بيته ليلقى عليها من أنواع
المداعبة وهل عند أحد من المال ما يرهن وذكر أبو
محمد الحريري صاحب كتاب المقامات في كتابه درة
الغواص مامثاله قال حماد الراوية كان انقطاعي إلى يزيد
بن عبد الملك بن مروان في خلافته وكان أخوه هشام
يجفوني لذلك فلما مات يزيد وتولى هشام خفته ومكثت في
بيتي سنة لا أخرج إلا إلى من أثق إليه من إخواني سرا
فلما لم أسمع أحدا ذكرني في السنة أمنت فخرجت أصلي
الجمعة وصليت في جامع الرصافة الجمعة فإذا شرطيان
قد وقفا علي وقالا يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر
الثقفي وكان واليا على العراق فقلت في نفسي من هذا كنت
أخاف ثم قلت لهما هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي
فأودعهم وداع من لا يرجع إليهم أبدا ثم أصير معكما فقالا
208 ما إلى ذلك سبيل فاستسلمت في أيديهما ثم
صرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر
فسلمت عليه فرد علي السلام ورمى إلي كتابا فيه بسم الله

الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول فركبته وسرت حتى وافيت دمشق في اثنتي عشرة ليلة فنزلت على باب هشام واستأذنت فإذن لي فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ بالمسك والعنبر فسلمت عليه فرد علي السلام واستدناني فدنوت حتى قبلت رجله فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط في أذن كل جارية حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان فقال كيف أنت يا حماد وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين فقال أتدري فيم بعثت إليك قلت لا قال بعثت بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله قلت وما هو قال (ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة في يمينها إبريق) فقلت يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة قال أنشدنيها فأنشدته (بكر العاذلون في وضح الصبح * يقولون لي أما تستفيق) (ويلومون فيك يا ابنة عبد الله * والقلب عندكم موهوق) (لست أدري إذ أكثروا العذل فيها * أعدو يومني أم صديق) قال حماد فانتهيت فيها إلى قوله (ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة في يمينها إبريق)

209 (فدمته على عقار كعين الديك * صفى
سلافها الراووق) (مزة قبل مزجها فإذا ما * مزجت لذ
طعمها من يذوق) (وطفا فوقها فقاقيع كالياقوت * حمر
يزينها التصفيق) (ثم كان المزاج ماء سحاب * لاصرى
آجن ولا مطروق) قال فطرب هشام ثم قال أحسنت يا
حماد وفي هذه الحكاية زيادة فانه قال اسقيه يا جارية
فسقتني وهذا ليس بصحيح فإن هشاما لم يكن يشرب فلا
حاجة إلى ذكر تلك الزيادة ثم قال يا حماد سل حاجتك
فقلت كائنة ما كانت قال نعم قلت إحدى الجاريتين قال هما
جميعا لك بما عليهما ومالهما وأنزله في داره ثم نقله من
غد إلى منزل أعده له فوجد فيه الجاريتين ومالهما وكل ما
يحتاج إليه وأقام عنده مدة ووصله بمائة ألف درهم قال
حماد فسرت وأنا أيسر خلق الله إلى الكوفة فقلت (أنت
الذي تنزل الأيام منزلها * وتنقل الدهر من حال إلى حال
) (وما مددت مدى طرف إلى أحد * إلا قضيت بأرزاق
وآجال) (تروم شحا فتمسي البيض * وتستهل فتبكي
المال) قلت هكذا ساق الحريري هذه الحكاية وما يمكن
أن تكون هذه الواقعة مع يوسف بن عمر الثقفي لأنه لم
يكن واليابالعراق في التاريخ المذكور بل كان متوليه خالد
بن عبد الله القسري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى حسبما
يقتضيه تاريخ ولايته وانفصاله وولاية يوسف بن عمر في
ترجمته أيضا وأخبار حماد ونوادره كثيرة وكانت وفاته
سنة خمس وخمسين ومائة ومولده في سنة خمس وتسعين

للهجرة وقيل إنه توفي في خلافة المهدي وتولى المهدي الخلافة يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وتوفي ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم
210 سنة تسع وستين ومائة بقرية يقال لها الرذ من أعمال ماسبذان وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة (وأكرم قبر بعد قبر محمد * نبي الهدى قبر بماسبذان) (عجبت لأيد هالت الترب فوقه * ضحى كيف لم ترجع بغير بنان) ولما مات حماد الراوية رثاه أبو يحيى محمد بن كناسة وهو لقبه واسمه عبد الأعلى بن عبد الله بن خليفة بن نضلة بن أنيف بن مازن بن ذويبة بن أسامة ابن نصر بن قعين بقوله (لو كان ينجي من الردى حذر * نجاك مما أصابك الحذر) (يرحمك الله من أخي ثقة * لم يك في صفو وده كدر) (فهكذا يفسد الزمان ويفنى * العلم فيه ويدرس الأثر) وكان حماد المذكور قليل البضاعة من العربية قيل إنه حفظ القرآن الكريم من المصحف فصحف في نيف وثلاثين حرفا رحمه الله تعالى
206 حماد عجرد أبو عمرو وقيل أبو يحيى حماد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي وقيل الواسطي مولى بني سوأة بن عامر بن صعصعة المعروف بعجرد
211 الشاعر المشهور هو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ولم يشتهر إلا في العباسية ونادم الوليد بن يزيد الأموي وقدم بغداد في أيام المهدي وقال علي بن الجعد قدم علينا في أيام المهدي هؤلاء القوم حماد عجرد

ومطيع بن إياس الكناني ويحيى بن زياد فنزلوا بالقرب منا فكانوا لا يطاقون خبثا ومجانة وهو من الشعراء المجيدين وبينه وبين بشار بن برد أهاج فاحشة وله في بشار كل معنى غريب ولولا فحشها لذكرت شيئا منها وكان بشار يضج منه وقال بشار في حماد (إذا جئته في الحي أغلق بابه * فلم تلقه إلا وأنت كمين) (فقل لأبي يحيى متى تبلغ العلا * وفي كل معروف عليك يمين) وفيه يقول بشار أيضا (نعم الفتى لو كان يعبد ربه * ويقيم وقت صلاته حماد) (وابيض من شرب المدامة وجهه * وبياضه يوم الحساب سواد) وكان يبري النبل وقيل إن أباه كان يبري النبل وإنه هو لم يتعاط شيئا من الصنائع وكان ماجنا ظريفا خليعا متهما في دينه بالزندقة يحكى أنه كانت بينه وبين أحد الأئمة الكبار وما يليق التصريح بذكر اسمه مودة ثم تقاطعا فبلغه عنه أنه يتنقصه فكتب إليه (إن كان نسكك لا يتم * بغير شتمي وانتقاصي) (فاقعد وقم بي كيف شئت * مع الأداني والأقاصي)
212 (فلطالما زكيتني * وأنا المصر على المعاصي) (أيام نأخذها ونعطي * في أباريق الرصاص) ومن شعره أيضا (فأقسمت لو أصبحت في قبضة الهوى * لأقصرت عن لومي وأطنبت في عذري) (ولكن بلائي منك أنك ناصح * وأنك لا تدري بأنك لا تدري) وذكر ابن قتيبة في كتاب طبقات الشعراء قال كان في الكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون حماد عجرد

وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوي وكانوا يتعاشرون وكانوا كلهم يرمون بالزندقة وقيل إن حماد عجرد أهدى إلى مطيع بن إياس غلاما وكتب معه قد أهديت إليك من يتعلم عليه كظم الغيظ ولما أقعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد (قل للأمين جزاك الله صالحة * لا تجمع الدهر بين السخل والذيب) (فالسخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما في السخل من طيب) وقال أيضا (يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب في الغنم) (إن حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتلم) (بين فخذيه حربة * في غلاف من الأدم) (إن رأى ثم غفلة * محج الميم في القلم) فشاعت الأبيات فأمر الأمين أن يخرج حماد

213 ومن شعر حماد عجرد (إن الكريم ليخفي عنك عسرته * حتى تراه غنيا وهو مجهود) (وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود) (إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود) (بث النوال ولا يمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود) وأشعاره وأخباره مشهورة وتوفي في سنة إحدى وستين ومائة رحمه الله تعالى وقيل كان من أهل واسط وقتله محمد بن سليمان بن علي عامل البصرة بظاهر الكوفة على الزندقة في سنة خمس وخمسين ومائة وقيل خرج من الأهواز يريد البصرة فمات في طريقه فدفن على تل هناك وقيل مات سنة ثمان وستين ومائة

ولما قتل المهدي بشار بن برد المقدم ذكره بالبطيحة حمل
ودفن على حماد عجرد فمر على قبريهما أبو هشام
الباهلي فكتب عليهما (قد تبع الأعمى قفا عجرد *
فأصبحا جارين في دار) (صارا جميعا في يدي مالك *
في النار والكافر في النار) (قالت بقاع الأرض لا
مرحبا * بقرب حماد وبشار) وعجرد بفتح العين المهملة
وسكون الجيم وفتح الراء وبعدها دال مهملة وهو لقب
عليه وإنما قيل له ذلك لأنه مر به أعرابي وهو غلام يلعب
مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان فقال له لقد
تعجردت يا غلام والمتعجرد المتعري والمخضرم بضم
الميم وفتح الخاء المعجمة وسكون الضاد المعجمة وفتح
الراء وبعدها ميم أصل هذه اللفظة أن تطلق على الشاعر
الذي أدرك الجاهلية
214 والإسلام مثل لبيد والنابغة الجعدي وغيرهما
ثم توسع فيها حتى صارت تطلق على من أدرك دولتين
وسمع في ذلك أيضاً محضرم بالحاء المهملة وسمع بكسر
الراء أيضاً 207 أبو سليمان الخطابي أبو سليمان حمد بن
محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي كان فقيهاً
أديبا محدثاً له التصانيف البديعة منها غريب الحديث
ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود وأعلام السنن في
شرح البخاري وكتاب الشحاح وكتاب شأن الدعاء وكتاب
إصلاح غلط المحدثين وغير ذلك سمع بالعراق أبا علي
الصفار وأبا جعفر الرزاز وغيرهما وروى عنه الحاكم

أبو عبد الله ابن البيع النيسابوري وعبد الغفار بن محمد الفارسي وأبو القاسم عبد الوهاب بن أبي سهل الخطابي وغيرهم وذكره صاحب يتيمة الدهر وأنشد له (وما غمة الإنسان في شقه النوى * ولكنها والله في عدم الشكل)
215 (وإني غريب بين بست وأهلها * وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي) وأنشد له أيضاً (شر السباع العوادي دونه وزر * والناس شرهم ما دونه وزر) (كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع * ومما ترى بشراً لم يؤذه بشر) وأنشد له أيضاً (فسامح ولا تستوف حقك كله * وأبق فلم يستقص قط كريم) (ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد * كلا طرفي قصد الأمور ذميم) وذكر له أشياء غير ذلك وكان يشبه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سلام علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفا وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلثمائة بمدينة بست رحمه الله تعالى والخطابي بفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وبعد الألف باء موحدة وهذه النسبة إلى جده الخطاب المذكور وقيل إنه من ذرية زيد بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فنسب إليه والله أعلم والبستي بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها تاء مثناة من فوقها هذه النسبة إلى بست وهي مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة كثيرة الأشجار والأنهار وقد سمع في اسم أبي سليمان حمد المذكور أحمد أيضاً بإثبات الهمزة والصحيح الأول قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن

البيع سألت أبا القاسم المظفر ابن طاهر بن محمد البستي الفقيه عن اسم أبي سليمان الخطابي أحمد أو حمد فإن بعض الناس يقول أحمد فقال سمعته يقول اسمي الذي سميت به حمد ولكن الناس كتبوا أحمد فتركته عليه وقال أبو القاسم المذكور أنشدنا أبو سليمان لنفسه

216 (ما دمت حياً فدار الناس كلهم * فإنما أنت في دار المداراة) (من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديماً للندامات) 208 حمزة الزيات أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي المعروف بالزيات مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي كان أحد القراء السبعة وعنه أخذ أبو الحسن الكسائي القراءة وأخذ هو عن الأعمش وإنما قيل له الزيات لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة فعرف به وتوفي سنة ست وخمسين ومائة بحلوان وله ست وسبعون سنة رحمه الله تعالى وحلوان بضم الحاء وسكون اللام وفتح الواو وبعد الألف نون وهي مدينة في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل وربعي بكسر الواو وسكون الباء الموحدة وكسر العين المهملة وتشديد الياء

217 209 حنين إبن إسحاق أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي الطبيب المشهور كان إمام وقته في صناعة الطب وكان يعرف لغة اليونانيين معرفة تامة وهو الذي عرب كتاب أقليدس ونقله من لغة اليونان إلى اللغة

العربية وجاء ثابت بن قرة المقدم ذكره فنقحه و هذبه
وكذلك كتاب المجسطي وأكثر كتب الحكماء والأطباء
فإنها كانت كلها بلغة اليونان فعربت وكان حنين المذكور
أشد الجماعة اعتناء بتعريبها وعرب غيره أيضاً بعض
الكتب ولولا ذلك التعريب لما أنتفع أحد بتلك الكتب لعدم
المعرفة بلسان اليونان لا جرم كل كتاب لم يعربوه باق
على حاله ولا ينتفع به إلا من عرف تلك اللغة وكان
مفرما المأمون بتعريبها وتحريرها وإصلاحها ومن قبله
جعفر البرمكي وجماعة من أهل بيته أيضاً اعتنوا بها لكن
عناية المأمون كانت أتم وأوفر ولحنين المذكور في الطب
مصنفات مفيدة كثيرة وقد تقدم ذكر ولده إسحاق في حرف
الهمزة ورأيت في كتاب أخبار الأطباء أن حنيناً المذكور
كان في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام
فيصب عليه الماء ويخرج فيلتف في قطيفة ويشرب قدح
شراب ويأكل كعكة ويتكىء حتى ينشف عرقه وربما نام
ثم يقوم ويتبخر ويقدم له طعامه وهو فروج كبير مسمن قد
طبخ زيرباجاً ورغيف وزنه مائتا درهم فيحسو من المرقة
ويأكل الفروج والخبز وينام فإذا انتبه شرب أربعة أرطال
شراباً عتيقاً فإذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي
والسفرجل

218 وكان ذلك دأبه إلى أن مات يوم الثلاثاء لست
خلون من صفر سنة ستين ومائتين وقد سبق في ترجمة
ولده نسبة العبادي إلى أي شيء هي واليونانيون كانوا

حكماء متقدمين على الإسلام وهم من أولاد يونان بن يافث ابن نوح عليه السلام وهم بضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبين النونين ألف 210 ابن حيان صاحب المقتبس أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان هو من أهل قرطبة وله كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس في عشر مجلدات وكتاب المتين في تاريخها أيضاً في ستين مجلداً ذكره أبو علي الغساني فقال كان عالي السن قوي المعرفة متبحراً في الآداب بارعاً فيها صاحب لواء التاريخ بالأندلس أفصح الناس فيه وأحسنهم نظماً له لزم الشيخ أبا عمرو ابن أبي الحباب النحوي صاحب أبي علي القالي وأبا العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي وأخذ عنه كتابه المسمى

219 ب الفصوص وسمع الحديث وسمعته يقول التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة وتوفي يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وأربعمائة ودفن من يومه بعد العصر بمقبرة الربض ومولده سنة سبع وسبعين وثلثمائة ووصفه الغساني بالصدق فيما حكاه في تاريخه وأخبر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عون قال كان ابن حيان فصيحاً في كلامه بليغاً فيما يكتبه بيده وكان لا يتعمد كذباً فيما يحكيه في تاريخه من القصص والأخبار قال ورأيته في

النوم بعد وفاته مقبلاً إلي فقمت إليه وسلم علي وتبسم في سلامه فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت له فالتاريخ الذي صنفت ندمت عليه قال أما والله لقد ندمت عليه إلا أن الله عز وجل بلطفه عفا عني وغفر لي وذكره أبو عبد الله الحميدي في جذوة المقتبس وابن بشكوال في الصلة رحمهم الله تعالى أجمعين & حرف الخاء &

220 @220@

221 & حرف الحاء &

222 @222@

223 211 خارجة بن زيد أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وقد تقدم ذكر أبي بكر ابن عبد الرحمن في حرف الباء وذكرت في ترجمته البيتين الجامعين لأسماء الفقهاء السبعة وكان خارجة المذكور تابعياً جليل القدر أدرك زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه وأبوه زيد بن ثابت رضي الله عنه من أكابر الصحابة وفي حقه قال رسول الله زيد توفي خارجة سنة تسع وتسعين للهجرة وقيل سنة مائة رضي الله عنه بالمدينة وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات أن خارجة قال رأيت في المنام كأني بنيت سبعين درجة فلما فرغت منها تدهورت وهذه السنة لي سبعون سنة قد أكملتها قال فمات فيها وروى عنه الزهري رحمهما الله تعالى

224 212 خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي كان من أعلم قريش بفنون العلم وله كلام في صناعة الكيمياء والطب وكان بصيراً بهذين العلمين متقناً لهما وله رسائل دالة على معرفته وبراعته وأخذ الصناعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس الراهب الرومي وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهن ما جرى له مع مريانس الراهب المذكور وصورة تعلمه منه والرموز التي أشار إليها وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطيع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه وله شعر جيد فمنه (تجول خلاخيل النساء ولا أرى * لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا) (فلا تكثرو فيها الملام فإنني * تخيرتها منهم زبيرية قلبا)
225 (أحب بني العوام من أجل حبها * ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا) وهي طويلة ولها قصة مع عبد الملك بن مروان أضربنا عن ذكرها لشهرتها وكان له أخ يسمى عبد الله فجاءه يوماً وقال إن الوليد بن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه وقال (^ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) النمل 34 فقال خالد (^ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) الاسراء 16 فقال

عبد الملك أني عبد الله تكلمني والله لقد دخل علي فما أقام لسانه لحناً فقال خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان فقال خالد وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل على الوليد فقال ويحك ومن العير والنفير غيري جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت وهذا الموضع يحتاج إلى تفسير فقوله العير فهي عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام فخرج إليها رسول الله والصحابة ليغنموها فبلغ الخبر أهل مكة فخرجوا ليدفعوا عن العير وكان مقدم القوم

226 عتبة بن ربيعة فلما وصلوا إلى المسلمين كانت وقعة بدر وكل واحد من أبي سفيان وعتبة جد خالد المذكور أما أبو سفيان فمن جهة أبيه وأما عتبة فلأن ابنته هند أم معاوية جد خالد وقوله غنيمات وحبيلات إلى آخر كلامه فإنه أشار إلى أن رسول الله لما نفى الحكم بن أبي العاص وكان جد عبد الملك المذكور إلى الطائف كان يرعى الغنم ويأوي إلى حبيلة وهي الكرمة ولم يزل كذلك حتى ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة فرده وكان الحكم عمه ويقال إن عثمان رضي الله عنه كان قد أذن له رسول الله في رده متى أفضى الأمر إليه وأخبار

خالد كثيرة وفي هذا القدر منها كفاية وكانت وفاته سنة خمس وثمانين للهجرة رحمه الله تعالى 213 خالد بن عبد الله القسري أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري ذكره هشام بن الكلبي في كتاب جمهرة النسب فقال هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس ابن غمغمة بن جرير بن شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن أفصى بن نذير بن قسر وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن

227 الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان قال ابن ماكولا يقال القسري والخصري كان أمير العراقين من جهة هشام بن عبد الملك الأموي ولي مكة سنة تسع وثمانين للهجرة وأمه نصرانية وكان لجده يزيد صحبة مع رسول الله وكان خالد معدوداً من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وكان جواداً كثير العطاء دخل عليه شاعر يوم جلوسه للشعراء وقد مدحه ببيتين فلما رأى اتساع الشعراء في القول استصغر ما قال فسكت حتى انصرفوا فقال له خالد ما حاجتك فقال مدحت ببيتين فلما سمعت قول الشعراء احتقرت بيتي فقال ما هما فأنشده (تبرعت لي بالجود حتى نعشتني * وأعطيتني حتى حسبتك تلعب) (فأنت الندى وابن الندى وأبو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب) فقال ما حاجتك فقال علي دين فأمر بقضائه

وأعطاه مثله وحكى عبد الملك بن قريب الأصمعي قال دخل أعرابي على خالد القسري فقال قد امتدحتك ببيتين ولست أنشدكهما إلا بعشرة آلاف درهم وخادم قال قل فأنشأ يقول (لزمت نعم حتى كأنك لم تكن * سمعت من الأشياء شيئاً سوى نعم) (وأنكرت لا حتى كأنك لم تكن * سمعت بها في سالف الدهر والأمم) فقال أعطه يا غلام عشرة آلاف درهم وخادماً فتسلمها ودخل عليه
228   أعرابي فقال قد قلت شعراً وأنشأ يقول (أخالد إني لم أزرك لحاجة * سوى أنني عاف وأنت جواد) (أخالد إن الأجر والحمد حاجتي * فأيهما تأتي وأنت عماد) فقال له خالد سل يا أعرابي قال وجعلت المسألة إلي أصلح الله الأمير قال نعم قال مائة ألف درهم قال أكثرت يا أعرابي قال فأحطك قال نعم قال قد حططتك تسعين ألفاً قال له خالد يا أعرابي لا أدري من أي أمريك أعجب فقال أصلح الله الأمير أنت جعلت المسألة إلي فسألتك على قدرك وما تستحقه في نفسك فلما سألتني أن أحط حططت على قدري وما استأهله في نفسي فقال له خالد والله يا أعرابي لا تغلبني يا غلام أعطه مائة ألف درهم فدفعها إليه وكتب إليه هشام بن عبد الملك بلغني أن رجلاً قام إليك فقال إن الله جواد وأنت جواد وإن الله كريم وأنت كريم حتى عد عشر خصال ووالله لئن لم تخرج من هذا لأستحلن دمك فكتب إليه خالد نعم يا أمير المؤمنين قام إلي فلان فقال الله كريم يحب الكريم فأنا أحبك لحب الله إياك

ولكن أشد من هذا مقام ابن شقي البجلي إلى أمير المؤمنين فقال خليفتك أحب إليك أم رسولك فقلت بل خليفتي فقال أنت خليفة الله ومحمد رسول الله ووالله لقتل رجل من بجيلة أهون على الخاصة والعامة من كفر أمير المؤمنين هكذا ذكره الطبري في تاريخه وكان خالد يتهم في دينه وبنى لأمة كنيسة تتعبد فيها وفي ذلك يقول الفرزدق يهجوه (ألا قبح الرحمن ظهر مطية * أتتنا تهادى من دمشق بخالد)
229 (وكيف يؤم الناس من كانت أمه * تدين بأن الله ليس بواحد) (بنى بيعة فيها الصليب لأمه * ويهدم من بغض منار المساجد) ثم إن هشاماً عزل خالداً عن العراقين في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة وذكر الطبري في تاريخه أن هشام بن عبد الملك عزل عمر بن هبيرة عن العراق وولاء خالداً في شوال سنة خمس ومائة ثم عزله وولى يوسف بن عمر الثقفي وهو ابن عم الحجاج وكان سبب عزل خالد أن امرأة أتته فقالت أصلح الله الأمير إني امرأة مسلمة وإن عاملك فلاناً المجوسي وثب علي فأكرهني على الفجور وغصبني نفسي فقال لها كيف وجدت قلفته فكتب بذلك حسان النبطي إلى هشام وعند هشام يومئذ رسول يوسف بن عمر وقد كان يوسف وجهه إليه من اليمن في بعض حاجته فاحتبسه هشام عنده يوماً حتى إذا جنه الليل دعا به فكتب معه إلى يوسف بولاية العراق ومحاسبة خالد وعماله وأمره أن يستخلف ابنه

الصلت على اليمن فخرج يوسف في نفر يسير فسار من صنعاء إلى الكوفة على الرحال في سبع عشرة مرحلة حتى قدم الكوفة سحراً ثم أخذ خالداً وعماله وحبسه وحاسبه وعذبه ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد قيل إنه وضع قدميه بين خشبتين وعصرهما حتى انقصفا ثم رفع الخشبتين إلى ساقيه وعصرهما حتى انقصفا ثم إلى وركيه ثم إلى صلبه فلما انقصف صلبه مات وهو في ذلك كله لا يتأوه ولا ينطق وكان ذلك في المحرم سنة ست وعشرين وقيل في ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومائة بالحيرة ودفن في ناحية منها ليلاً رحمه الله تعالى والحيرة بينها وبين الكوفة فرسخ كانت منزل آل النعمان بن المنذر ملوك العرب

230 ولما كان خالد في سجن يوسف مدحه أبو الشغب العبسي بهذه الأبيات وهي في كتاب الحماسة (ألا أن خير الناس حياً وميتاً * أسير ثقيف عندهم في السلاسل) (لعمري لئن عمرتم السجن خالداً * وأوطأتموه وطأه المتثاقل) (لقد كان نهاضاً بكل ملمة * ومعطي اللها غمراً كثير النوافل) (وقد كان يبني المكرمات لقومه * ويعطي اللها في كل حق وباطل) (فإن تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه في القبائل) وكان يوسف جعل على خالد في كل يوم حمل مال معلوم إن لم يقم به في يومه عذبه فلما مدحه أبو الشغب بهذه الأبيات وأوصلها إليه كان قد حصل في قسط يومه سبعين ألف

درهم فأنفذها له وقال اعذرني فقد ترى ما أنا فيه فردها
أبو الشغب وقال لم أمدحك لمال وأنت على هذه الحال
ولكن لمعروفك وإفضالك فأنفذها إليه ثانياً وأقسم عليه
ليأخذنها فأخذها وبلغ ذلك يوسف فدعاه وقال ما حملك
على فعلك ألم تخش العذاب فقال لأن أموت عذاباً أسهل
علي من كفي بذلي لا سيما على من مدحني وذكر أبو
الفرج الاصبهاني أن خالداً كان من ولد شق الكاهن وهو
خالد بن عبد الله بن أسد بن يزيد بن كرز وذكر أن كرزاً
كان دعياً وأنه كان من اليهود فجنى جناية فهرب إلي
بجيلة فانتسب فيهم ويقال كان عبداً لعبد القيس وهو ابن
عامر ذي الرقعة وسمي بذي الرقعة لأنه كان أعور يغطي
عينه برقعة وذو الرقعة هو ابن عبد شمس بن جوين بن
شق الكاهن بن صعب انتهى كلام أبي الفرج قلت أنا كان
شق المذكور ابن خالة سطيح الكاهن الذي بشر بالنبي
وقصته في تأويل الرؤيا في ذلك مشهورة وهي مستوفاة
في
231 السيرة وكان شق وسطيح من أعاجيب الدنيا
أما سطيح فكان جسداً ملقى لا جوارح له وكان وجهه في
صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وكان لا يقدر على
الجلوس إلا أنه إذا غضب انتفخ فجلس وكان شق نصف
إنسان ولذلك قيل له شق أي شق إنسان فكانت له يد واحدة
ورجل واحدة وعين واحدة وفتح عليهما في الكهانة ما هو
مشهور عنهما وكانت ولادتهما في يوم واحد وفي ذلك

اليوم توفيت طريفة ابنة الخير الحميرية الكاهنة زوجة عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء ولما ولدا دعت بكل واحد منهما وتفلت في فيه وزعمت أنه سيخلفها في علمها وكهانتها ثم ماتت من ساعتها ودفنت بالجحفة وعاش كل واحد من شق وسطيح ستمائة سنة وكرز بضم الكاف وسكون الراء وبعدها زاي والقسري بفتح القاف وسكون السين المهملة وبعدها راء هذه النسبة إلى قسر بن عبقر وهي بطن من بجيلة 214 خالد المهلبي أبو الهيثم خالد بن خداش بن عجلان المهلبي مولى آل المهلب بن أبي صفرة من أهل البصرة سكن بغداد وحدث بها عن مالك بن أنس والمغيرة بن عبد الرحمن ومهدي بن ميمون وحماد بن زيد وغيرهم وروى عنه أحمد بن حنبل

232 وأحمد بن إبراهيم الدورقي وحاتم بن الليث الجوهري وغيرهم قال محمد بن المثنى انصرفت مع بشر بن الحارث في يوم أضحى من المصلى فلقي خالد بن خداش المحدث فسلم عليه فقصر بشر في السلام فقال خالد بيني وبينك مودة أكثر من ستين سنة فما تغيرت عليك فما هذا التغير قال بشر ما هاهنا تغيير ولا تقصير ولكن هذا يوم تستحب فيه الهدايا وما عندي من عرض الدنيا شيء أهدي لك وقد روي في الحديث أن المسلمين إذا التقيا كان أكثرهما ثواباً أبشهما بصاحبه فتركتك لتكون أفضل ثواباً مني مات خالد بن خداش في سنة ثلاث وعشرين ومائتين في جمادي الآخرة رحمه الله تعالى 215 خالد التميمي أبو

الهيثم خالد بن يزيد بن الهيثم التميمي الخراساني كان أحد كتاب الجيش ببغداد وله شعر مدون وشعره كله في الغزل حكى أبو الحسن البرمكي قال كنا جلوساً على باب عبد الصمد بن المغذل بن علي ومعنا رجل ينشدنا أشعار عبد الصمد إذ أقبل خالد بن يزيد الكاتب فجلس إلينا فقال فيم كنتم فقلنا يجهلنا هذا ينشدنا شيئا من أشعار عبد الصمد فالتفت إليه خالد فقال يا فتى من ذا الذي يقول (تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعي * كأنك بعد الضر خال من النفع)

233 ثم قال يا فتى هل أحسن عبد الصمد أن يجعل للسمع سمعاً فقال لا ثم أنشد (لئن كان أضحى فوق خديه روضة * فإن على خدي غديراً من الدمع) ثم نهض فقال لنا المنشد من هذا فقلنا خالد الكاتب فعدا خلفه وانقطعت نعله وانقلبت محبرته حتى كتب البيتين ومن شعر خالد المذكور (هبك الخليفة حين يركب * في مواكبه وجنده) (أو هبك كنت وزيره * أو هبك كنت ولي عهده) (هل كنت تقدر أن تزيد * المبتلى بك فوق جهده) وقال ثعلب ما أحد من الشعراء تكلم في الليل إلا قارب إلا خالد الكاتب فإنه أبدع في قوله (رقدت فلم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر) (ولم تدر بعد ذهاب الرقاد * ما صنع الدمع بالناظر) فإنه لم يجعل لليل آخراً وقيل لخالد من أين قلت في قصيدتك وليل المحب بلا آخر فقال وقفت على باب وعليه سائل مكفوف وهو يقول الليل والنهار

علي سواء فأخذت هذا منه وذكر ميمون بن حماه قال
دخلت يوماً على أبي عبد الله بن الأعرابي فقلت له أسمعت
من شعر هذا الغليم شيئا قال من هو قلت خالد بن يزيد
فقال لا وإني لأحب ذلك فصاح به فجاء حتى وقف عليه
فقلت أشد أبا عبد الله من شعرك فقال إنما أقول في شجون
نفسي ولا أمدح ولا أهجو فقلت أنشده فأنشده (أقول للسقم
عد إلى بدني * شوقاً لشيء يكون من سببك)
234 فقال ابن الأعرابي حسبك يا غلام فقد خيل لي
أن الرقة قد جمعت لك في هذا البيت قال جحظة حدثني
خالد بن يزيد الكاتب قال لم أشعر إلا ورسول إبراهيم ابن
المهدي قد وافاني فدخلت إليه فقال أنشدني شيئاً من شعرك
فأنشدته (رأت منه عيني منظرين كما رأت * من البدر
والشمس المضيئة بالأرض) (عشية حياني بورد كأنه *
خدود أضيفت بعضهن إلى بعض) (وناولني كأساً كأن
حبابها * دموعي لما صد عن مقلتي غمضي) (وراح
وفعل الراح في حركاته * كفعل نسيم الريح في الغصن
الغض) فزحف حتى صار في ثلثي المصلى ثم قال يا
بني شبه الناس الخدود بالورد وشبهت أنت الورد بالخدود
ثم قال زدني فأنشدته (عاتبت نفسي في هواك * فلم
أجدها تقبل) (وأجبت داعيها إليك * ولم أطع من يعذل)
(لا والذي جعل الوجوه * لحسن وجهك تمثل) (لا قلت
إن الصبر * عنك من التصابي أجمل) فزحف حتى
صار خارج المصلى ثم قال زدني فأنشدته (ظفر الحب

بقلب دنف * بك والسقم بجسم ناحل) (وبكى العاذل من رحمته * فبكائي لبكاء العاذل) فصاح وقال يا بليق كم معك من العين قال ستمائة وخمسون ديناراً فقال اقسمها بيني وبينه واجعل الكسر للغلام كاملاً وذكر أحمد بن صدقة المغني قال اجتزت بخالد الكاتب يوماً فقلت له
235 اعمل لي أبياتاً أغني بها أمير المؤمنين يعني المأمون فقال وأي حظ لي في ذلك تأخذ الجائزة وأحصل أنا على الإثم فحلف له أنه إن وصله بشيء قاسمه إياه فقال لي أنت أنذل من ذلك ولكن ذكره بي فلعله أن يصلني بشيء قلت أفعل فأنشدني (تقول سلا فمن المدنف * ومن عينه أبدا تذرف) (ومن قلبه قلق خائف * عليك وأحشاؤه ترجف) فحفظت الشعر وعملت فيه لحنا وحضرنا عند أمير المؤمنين من الغد وكان بينه وبين بعض حظاياه هجرة فوجهت إليه بتفاحة عليها مكتوب بالغالية يا سيدي سلوت وابتدأت أغني بشعر خالد فلما غنيته إياه انقلبت عيناه ودارتا في رأسه وظهر الغضب في وجهه وقال لكم على حرمي أصحاب أخبار فقمت إعظاما لما شهدت منه وقلت أعيذ أمير المؤمنين بالله أن يظن بعبد من عبيده هذا الظن وأنزه داره أن يكون لأحد عليها صاحب خبر قال فمن أين عرفت خبري مع جاريتي حتى غنيت في معنى ما بيننا فحدثته حديثي مع خالد فلما انتهيت إلى قوله أنت أنذل من ذلك فقال أشهد أنك كذلك وأسفر وجهه وقال ما أعجب هذا الاتفاق وأمر لي بخمسة آلاف

درهم ولخالد بمثلها وقال بعض من كان يحضر مجلس
أبي العباس المبرد كنا نختلف إليه فإذا كان في آخر
المجلس أملى علينا من طرف الأخبار وملح الأشعار ما
نرتاح إلى حفظه فأنشدنا يوما مرثية زياد الأعجم في
المغيرة بن المهلب وهي (إن السماحة والمروة والندى *
قبر بمرو على الطريق الواضح) (فإذا مررت بقبره
فاعقر به * كوم الهجان وكل طرف سابح) (وانضح
جوانب قبره بدمائها * فلقد يكون أخا دم وذبائح) (مات
المغيرة بعد طول تعرض * للموت بين أسنة وصفائح)
قال فخرجت من عنده وأنا أدير بها لساني لأحفظها فإذا
بشيخ قد خرج
236 من خربة وفي يده حجر فهم أن يرميني به
فتترست منه بالمحبرة والدفتر فقال ماذا تقول أتشتمني
قلت اللهم لا ولكني كنت عند أستاذنا أبي العباس المبرد
فأنشدنا مرثية زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب فقال إيه
إيه أنشدني ما أنشدكم باردكم لا مبردكم فأنشدته الأبيات
فقال والله ما جود الراثي ولا أنصف المرثي ولا أحسن
الراوي قلت فما عساه أن يقول قال كان يقول (احملاني
إن لم يكن لكما عقر * إلى جنب قبره فما بقراني) (
وانضحا من دمي عليه فقد * كان دمي من نداه لو تعلمان
) قال فقلت هل رأيت أحداً واسى أحداً بنفسه قال نعم هذا
الفتح ابن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه
بلحمه ودمه بدمه ثم تركني وولى قال فلما عدت إلى

المبرد قصصت عليه القصة فقال أتعرفه قلت لا قال ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء في أيام الباذنجان وقيل كبر خالد الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده فوسوس قال بعضهم فرأيته ببغداد والصبيان يتبعونه ويصيحون به يا بارد يا بارد فأسند ظهره إلى قصر المعتصم وقال لهم كيف أكون بارداً وأنا الذي أقول (بكى عاذلي من رحمتي فرحمته * وكم مثله من مسعد ومعين) (ورقت دموع العين حيتى كأنها * دموع دموعي لا دموع جفوني)
وحكى أبو الحسن علي بن محمد بن مقلة قال حدثني أبي عن عمه قال اجتاز بي خالد الكاتب وأنا على باب داري بسر من رأى والصبيان حوله يولعون به فجاء إلي وسألني صرفهم عنه ففعلت وأدخلته داري فقلت له ما تشتهي تأكل قال هريسة فتقدمت بإصلاحها له فلما أكل قلت له أي شيء تحب بعد هذا قال رطب فأمرت بإحضاره فأكل فلما فرغ من أكله قلت أنشدني شيئاً من شعرك فأنشدني قوله (تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعي * كأنك بعد الضر خال من النفع)
237 (أما عند عينيك اللتين هما هما * لمكتئب يرجوك شيئاً سوى المنع) (فإن كنت مطبوعاً على الصد والجفا * فمن أين لي صبر فأجعله طبعي) (فإن يك أضحى فوق خديك روضة * فإن على خدي غديراً من الدمع) (سل المطر العام الذي عم أرضكم * أجاء بمقدار الذي فاض من دمعي) فقلت زدني فقال لا يصيبك

بهريسة ورطب غير هذا والله أعلم 216 الشيخ الخصر بن عقيل الإربلي أبو العباس الخصر بن نصر بن عقيل بن نصر الإربلي الفقيه الشافعي كان فقيهاَ فاضلاً عارفاً بالمذهب والفرائض والخلاف اشتغل ببغداد على الكيا الهراسي وابن الشاشي ولقي عدة من مشايخها ثم رجع إلى إربل وبنى له بها الأمير أبو منصور سرفتكين بن عبد الله الزيني نائب صاحب إربل مدرسة القلعة وتاريخها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ودرس فيها زماناً وهو أول من درس بإربل وله تصانيف حسان كثيرة في التفسير والفقه وغير ذلك وله كتاب ذكر فيه ستاً وعشرين خطبة للرسول مسندة واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وكان رجلاً صالحاً زاهداً عابداً ورعاً متقللاً ونفسه مباركاً وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق وأثنى عليه وكان قد قدم دمشق فأقام بها مدة ثم رجع إلى إربل ومن جملة من تخرج عليه الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى

238 ابن درباس الهذباني الذي شرح المهذب وسيأتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى وتخرج عليه أيضاً ابن أخيه عز الدين أبو القاسم نصر بن عقيل ابن نصر وغيرهما وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وكانت وفاته ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وستين وخمسمائة بإربل ودفن بها في مدرسته التي بالربض في قبة مفردة وقبره يزار وزرته

كثيراً رحمه الله تعالى (31) ولما توفي تولى موضعه ابن أخيه المذكور في المدرستين وكان فاضلاً ومولده بإربل سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وسخط عليه الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل وأخرجه منها فانتقل إلى الموصل فكتب إليه أبو الدر الرومي الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى من بغداد وكان صاحبه (أيا ابن عقيل لا تخف سطوة العدا * وإن أظهرت ما أضمرت من عنادها) (وأقصتك يوماً عن بلادك فتية * رأت فيك فضلاً لم يكن في بلادها) (كذا عادة الغربان تكره أن ترى * بياض البزاة الشهب بين سوادها) أشار بذلك إلى الجماعة الذي سعوا به حتى غيروا خاطر الملك عليه وكان ذلك في سنة اثنتين أو ثلاث وستمائة كذا أعرفه وقال ابن باطيش في سنة ست وستمائة والله أعلم (32) وفي تلك السنة خرجت الكرج على مدينة مرند من أعمال أذربيجان وهي قريبة من إربل فقتلوا وسبوا وأسروا فعمل شرف الدين محمد ولد عز الدين أبي القاسم المذكور في إخراجهم من إربل (إن يكن أخرجوا النساء من الأوطان * ظلما وأسرفوا في التعدي)

239 (فلنا أسوة بمن جارت الكرج * عليهم وأخرجوا من مرند) وهذا الشرف له في عمل الدوبيت اليد الطولى ولولا خوف التطويل لذكرت شيئاً منها وسكن عز الدين ظاهر الموصل في رباط ابن الشهرزوري وقرر له صاحب الموصل راتباً ولم يزل

هناك حتى توفي يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر
وقيل جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وستمائة رحمه الله
تعالى ودفن بمقبرة تل بتوبة وهو ابن خالة الشيخ عماد
الدين أبي حامد محمد بن يونس وتوفي ولده الشرف
المذكور ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم سنة
ثلاث وثلاثين وستمائة بدمشق ودفن بمقابر الصوفية
رحمه الله تعالى ومولده في رجب سنة اثنتين وسبعين
وخمسمائة بإربل وقرأ الفقه على أبيه وعلى عماد الدين بن
يونس والأدب على أبي الحرم مكي (33) وسرفتكين
بفتح السين المهملة والراء وسكون الفاء وكسر التاء المثناة
من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها
نون كان مملوك زين الدين علي صاحب إربل والد مظفر
الدين وكان أرمنياً صالحاً فأعتقه وتقدم عنده واعتمد عليه
واستنابه في المملكة وبنى مساجد كثيرة بإربل وقراها
وبنى المدرسة المذكورة وبنى سور مدينة فيد التي في
طريق مكة من جهة بغداد وأثر آثاراً صالحة كل ذلك من
ماله وتوفي في شهر رمضان سنة تسع وخمسين
وخمسمائة رحمه الله تعالى

240 217 ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن
عبدالملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحة ابن
داكة بن نصر بن عبد الكريم بن وافد الخزرجي
الأنصاري القرطبي كان من علماء الأندلس وله التصانيف
المفيدة منها كتاب الصلة الذي جعله ذيلاً على تاريخ علماء

الأندلس تصنيف القاضي أبي الوليد عبد الله المعروف بابن الفرضي وقد جمع فيه خلقاً كثيراً وله تاريخ صغير في أحوال الأندلس وما أقتصر فيه وكتاب الغوامض والمبهمات ذكر فيه من جاء ذكره في الحديث مبهماً فعينه ونسج فيه على منوال الخطيب البغدادي في كتابه الذي وضعه على هذا الأسلوب وجزء لطيف ذكر فيه من روى الموطأ عن مالك بن أنس رضي الله عنه ورتب أسماءهم على حروف المعجم فبلغت عدتهم ثلاثة وسبعين رجلاً ومجلد لطيف سماه كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرغبات والدعوات وما يسر الله الكريم لهم من الإجابات والكرامات وله غير ذلك أيضاً من المصنفات قال أبو الخطاب ابن دحية نقلت من خط شيخنا يعني ابن بشكوال أنه فرغ من تأليف الصلة في جمادي الأولى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وكان مولده يوم الاثنين ثالث وقيل ثامن ذي الحجة سنة أربع وتسعين وأربعمائة وتوفي ليلة الأربعاء لثمان خلون من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بقرطبة ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر بمقبرة ابن

241 عباس بمقربة من قبر يحيى بن يحيى رحمهما الله تعالى وداحة بفتح الدال المهملة وبعد الألف حاء مهملة أيضاً مفتوحة ثم هاء ساكنة وداكة مثلها إلا أن عوض الحاء كاف وبشكوال بفتح الباء الموحدة وسكون

الشين المعجمة وضم الكاف وبعد الواو ألف ولام (34)
وتوفي والده أبو مروان عبد الملك بن مسعود صبيحة يوم الأحد ودفن عشي يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وعمره نحو ثمانين سنة رحمه الله تعالى 218 خلف بن هشام أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب ويقال هشام بن طالب بن غراب البزار المقرىء سمع مالك بن أنس وحماد بن زيد وأبا عوانة وغيرهم روى عنه عباس الدوري ومحمد بن الجهم وأحمد بن أبي خيثمة وغيرهم قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم وراق خلف سمعت خلفاً يقول قدمت الكوفة فصرت إلى سليم بن عيسى فقال ما أقدمك قلت أقرأ القرآن على أبي بكر ابن عياش بحرف عاصم فقال لي ألا تزيد قلت بلى قال فدعا ابنه وكتب معه رقعة إلى ابن عياش فاستأذن لي عليه سليم بن عيسى فدخل عليه فأعطاه
242 الرقعة وكان لخلف سبع عشرة سنة قال فلما قرأها قال أدخل الرجل فدخلت فسلمت فصعد في النظر ثم قال لي أنت خلف قلت نعم قال لي أنت لم تخلف ببغداد أحداً أقرأ منك فسكت فقال لي اقعد هات اقرأ قلت عليك قال نعم قلت لا إله إلا الله لا أقرأ على رجل يستصغر رجلاً من حملة القرآن وتركته وخرجت فوجه إلى سليم فسأله أن يردني إليه فلم أرجع قال فندمت واحتجت فكتبت قراءة عاصم عن يحيى ابن آدم عن أبي بكر ابن عياش وقال خلف أتيت سليم بن عيسى لأقرأ عليه وكان بين يديه

قوم وأظنهم سبقوني فلما جلست قال بلغني أنك تريد الترفع في القراءة فلست آخذ عليك شيئاً قال فكنت أحضر المجلس أسمع ولا يأخذ علي شيئاً فبكرت يوماً في الغلس وخرج فقال من هاهنا يتقدم ويقرأ فتقدمت واستفتحت بسورة يوسف وهي من أشد القرآن إعرابا فقال لي من أنت فما سمعت أقرأ منك فقلت خلف فقال لي فعلتها ما يحل لي أن أمنعك فكنت أقرأ عليه حتى بلغت يوماً حم المؤمن فلما بلغت إلى قوله تعالى (^ ويستغفرون للذين آمنوا) غافر 7 بكى بكاء شديداً ثم قال لي يا خلف ألا ترى ما أعظم حق المؤمن تراه نائماً على فراشه والملائكة يستغفرون له وروى خلف بسنده إلى أبي هريرة إلى النبي أن الله عز وجل خلق مائة رحمة فأنزل منها رحمة على عباده يتراحمون بها وخبأ تسعاً وتسعين عنده فإذا كان يوم القيامة جمع تيك الرحمة إلى التسع والتسعين وفضها على عباده فمن رحمة واحدة جعلني مسلماً وعلمني القرآن وعرفني نبيه وفعل بي وفعل بي وأنا أرجو من تسع وتسعين الجنة وذكر لأبي جعفر النفيلي خلف بن هشام البزار فقال كان من أصحاب السنة لولا بلية كانت فيه يشرب النبيذ قال عبد الكريم بن الحداد وكان خلف يشرب من الشراب على التأويل فكان ابن أخته يوماً يقرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ قوله تعالى (ليميز الله الخبيث من الطيب) الأنفال 37 فقال يا خال إذا ميز الله الخبيث من الطيب أين يكون الشراب قال

243 فنكس رأسه طويلاً ثم قال مع الخبيث قال فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث قال يا بني امض إلى المنزل فاصبب كل شيء فيه فتركه فأعقبه الله تعالى الصوم فصام الدهر إلى أن مات وقيل إنه أعاد صلاة الأربعين سنة التي كان يتناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين وكانت وفاته يوم السبت السابع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى ورثاه بعض الشعراء بقوله (مضى شيخنا البزار بالفضل يذكر * هجان إمام في القراءة مبصر) (سقى الله قبراً حله من غمامة * بوابل غيث صفوه يتفجر) (وقد طلب الحساد في الناس كيده * فما قدروا حتى عموا وتحيروا) 219 خليفة بن خياط أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الشيباني المصفري البصري المعروف بشباب صاحب الطبقات كان حافظاً عارفاً بالتواريخ وأيام الناس غزير الفضل روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه وتاريخه وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل وأبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان النسوي في آخرين وروى هو عن ابن عيينة ويزيد بن زريع وأبي داود الطيالسي ودرست حمزة وتلك الطبقة
244 توفي في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائتين وقال الحافظ ابن عساكر في معجم مشايخ الأئمة الستة إنه توفي سنة أربعين وقيل ست وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى والعصفري بضم العين وسكون الصاد المهملتين

وضم الفاء وبعدها راء هذه النسبة إلى العصفر الذي تصبغ به الثياب حمراً وشباب بفتح الشين المثلثة والباء الموحدة وبعد الألف باء ثانية وقد اختلفوا في تلقيبه بذلك لأي معنى هو (35) وتوفي جده أبو هبيرة خليفة بن خياط في رجب سنة ستين ومائة وكان أبو عمرو المذكور يقول توفي جدي خليفة بن خياط وشعبة بن الحجاج في شهر واحد رحمهم الله أجمعين 220 الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ويقال الفرهودي الأزدي اليحمدي كان إماماً في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً ثم زاد فيه الأخفش بحراً آخر وسماه الخبب وقيل إن الخليل دعا بمكة أن يرزق علماً لم يسبقه أحد إليه ولا يؤخذ إلا عنه فرجع من حجه ففتح عليه بعلم العروض وله معرفة بالإيقاع والنغم وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض فإنهما متقاربان في المأخذ

245 وقال حمزة بن الحسن الأصبهاني في حق الخليل بن أحمد في كتابه الذي سماه التنبيه على حدوث التصحيف وبعد فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه ولا على مثال تقدمه احتذاه وإنما اخترعه من ممر له بالصفارين من وقع مطرقة على طست ليس فيهما

حجة ولا بيان يؤديان إلى غير حليتهما أو يفيدان غير جوهرهما فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعته ما لم يصنع أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره ومن تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة ثم من إمداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الاسلام انتهى كلامه وكان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً حليماً وقوراً ومن كلامه لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره وقال تلميذه النضر بن شميل أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال ولقد سمعته يوماً يقول إني لأغلق علي بابي فما يجاوزه همي وكان يقول أكمل ما يكون الإنسان عقلاً وذهناً إذا بلغ أربعين سنة وهي السن التي بعث الله تعالى فيها محمداً ثم يتغير وينقص إذا بلغ ثلاثاً وستين سنة وهي السن التي قبض فيها رسول الله وأصفى ما يكون ذهن الإنسان في وقت السحر وكان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان والي فارس والأهواز فكتب إليه يستدعيه فكتب الخليل جوابه

246 (أبلغ سليمان أني عنه في سعة * وفي غنى غير أني لست ذا مال) (شحاً بنفسي أني لا أرى أحداً * يموت هزلاً ولا يبقى على حال) (الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه * ولا يزيدك فيه حول محتال) (والفقر

في النفس لا في المال نعرفه * ومثل ذاك النفس الغني في لا المال) فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل (إن الذي شق فمي ضامن * للرزق حتى يتوفاني) (حرمتني خيراً قليلاً فما * زادك في مالك حرماني) فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته وكتب إلى الخليل يعتذر إليه وأضعف راتبه فقال الخليل (وزلة يكثر الشيطان إن ذكرت * منها التعجب جاءت من سليمانا) (لا تعجبن لخير زل عن يده * فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا) واجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثان إلى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع فقال رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه وللخليل من التصانيف كتاب العين في اللغة وهو مشهور وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب النغم وكتاب في العوامل وأكثر العلماء العارفين باللغة يقولون إن كتاب العين في اللغة المنسوب إلى الخليل بن أحمد ليس تصنيفه وإنما كان قد شرع فيه ورتب أوائله وسماه ب العين ثم مات فأكمله تلامذته النضر بن شميل ومن في طبقته وهم مؤرج

247 السدوسي ونصر بن علي الجهضمي وغيرهما فما جاء الذي عملوه مناسباً لما وضعه الخليل في الأول فأخرجوا الذي وضعه الخليل منه وعملوا أيضاً الأول فلهذا وقع فيه خلل كثير يبعد وقوع الخليل في مثله وقد

صنف ابن درستويه في ذلك كتاباً استوفى الكلام فيه وهو كتاب مفيد ويقال إن الخليل كان له ولد متخلف فدخل على أبيه يوماً فوجده يقطع بيت شعر بأوزان العروض فخرج إلى الناس وقال إن أبي قد جن فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه فقال مخاطباً له (لو كنت تعلم ما أقول عذرتني * أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا) (لكن جهلت مقالتي فعذلتني * وعلمت أنك جاهل فعذرتكا) وقد روى عنه أنه أنشد ولم يذكر لنفسه أم لغيره (يقولون لي دار الأحبة قد دنت * وأنت كئيب إن ذا لعجيب) (فقلت وما تغني الديار وقربها * إذا لم يكن بين القلوب قريب) ويحكى عنه أنه قال كان يتردد إلى شخص يتعلم العروض وهو بعيد الفهم فأقام مدة ولم يعلق على خاطره شيء منه فقلت له يوماً قطع هذا البيت (إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع)

248   فشرع معي في تقطيعه على قدر معرفته ثم نهض ولم يعد يجيء إلي فعجبت من فطنته لما قصدته في البيت مع بعد فهمه وأخبار الخليل كثيرة وسيبويه عنه أخذ علوم الأدب وسيأتي ذكره في حرف العين المهملة إن شاء الله تعالى ويقال إن أباه أحمد أول من سمي بأحمد بعد رسول الله كذا ذكره المرزباني في كتاب المقتبس نقلاً عن أحمد بن أبي خيثمة وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة وتوفي سنة سبعين وقيل خمس وسبعين ومائة وقيل عاش أربعاً وسبعين سنة رحمه الله تعالى وقال ابن قانع في

تاريخه المرتب على السنين إنه توفي سنة ستين ومائة وقال ابن الجوزي في كتابه الذي سماه شذور العقود إنه مات سنة ثلاثين ومائة وهذا غلط قطعاً لكن نقله الواقدي ومات بالبصرة أعني الخليل وكان سبب موته أنه قال أريد أن أقرب نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البياع فلا يمكنه ظلمها ودخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها بفكرة فانقلب على ظهره فكانت سبب موته وقيل بل كان يقطع بحراً من العروض والفراهيدي بفتح الفاء والراء وبعد الألف هاء مسكورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها دال مهملة هذا النسبة إلى فراهيد وهي بطن من الأزد والفرهودي واحدها والفرهود ولد الأسد بلغة أزد شنوءة وقيل إن الفراهيد صغار الغنم واليحمدي بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وفتح الميم وبعدها دال مهملة نسبة إلى يحمد وهو أيضاً بطن من الأزد خرج منه خلق كثير ويحكى أن الخليل كان ينشد كثيراً هذا البيت وهو للأخطل (وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد * ذخراً يكون كصالح الأعمال)

249 221 خمارويه بن طولون أبو الجيش

خمارويه بن أحمد بن طولون وقد تقدم ذكر أبيه وجده في حرف الهمزة ولما توفي أبوه اجتمع الجند على توليته مكانه فولي وهو ابن عشرين سنة وكانت ولايته في أيام المعتمد على الله وفي سنة ست وسبعين ومائتين تحرك

الافشين محمد بن أبي الساج ديوداذ بن دوست من أمينية والجبال في جيش عظيم وقصد مصر فلقيه خمارويه في بعض أعمال دمشق وانهزم الافشين واستأمن أكثر عسكره وسار خمارويه حتى بلغ الفرات ودخل أصحابه الرقة ثم عاد وقد ملك من الفرات إلى بلاد النوبة ولما مات المعتمد وتولى المعتضد الخلافة بادر إليه خمارويه بالهدايا والتحف فأقره المعتضد على عمله وسأل خمارويه أن يزوج ابنته قطر الندى واسمها أسماء للمكتفي بالله بن المعتضد بالله وكان يوم ذاك ولي العهد فقال المعتضد بالله بل أتزوجها أنا فتزوجها في سنة إحدى وثمانين ومائتين ودخل لها في آخر هذه السنة وقيل في سنة اثنتين وثمانين والله أعلم وكان صداقها ألف ألف درهم وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل حكي أن المعتضد خلا بها يوما للأنس في مجلس أفزده لها ما حضره سواها فأخذت منه الكأس فنام على فخذها فلما استثقل وضعت رأسه على وسادة وخرجت وجلست في ساحة القصر فاستيقظ فلم يجدها فاستشاط غضبا ونادى بها فأجابته عن قرب فقال ألم أخلك إكراما لك ألم أدفع إليك مهجتي دون سائر حظاياي فتضعين رأسي على وسادة وتذهبين فقالت يا أمير المؤمنين ما جهلت قدر ما أنعمت به علي ولكن فيما أدبني به أبي أن قال لا تنامي مع الجلوس ولا تجلسي مع النيام ويقال إن المعتضد أراد بنكاحها افتقار الطولونية وكذا كان فإن أباها جهزها بجهاز لم يعمل مثله حتى قيل

كان لها ألف هاون ذهبا وشرط عليه المعتضد أن يحمل
كل سنة بعد القيام بجميع وظائف مصر وأرزاق أجنادها
مائتي ألف دينار فأقام على ذلك إلى أن قتله غلمانه بدمشق
على فراشه ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة
اثنتين وثمانين ومائتين وعمره اثنتان وثلاثون سنة وقتل
قتلته أجمعون وحمل تابوته إلى مصر ودفن عند أبيه بسفح
المقطم رحمهما الله تعالى وكان خمارويه من أحسن
الناس خطا وكان وزيره أبا بكر محمد بن علي بن أحمد
المعروف بالماذرائي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ولما
حملت قطر الندى ابنة خمارويه إلى المعتضد خرجت
معها عمتها العباسة بنت أحمد بن طولون مشيعة لها إلى
آخر عمارة الديار المصرية من جهة الشام ونزلت هناك
وضربت فساطيطها وبنت هناك قرية فسميت باسمها وقيل
لها العباسة وهي عامرة إلى الآن وبها جامع حسن وسوق
قائم ذكر ذلك جماعة من أهل العلم وماتت قطر الندى
لتسع خلون من رجب سنة سبع وثمانين ومائتين ودفنت
داخل قصر الرصافة ببغداد وتوفي الافشين محمد بن أبي
الساج في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين
ببرذعة وهي كرسي أعمال أذربيجان وقيل أنها من أران
وتوفي أبوه أبو الساج وهو الذي تنسب إليه الأجناد
الساجية
251 ببغداد في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين
ومائتين بجند يسابور من أعمال خوزستان وخمارويه

بضم الخاء الموحدة وفتح الميم وبعدها ألف ثم راء مفتوحة
وواو ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة 222
خير النساج أبو الحسن خير بن عبد الله النساج الصوفي
من أهل سر من رأى نزل بغداد وكان له حلقة يتكلم فيها
وكان قد صحب أبا حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي
وغيره وصحب الجنيد بن محمد وأبا العباس ابن عطاء
وأبا محمد الحريري وأبا بكر الشبلي وعمر عمرا طويلا
وللصوفية عنه حكايات غريبة وإنما سمي النساج لخبر
قال جعفر الخلدي سألت خيرا النساج أكان النسج حرفتك
قال لا قلت فمن أين سميت به قال كنت عاهدت الله أن لا
آكل الرطب أبدا فغلبتني نفسي فأخذت نصف رطل فلما
أكلت واحدة إذا رجل نظر إلي وقال يا خير ياآبق هربت
مني وكان له غلام هرب منه اسمه خير فوقع علي شبهه
وصورته فاجتمع الناس وقالوا هذا والله غلامك خير فبقيت
متحيرا وعلمت بم أخذت وعرفت جنايتي فأخذني وحملني
إلى حانوته الذي كان ينسج فيه غلامه وقال لي يا عبد
السوء تهرب من مولاك ادخل فاعمل عملك الذي كنت
تعمل وأمرني بنسج
252 الكرباس فدليت رجلي على أن أعمل فأخذت
بيدي آلته وكأني كنت أعمل من سنين فبقيت معه أشهراً
أنسج له فقمت ليلة إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت في
سجودي إلهي لا أعود إلى ما فعلت فأصبحت وإذا الشبه
ذهب عني وعدت إلى صورتي التي كنت عليها فأطلقت

وثبت علي هذا الاسم وفي بعض الروايات كان يقول يا خير فيقول لبيك ثم قال له الرجل بعد ذلك لا أنت عبدي ولا اسمك خير فمضى وقال لا أغيز اسماً سماني به رجل مسلم وكان يقول لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله بيده فلم يعصمه ولا أعلم أرفع ممن علمه الله الأسماء كلها فلم ينفعه في وقت جريان القضاء عليه وكان خير قد أحد ودب وكان إذا سمع قام ظهره ورجعت قوته كالشاب المطلق فإذا غاب عن الوجود عاد إلى حاله وكان قد عمر مائة وعشرين سنة وكان يذكر أن إبراهيم الخواص صحبه وحكى علي بن هارون الحربي عن غير واحد ممن حضر موته من أصحابه أنه غشي عليه عند صلاة المغرب ثم أفاق ونظر إلى ناحية من باب البيت وقال قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور ما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتنى فدعني أمضي لما أمرت به ثم أمض أنت لما أمرت به ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى وتمدد وأغمض عينيه وتشهد ثم مات رحمه الله تعالى فرآه بعض أصحابه في النوم فقال ما فعل الله بك فقال لا تسلني عن هذا ولكن استرحت من دنياكم المضرة وكانت وفاته في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة رحمه الله تعالى &

حرف الدال &

253 @253@

254 @254@

255 223 داود الظاهري أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف بالظاهري كان زاهدا متقللا كثير الورع أخذ العلم عن إسحاق بن راهويه وأبي ثور وغيرهما وكان من أكثر الناس تعصبا للإمام الشافعي رضي الله عنه وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين وكان صاحب مذهب مستقل وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية وكان ولده أبو بكر محمد على مذهبه وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد قال أبوعبد الله المحاملي صليت صلاة العيد يوم فطر في جامع المدينة فلما انصرفت قلت في نفسي أدخل إلى داود بن علي فأهنيه وكان ينزل قطيعة الربيع قال فجئته وإذا بين يديه طبق فيه أوراق هندبا وعصارة فيها نخالة وهو يأكل فهنأته وتعجبت من حاله ورأيت أن جميع ما نحن فيه من الدنيا ليس بشيء فخرجت من عنده ودخلت على رجل من محبي الصنيعة يقال له الجرجاني فلما علم بمجيئي خرج إلى حاسر الرأس حافي القدمين وقال لي ما عني القاضي أيده الله قلت مهم قال وما هو قلت في جوارك داود بن علي ومكانه من العلم ما تعلمه وأنت فكثير البر والرغبة في الخير تغفل عنه وحدثته بما رأيت منه فقال لي داود شرس الخلق أعلم القاضي أنني وجهت إليه البارحة ألف درهم مع غلام ليستعين بها في بعض أموره

256 فردها مع الغلام وقال للغلام قل له بأي عين رأيتني وما الذي بلغك من حاجتي وخلتي حتى وجهت إلى بهذا قال فتعجبت من ذلك وقلت له هات الدراهم فإني أحملها إليه فدفعها إلى ثم قال يا غلام الكيس الآخر فجاءه بكيس فوزن ألفا أخرى وقال تلك لنا وهذه لموضع القاضي وعنايته قال فخرجت وجئت إليه فقرعت الباب فخرج وكلمني من وراء الباب وقال ما رد القاضي قلت حاجة أكلمك فيها فدخلت وجلست ساعة ثم أخرجت الدراهم وجعلتها بين يديه فقال هذا جزاء من ائتمنك على سره أنا بأمانة العلم أدخلتك إلى ارجع فلا حاجة لي فيما معك قال المحاملي فرجعت وقد صغرت الدنيا في عيني ودخلت على الجرجاني فأخبرته بما كان فقال أما أنا فقد أخرجت هذه الدراهم لله تعالى لا أرجع في شيء منها فليتول القاضي إخراجها في أهل الستر والعفاف على ما يراه القاضي قيل إنه كان يحضر مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان أخضر قال داود حضر مجلسي يوما أبو يعقوب الشريطي وكان من أهل البصرة وعليه خرقتان فتصدر لنفسه من غير أن يرفعه أحد وجلس إلى جانبي وقال لي سل يا فتى عما بدا لك فكأني غضبت منه فقلت له مستهزئا أسألك عن الحجامة فبرك أبو يعقوب ثم روى طريق أفطر الحاجم والمحجوم ومن أرسله ومن أسنده ومن وقفه ومن ذهب إليه من الفقهاء وروى اختلاف طريق احتجام رسول الله وإعطاء الحجام أجرة ولو كان حراما لم يعطه ثم روى

طرق أن النبي احتجم بقرن وذكر أحاديث صحيحة في الحجامة ثم ذكر الأحاديث المتوسطة مثل ما مررت بملإ من الملائكة ومثل شفاء أمتي في ثلاث وما أشبه ذلك وذكر الأحاديث الضعيفة مثل قوله لا تحتجموا يوم كذا ولا ساعة كذا ثم ذكر ما ذهب إليه أهل الطب من الحجامة في كل زمان وما ذكروه فيها

257 ثم ختم كلامه بأن قال وأول ما خرجت الحجامة من أصبهان فقلت له والله لا حقرت بعدك أحدا أبدا وكان داود من عقلاء الناس قال أبو العباس ثعلب في حقه كان عقل داود أكثر من علمه وكان مولده بالكوفة سنة اثنتين ومائتين وقيل سنة مائتين وقيل سنة إحدى ومائتين ونشأ ببغداد وتوفي بها سنة سبعين ومائتين في ذي القعدة وقيل في شهر رمضان ودفن بالشونيزية وقيل في منزله وقال ولده أبو بكر محمد رأيت أبي داود في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي وسامحني فقلت غفر لك ففيم سامحك فقال يا بني الأمر عظيم والويل كل الويل لمن لم يسامح رحمه الله تعالى وأصله من أصبهان وقد تقدم الكلام على أصبهان والشونيزية فيما مر من التراجم فلا حاجة إلى الإعادة 224 الملك الزاهر أبو سليمان داود الملقب الملك الزاهر مجير الدين ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمهم الله تعالى كان صاحب قلعة البيرة التي على شاطىء الفرات وكان يحب العلماء وأهل الأدب ويقصدونه من البلاد ولما ولد

258 بمدينة القاهرة كان السلطان صلاح الدين بالشام وكان الثاني عشر من أولاده فكتب إليه القاضي الفاضل رسالة يبشره بولادته ومن جملتها وهذا الولد المبارك هو الموفي لاثني عشر ولدا بل لاثني عشر نجما متقدا فقد زاد الله تعالى في أنجمه عن أنجم يوسف عليه السلام نجما ورآهم المولى يقظة ورأى يوسف تلك الأنجم حلما ورآهم يوسف ساجدين له ورأينا الخلق لهم سجودا وهو تعالى قادر أن يزيد جدود المولى إلى أن يراهم اباء وجدودا وقد ألم القاضي الفاضل في اخر هذا الكلام بقول البحتري في مدح الخليفة المتوكل وقد ولد له المعتز من جملة قصيدة (وبقيت حتى تستضيء برأيه * وترى الكهول الشيب من أولاده) وحكى عنه جماعة أنه كان يقول من أراد أن يبصر صلاح الدين فليبصرني فأنا أشبه أولاده به وكانت ولادته لسبع بقين من ذي الحجة وقيل ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وهو شقيق الملك الظاهر الاتي ذكره في حرف الغين المعجمة إن شاء الله تعالى وتوفي في البيرة في ليلة التاسع من صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة وكنت بحلب وقد وصل نعيه إليها فتوجه الملك العزيز ابن الملك الظاهر أخيه إلى القلعة المذكورة وملكها رحمه الله تعالى والبيرة بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة وهي قلعة بقرب سميساط من ثغور الروم على

الفرات من جانب الجزيرة الفراتية وسميساط في بر الشام بين قلعة الروم وملطية والفرات يفصل بين الجهتين

259 225 داود الطائي أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي سمع عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى روى عنه إسماعيل بن عيينة ومصعب بن المقدام وأبو نعيم الفضل بن دكين وغيرهم وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة فلزم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره وقدم بغداد في أيام المهدي ثم عاد إلى الكوفة وفيها كانت وفاته قال علي بن المديني سمعت ابن عيينة يقول داود الطائي ممن علم وفقه قال وكان يختلف الى أبي حنيفة رضي الله عنه حتى تقدم في ذلك الكلام قال فأخذ يوما حصاة فحذف بها إنسانا فقال له يا أبا سليمان طال لسانك وطالت يدك قال فاختلف بعد ذلك سنة لا يسأل ولا يجيب فلما علم أنه تصبر عمد إلى كتبه فغرقها في الفرات ثم أقبل على العبادة وتخلى وقال عبيد بن جناد سمعت عطاء يقول كان لداود الطائي ثلثمائة درهم فعاش بها عشرين سنة ينفقها على نفسه قال وكنا ندخل على داود الطائي فلم يكن في بيته إلا بارية ولبنة يضع عليها رأسه واجانة فيها خبز ومطهرة يتوضأ منها ومنها يشرب وقال أبو سليمان الداراني ورث داود الطائي من أمه دارا فكان يتنقل في بيوت الدار كلما تخرب بيت من الدار انتقل منه

إلى آخر ولم يعمره حتى أتى على عامة البيوت التي في الدار قال وورث من أبيه دنانير فكان يتنفق بها حتى كفن بآخرها

260 وقال اسماعيل بن حسان جئت إلى باب داود الطائي فسمعته يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحدا فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت فقال ما بدا لك في الاستئذان قلت سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحدا قال لا ولكن كنت أخاصم نفسي اشتهت البارحة تمرا فخرجت فاشتريت لها فلما جئت اشتهت جزرا فأعطيت الله عهدا ان لا آكل تمرا ولا جزرا حتى ألقاه وقدم محمد بن قحطبة الكوفة فقال أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنة رسول الله وبالاثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس فقيل له ما يجمع هذه إلا داود الطائي فسير إليه بدرة عشرة آلاف درهم وقال استعن بها على دهرك فردها فوجه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما إن قبل البدرتين فأنتما حران فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما فقالا إن في قبولهما عتق رقابنا من الرق فقال لهما إني أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتي في النار رداهما إليه وقولا له إن ردهما على من أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا وكان حائطه قد تصدع فقيل له لو أمرت به فقال كانوا يكرهون فضول النظر وقيل إنه صام أربعين سنة ما علم به أحد من أهله فكان يحمل غداءه معه ويتصدق به في الطريق ويرجع إلى أهله يفطر عشاء ولا

يعلمون أنه صائم وقال له رجل ألا تسرح لحيتك قال إني عنها مشغول وقيل احتجم داود فدفع الى الحجام عشرة دراهم فقيل له هذا سرف فقال لا عبادة لمن لا مروءة عنده وقالت أخته لو تنحيت عن الشمس فقال هذه خطي لا أدري كيف تكتب قال أبو الربيع الأعرج دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرب لي

261 كسيرات يابسة فعطشت فقمت إلى دن فيه ماء حار فقلت رحمك الله لو اتخذت دنا غيرهذا يكون فيه الماء باردا فقال لي إذا كنت لا أشرب إلا باردا ولا آكل إلا طيبا ولا ألبس إلا لينا فما أبقيت لآخرتي قال قلت له أوصني قال صم عن الدنيا واجعل إفطارك فيها الموت وفر من الناس فرارك من السبع وصاحب أهل التقوى إن صحبت فإنهم أخف مؤونة وأحسن معونة ولا تدع الجماعة حسبك هذا إن عملت به وقال داود الطائي ما حسدت أحدا على شيء إلا أن يكون رجلا يقوم الليل فإني أحب أن أرزق وقتا من الليل قال أبو خالد وبلغني أنه كان لا ينام الليل إذا غلبته عيناه احتبى قاعدا ومكث عشرين سنة لا يرفع رأسه الى السماء وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوما من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي فقالوا داود يجيبكم أرسلوا اليه قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة نحن نذهب اليه قال ابن السماك لحماد في الطريق إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه فإن للعين حظها فقال حماد

رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال سوءة إنما يفعل هذا بالصبيان وأبى أن يقبلها قال حماد بن أبي حنيفة إن مولاة كانت لداود تخدمه قالت لو طبخت لك دسما تأكله فقال وددت فطبخت له دسما ثم أتته به فقال لها ما فعل أيتام بنى فلان قالت على حالهم قال اذهبي بهذا إليهم فقالت أنت لم تأكل أدما منذ كذا وكذا فقال إن هذا إذا أكلوه صار إلى العرش وإذا أكلته صار إلى الحش فقالت له يا سيدي أما تشتهي الخبز قال يا داية بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية وقال محارب بن دثار لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئا من خبره توفي داود سنة ستين وقيل سنة خمس وستين ومائة رحمه الله تعالى

262 ولما مات جاء ابن السماك ووقف على قبره ثم قال أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الراحة على أبدانهم مع يسير الحساب غدا عليهم وإن أهل الزهد فيها تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب غدا عليهم والزهادة راحة لصاحبها في لدنيا والاخرة والرغبة تعب لصاحبها في الدنيا والاخرة رحمك الله أبا سليمان ما كان أعجب شأنك ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها أجعتها وإنما تريد شبعها وأظمأتها وإنما تريد ريها أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه أخشنت الملبس وإنما تريد لينه أبا سليمان أما كنت تشتهي من الطعام طيبه ومن الماء بارده ومن اللباس لينه بلى ولكن أخرت ذلك لما بين يديك فما

أراك إلا قد ظفرت بما طلبت وما إليه رغبت فما أيسر ما ضيعت وأحقر ما فعلت في جنب ما أملت فمن سعى مثلك عزم عزمك وصبر صبرك آنس ما يكون إذا كنت بالله خاليا وأوحش ما يكون آنس ما يكون الناس سمعت الحديث وتركت الناس يحدثون وتفهمت في دين الله وتركتهم يفتون لا تقبل من السلطان عطية ولا من الإخوان هدية سجنت نفسك في بيتك فلا محدث لك ولا ستر على بابك فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شرفك وأكرمك وألبسك رداء عملك فلو لم يرغب عبد في الزهد في الدنيا إلا لمحبة هذا الستر الجميل والتابع الكثير لكان حقيقا بالاجتهاد فسبحان من لا يضيع مطيعا ولا ينسى لأحد صنيعا وقيل إن ابن السماك لما قام على قبر داود قال رحمك الله يا داود كنت تسهر ليلك والناس نائمون وكنت تربح إذ الناس يخسرون فقال الناس جميعا صدقت وكنت تسلم إذ الناس يخوضون فقال الناس جميعا صدقت حتى عدد فضائله كلها ولما فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله وفرغ من دفنه وقام الناس قال جعفر بن نفيل الرهبي رأيت داود الطائي بعد موته فقلت له كيف رأيت خير الآخرة قال رأيت خيرها كثيرا قلت فماذا صرت إليه قال

263 صرت إلى خير الحمد لله قال فقلت له هل لك
من علم بسفيان بن سعيد فقال كان يحب الخير وأهله فرقاه
الخير إلى درجة أهل الخير 226 دبيس بن صدقة أبو
الأغر دبيس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن
منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي الناشري
الملقب نور الدولة ملك العرب صاحب الحلة المزيدية كان
جوادا كريما عنده معرفة بالأدب والشعر وتمكن في خلافة
الإمام المسترشد واستولى على كثير من بلاد العراق وهو
من بيت كبير وسيأتي ذكر أبيه وأجداده في حرف الصاد
إن شاء الله تعالى ودبيس المذكور هو الذي عناه ابن
الحريري صاحب المقامات في المقامة التاسعة والثلاثين
بقوله أو الأسدي دبيس لأنه كان معاصره كما نذكره في
حرف القاف إن شاء الله تعالى فرام التقرب إليه بذكره في
مقاماته ولجلالة قدره أيضا وله نظم حسن ورأيت العماد
الكاتب في الخريدة وابن المستوفي في تاريخ إربل
وغيرهما قد نسبوا إليه الأبيات اللامية التي من جملتها
264 (أسلمه حب سليمانكم * إلى هوى أيسره
القتل) ورأيت ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة في
محاسن أهل الجزيرة قد ذكرها لابن رشيق القيرواني وقد
ذكرتها في ترجمته في حرف الحاء والظاهر أنها لابن
رشيق لأن ابن بسام ذكر في الذخيرة أنه ألفها في سنة
اثنتين وخمسمائة وفي هذا التاريخ كان دبيس شابا ويبعد
أن يصل شعره في ذلك السن إلى الأندلس وينسب إلى مثل

ابن رشيق مع معرفة ابن بسام بأشعار أهل المغرب وذكر ابن المستوفي في تاريخه أن بدران أخا دبيس كتب إلى أخيه المذكور وهو نازح عنه (ألا قل لمنصور وقل لمسيب * وقل لدبيس إنني لغريب) (هنيئا لكم ماء الفرات وطيبه * إذا لم يكن لي في الفرات نصيب) فكتب إليه دبيس (ألا قل لبدران الذي حن نازعا * إلى أرضه والحر ليس يخيب) (تمتع بأيام السرور فإنما * عذار الأماني بالهموم يشيب) (ولله في تلك الحوادث حكمة * وللأرض من كأس الكرام نصيب) 39 وذكر غير ابن المستوفي أن بدران بن صدقة المذكور لقبه تاج الملوك ولما قتل أبوه تغرب عن بغداد ودخل الشام فأقام بها مدة ثم توجه إلى مصر ومات بها في سنة ثلاثين وخمسمائة وكان يقول الشعر وذكره العماد الكاتب الأصفهاني في كتاب الخريدة وكان دبيس في خدمة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وهم نازلون على باب المراغة من بلاد أذربيجان ومعهم الإمام المسترشد بالله لسبب
265   سنذكره في ترجمة مسعود المذكور إن شاء الله تعالى فيقال إن السلطان دس عليه جماعة من الباطنية فهجموا خيمته أعني المسترشد بالله وقتلوه يوم الخميس الثامن والعشرين وقال ابن المستوفي الرابع عشر من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وخاف أن تنسب القضية إليه وأراد أن تنسب إلى دبيس المذكور فتركه إلى أن جاء إلى الخدمة وجلس على باب خيمة السلطان فسير

بعض مماليكه فجاءه من ورائه وضرب رأسه بالسيف فأبانه وأظهر السلطان بعد ذلك أنه إنما فعل هذا انتقاما منه بما فعل في حق الإمام وكان ذلك بعد قتل الإمام بشهر رحمه الله تعالى وذكر المأموني في تاريخه أنه قتل في رابع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة على باب خوي وكان قد أحس بتغير رأي السلطان فيه منذ قتل المسترشد وعزم على الهرب مرارا وكانت المنية تثبطه وذكر ابن الأزرق في تاريخه أن قتله كان على باب تبريز وأنه لما قتل حمل إلى ماردين إلى زوجته كهارخاتون فدفن بالمشهد عند نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين والدكهارخاتون المذكورة ثم تزوج السلطان المذكور ابنة دبيس المذكور وأمها شرف خاتون ابنة عميد الدولة بن فخر الدولة محمد بن جهير وأم شرف خاتون المذكورة زبيدة بنت الوزير نظام الملك وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة فخر الدولة بن جهير إن شاء الله تعالى والناشري بفتح النون وبعد الألف شين معجمة مكسورة وبعدها راء ثم ياء هذه النسبة إلى ناشرة بن نصر بطن من أسد بن خزيمة

266 227 دعبل أبو علي دعبل بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي الشاعر المشهور وذكر صاحب الأغاني أنه دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهل وقيل بهنس بن خراش بن خالد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم ابن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر مزيقيا ويكنى أبا علي وقال الخطيب

البغدادي في تاريخه هو دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله ابن بديل بن ورقاء الخزاعي أصله من الكوفة ويقال من قرقيسيا وأقام ببغداد وقيل إن دعبلا لقب واسمه الحسن وقيل عبد الرحمن وقيل محمد وكنيته أبو جعفر والله أعلم] ويقال إنه كان أطروشا وفي قفاه سلعة كان شاعرا مجيدا إلا أنه كان بذي اللسان مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس وهجا الخلفاء فمن دونهم وطال عمره فكان يقول لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك ولما عمل في إبراهيم بن المهدي المقدم ذكره الأبيات التي أثبتها في ترجمته وأولها (نعر ابن شكلة بالعراق وأهله * فهفا إليه كل أطلس مائق)

267 دخل إبراهيم على المأمون فشكا إليه حاله وقال يا أمير المؤمنين إن الله سبحانه وتعالى فضلك في نفسك علي وألهمك الرأفة والعفو عني والنسب واحد وقد هجاني دعبل فانتقم لي منه فقال المأمون ما قال لعل قوله (نعر ابن شكلة بالعراق *) وأنشد الأبيات فقال هذا من بعض هجائه وقد هجاني بما هو أقبح من هذا فقال المأمون لك أسوة بي فقد هجاني واحتملته وقال في (أيسومني المأمون خطة جاهل * أو ما رأى بالأمس رأس محمد) (إني من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد) (شادوا بذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد) فقال إبراهيم زادك الله حلما يا أمير

المؤمنين وعلما فما ينطق أحدنا إلا عن فضل علمك ولا يحلم إلا اتباعا لحلمك وأشار دعبل في هذه الأبيات إلى قضية طاهر بن الحسين الخزاعي الاتي ذكره إن شاء الله تعالى وحصاره بغداد وقتله الأمين محمد بن الرشيد وبذلك ولي المأمون الخلافة والقصة مشهورة ودعبل خزاعي فهو منهم وكان المأمون إذا أنشد هذه الأبيات يقول قبح الله دعبلا فما أوقحه كيف يقول عني هذا وقد ولدت في حجر الخلافة ورضعت ثديها وربيت في مهدها ومثل هذا الحلم بل أعظم ما حكي عن الواثق أنه كان يحب الباذنجان ويكثر من أكله ومعظم الرمد بالعراق من أكل الباذنجان لحر الإقليم والسوداء المتولدة من أكله فبعث إليه أبوه المعتصم وقال له دع أكل الباذنجان واحفظ بصرك فمتى رأيت خليفة أعمى فقال للرسول قل لأمير المؤمنين إني تصدقت بعيني على الباذنجان ثم رمد رمدة صعبة ما تخلص منها إلا وعلى إحدى عينيه بياض كاد

268 يسدها وكان المسدود الشاعر قد هجا الواثق وهو ولي عهد أبيه وسمي المسدود لجسم سد منخريه فعمل (من المسدود في الأنف * إلى المسدود في العين) (فيا طبلا له رأس * ويا طبلا برأسين) فلما كان يوم تفرقة العطاء كتب المسدود مستحقه في ورقة وجعلها في عمامته مع ورقة الهجو ثم دخل على الخليفة فناوله ورقة الهجو فقرأها وضحك وقال خذ هذه وهات ورقة المستحق ولا تعد في مثل هذا وقضى حاجته وكان بين دعبل

ومسلم بن الوليد الأنصاري اتحاد كثير وعليه تخرج دعبل في الشعر فاتفق أن ولي مسلم جهة في بعض بلاد خراسان أو فارس ثم إني ظفرت بالجهة التي تولاها مسلم وهي جرجان من ناحية خراسان ولاه إياها الفضل بن سهل الاتي ذكره إن شاء الله تعالى فقصده دعبل لما يعلمه من الصحبة التي بينهما فلم يلتفت مسلم إليه ففارقه وعمل (غششت الهوى حتى تداعت أصوله * بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا) (وأنزلت من بين الجوانح والحشا * ذخيرة ود طالما قد تمنعا) (فلا تعذلني ليس لي فيك مطمع * تخرقت حتى لم أجد لك مرقعا) (وهبك يميني أستأكلت فقطعتها * وصبرت قلبي بعدها فتشجعا) ومن شعره في الغزل (لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى) (يا ليت شعري كيف نومكما * يا صاحبي إذا دمي سفكا)

269 (لا تأخذا بظلامتي أحدا * قلبي وطرفي في دمي اشتركا) ومن شعره في مدح المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي أمير مصر (زمني بمطلب سقيت زمانا * ما كنت إلا روضة وجنانا) (كل الندى إلا نداك تكلف * لم أرض غيرك كائنا من كانا) (أصلحتني بالبر بل أفسدتني * وتركتني أتسخط الإحسانا) ومن كلامه من فضل الشعر أنه لم يكذب أحد قط إلا اجتواه الناس إلا الشاعر فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال له أحسنت والله فلا يشهد له شهادة زور إلا

ومعها يمين الله تعالى وقال دعبل كنا يوما عند سهل بن هارون الكاتب البليغ وكان شديد البخل فأطلنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بغدائه فأتي بقصعة فيها ديك عاس هرم لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ كسرة خبز فخاض بها مرقته وقلب جميع ما في القصعة ففقد الرأس فبقي مطرقا ساعة ثم رفع رأسه وقال للطباخ أين الرأس فقال رميت به قال ولم قال ظننت أنك لا تأكله فقال لبئس ما ظننت ويحك والله إني لأمقت من يرمي برجليه فكيف من يرمي رأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الأربع ومنه يصيح ولولا صوته لما فضل وفيه فرقه الذي يتبرك به وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجب لوجع الكليتين ولم ير عظم قط أهش من عظم رأسه أو ما علمت أنه
270 خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فانظر أين هو قال والله لا أدري أين هو رميت به قال لكني أدري أين هو رميت به في بطنك فالله حسبك ودعبل ابن عم أبي جعفر محمد بن عبد الله بن رزين الملقب أبا الشيص الخزاعي الشاعر المشهور وكان أبو الشيص من مداح الرشيد ولما مات رثاه ومدح ولده الأمين وكانت ولادة دعبل في سنة ثمان وأربعين ومائة وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين بالطيب وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز رحمه الله تعالى وجده رزين مولى عبد الله بن خلف الخزاعي

والد طلحة الطلحات وكان عبد الله المذكور كاتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ديوان الكوفة وولي طلحة سجستان فمات بها رحمه الله تعالى ولما مات دعبل وكان صديق البحتري وكان أبو تمام الطائي قد مات قبله كما تقدم رثاهما البحتري بأبيات منها (قد زاد في كلفي وأوقد لوعتي * مثوى حبيب يوم مات ودعبل) (أخوي لا تزل السماء مخيلة * تغشاكما بسماء مزن مسبل) (جدث على الأهواز يبعد دونه * مسرى النعي ورمة بالموصل) ودعبل بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة وبعدها لام وهو اسم الناقة الشارف وكان يقول مررت يوما برجل قد أصابه الصرع فدنوت منه وصحت في أذنه بأعلى صوتي دعبل فقام يمشي كأنه لم يصبه شيء

271 228 دعلج بن أحمد دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن السجستاني المعدل سمع الحديث ببلاد خراسان والري وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة وكان من ذوي اليسار وله صدقات جارية وأوقاف محبسة على أهل الحديث ببغداد ومكة وسجستان وجاور بمكة زمانا طويلا ثم سكن بغداد واستوطنها وحدث بها عن محمد بن عمر الحرسي ومحمد بن النضر الجارودي وغيرهما وروى عنه الدارقطني أبو الحسن وغيره من شيوخ الخطيب وكان ثقة وجمع له المسند وغير ذلك قال الخطيب بلغني أنه بعث بكتابه المسند إلى أبي العباس ابن

عقدة لينظر فيه وجعل في الأجزاء بين كل ورقتين دينارا وكان يقول ليس في الدنيا مثل داري وذلك أنه ليس في الدنيا مثل بغداد ولا في بغداد مثل القطيعة ولا في القطيعة مثل درب أبي خلف ولا في درب أبي خلف مثل داري
قال الخطيب حدثني أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله الحداد وكان من أهل الدين والقرآن والصلاح عن شيخ سماه وذهب عني حفظ اسمه قال حضرت يوم جمعة المسجد الجامع بمدينة المنصور فرأيت رجلا بين يدي في الصف حسن الوقار ظاهر الخشوع دائم الصلاة لم يزل يتنقل مذ دخل المسجد إلى أن قرب قيام الصلاة ثم جلس قال فغلبتني هيبته ودخل قلبي محبته ثم أقيمت الصلاة فلم يصل مع الناس الجمعة فكبر علي ذلك من أمره وتعجبت من حاله وغاظني فعله فلما قضيت الصلاة تقدمت إليه وقلت

272 أيها الرجل ما رأيت أعجب من أمرك أطلت النافلة وأحسنتها وتركت الفريضة وضيعتها فقال يا هذا إن لي عذرا وبي علة منعتني من الصلاة قلت وما هي قال أنا رجل علي دين اختفيت في منزلي مدة بسببه ثم حضرت اليوم الجامع للصلاة فقبل أن تقام التفت فرأيت صاحب الدين فمن خوفه أحدثت في ثيابي فهذا خبري فأسألك بالله إلا سترت علي وكتمت أمري فقلت ومن الذي له عليك الدين قال دعلج بن أحمد وكان إلى جانبه صاحب لدعلج قد صلى وهو لا يعرفه فسمع هذا القول ومضى في الوقت

إلى دعلج فذكرله القصة فقال له دعلج امض إلى الرجل واحمله إلى الحمام واطرح عليه خلعة من ثيابي وأجلسه في منزلي حتى أنصرف من الجامع ففعل الرجل ذلك فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأحضر وأكل هو والرجل ثم أخرج حسابه فنظر فيه فإذا له عليه خمسة آلاف درهم فقال له انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نسي لك نقد فقال الرجل لا فضرب دعلج على حسابه وكتب تحته علامة الوفاء ثم أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم وقال له أما الحساب الأول فقد حاللناك مما بيننا وبينك فيه وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف درهم وتجعلنا في حل من الروعة التي دخلت قلبك برؤيتك إيانا في مسجد الجامع أو كما قال وكانت وفاة دعلج المذكور يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثلثمائة وقيل لعشر بقين منها رحمه الله تعالى

273 229 أبو بكر الشبلي أبو بكر دلف بن جحدر وقيل جعفر وقيل جعفر بن يونس وهكذا هو مكتوب على قبره المعروف بالشبلي الصالح المشهور الخراساني الأصل البغدادي المولد والمنشأ كان جليل القدر مالكي المذهب وصحب الشيخ أبا القاسم الجنيد ومن في عصره من الصلحاء رضي الله عنهم وكان في مبدإ أمره واليا في دنباوند فلما تاب في مجلس خير النساج مضى إليها وقال لأهلها كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل ومجاهداته في

أول أمره فوق الحد ويقال إنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه نوم وكان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر وكان إذا دخل شهر رمضان المبارك جد في الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربى فأنا أولى بتعظيمه وكان في آخر عمره ينشد كثيرا (وكم من موضع لو مت فيه * لكنت به نكالا في العشيرة) ودخل يوما على شيخه الجنيد فوقف بين يديه وصفق بيديه وأنشد (عودوني الوصال والوصل عذب * ورموني بالصد والصد صعب) (زعموا حين ازمعوا أن ذنبي * فرط حبي لهم وما ذاك ذنب) (لا وحق الخضوع عند التلاقى * ما جزا من يحب إلا يحب) قال فأجابه الجنيد
274 (وتمنيت أن أراك * فلما رأيتكا) (غلبت دهشة السرور * فلم أملك البكا) حدث أحمد بن منصور بن نصر قال جاء الشبلي يوما إلى أبي بكر ابن مجاهد فلم يجده في مسجده فسأل عنه فقيل هو عند علي بن المجوسي فلما دخل وقعدنا قال له أبو بكر ابن مجاهد يا أبا بكر أخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع الناس فيه أين هذا من العلم والشرع فقال له يقول الله (^ فطفق مسحا بالسوق والأعناق) (ص : 33) أين هذا من العلم فسكت أبو بكر ابن مجاهد فقال كأني ما قرأتها قط وقيل إنهم عابثوه في مثله فقرأ (^ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) الانبياء 98 هذه الأطعمة والشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم أبرأ منه وأحرقه ومن

أناشيده (ودادكم هجر وحبكم قلى * ووصلكم سلم
وسلمكم حرب) وحكي عن بعض المعترفين أنه أنس إلى
طريقة التصوف واستشرف وشاور أبا بكر فرده عماأراده
وحذره التعرض له وعطفته الخواطر عليه فمال إلى قرين
من هذه الطائفة فعلق بهم واتصل بجملتهم ثم صحب
جماعة منهم متوجها إلىالحج فعجز في بعض الطريق من
مسايرتهم وقصر عن اللحاق فمضوا وتخلف عنهم فاستند
إلى بعض الرمال إرادة الاستراحة من الإعياء فمر به
الشيخ المذكور فقال مخاطبا له (إن الذين بخير كنت
أذكرهم * قضوا عليك وعنهم كنت أنهاكا) فقال له الفتى
ما أصنع الان فقال له (لا تطلبن حياة غير حبهم * فليس
يحييك إلا من توفاكا)
275 قال محمد بن إبراهيم حضرت وفاة الشبلي
فأمسك لسانه وعرق جبينه فأشار إلى وضوء الصلاة
فوضأته وبقي تخليل لحيته فقبض على يدي وأدخل
إصبعي في لحيته يخللها فبكيت وقلت رجل لم يذهب عليه
تخليل لحيته في الوضوء عند نزع روحه وإمساك لسانه
ودخل عليه أبو الفتح ابن شفيع عائدا في مرضه فسمعه
يقول (صح عند الناس أني عاشق * غير أن لم يعلموا
عشقي لمن) قال أبو بكر الشبلي جئت يوما إلى باب
الطاق فرأيت والدة تضرب ولدها فقلت لها لهذا حرمة
فقال الصبي معارضتك بيني وبين والدتي أشد علي من
ضربها أرأيت أحدا يضرب ولده إلا من محبته إياه إنما

ضرب الوالدين تأديب وشفقة وفرط محبة قال الشبلي فكأني كنت المقصود بهذه المخاطبة فانصرفت عنهما وأنا أقول (لبيك تصديقا أيا سيدى * من الذي يألم من عثرتك) وحكى الخطيب في تاريخه قال أبو الحسن التميمي دخلت على أبي بكر في داره يوما وهو يهيج ويقول (على بعدك ما يصبر * من عادته القرب) (ولا يقوى على هجرك * من تيمه الحب) (فإن لم ترك العين * فقد يبصرك القلب) وذكر الخطيب أيضا في ترجمة أبي سعد إسماعيل بن علي الواعظ ما مثاله وأنشدنا أبو سعد قال أنشدنا طاهر الخثعمي قال أنشدني الشبلي لنفسه
276 (مضت الشبيبة والحبيبة فانبرى * دمعان في الأجفان يزدحمان) (ما أنصفتني الحادثات رمينني * بمودعين وليس لي قلبان) وقال الشبلي أيضا رأيت يوم الجمعة معتوها عند جامع الرصافة قائما عريان وهو يقول أنا مجنون الله أنا مجنون الله فقلت له لم لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي فأنشد (يقولون زرنا واقض واجب حقنا * وقد أسقطت حالي حقوقهم عني) (إذا أبصروا حالي ولم يأنفوا لها * ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني) وكانت وفاته يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران وعمره سبع وثمانون سنة رحمه الله تعالى ويقال إنه مات سنة خمس وثلاثين والأول أصح ويقال إن مولده بسر من رأى والشبلي بكسر الشين وسكون الباء الموحدة وبعدها

لام و هذه النسبة إلى شبلة و هي قرية من قرى أسر وشنة واسروشنة بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وفتح النون وبعدها هاء ساكنة و هي بلدة عظيمة وراء سمرقند من بلاد ما وراء النهر ودنبا وند بضم الدال المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعد الألف واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها دال مهملة و هي ناحية من رستاق الري في الجبال وبعضهم يقول دماوند والأول أصح حرف الذال

277 @277@

278 @278@

279 230 ذو القرنين ابن حمدان أبو المطاع ذو القرنين ابن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن ابن عبد الله بن حمدان التغلبي الملقب وجيه الدولة وقد تقدم ذكر جده ناصر الدولة في حرف الحاء ورفعت هناك في نسبه فأغنى عن إعادته كان أبو المطاع المذكور شاعرا ظريفا حسن السبك جميل المقاصد ومن شعره قوله (إني لأحسد لا في أسطر الصحف * إذا رأيت اعتناق اللام للألف) (وما أظنهما طال اعتناقهما * إلا لما لقيا من شدة الشغف) وله أيضا (أفدي الذي زرته بالسيف مشتملا * ولحظ عينيه أمضى من مضاربه) (فما خلعت نجادي في العناق له * حتى لبست نجادا من ذوائبه) (فكان أسعدنا في نيل بغيته * من كان في الحب أشقانا بصاحبه) وأورد له الثعالبي في اليتيمة الأبيات التي تقدم

ذكرها في ترجمة الشريف أبي القاسم أحمد بن طباطبا العلوي التي أولها (قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد)
280 وذكر في ترجمة أبي المطاع أنها له وفي ترجمة الشريف أنها له والله أعلم لمن هي منهما وله أيضا (لما التقينا معا والليل يسترنا * من جنحه أظلم في طيها نعم) (بيتنا أعف مبيت باته بشر * ولا مراقب إلا الطرف والكرم) (فلا مشى من وشى عند العدو بنا * ولاسعت بالذي يسعى بنا قدم) وله أيضا (لو كنت ساعة بيننا ما بيننا * فشهدت حين نكرر التوديعا) (أيقنت أن من الدموع محدثا * وعلمت أن من الحديث دموعا) وقوله (ترى الثياب من الكتان يلمحها * نور من البدر أحيانا فيبليها) (فكيف تنكر أن تبلى معاجرها * والبدر في كل وقت طالع فيها) وللشريف الرضي في المعنى (كيف لا تبلى غلالته * وهو بدر وهي كتان) ومن المنسوب إليه (تقول لما رأتني * نضوا كمثل الخلال) (هذا اللقاء منام * وأنت طيف خيال) (فقلت كلا ولكن * أساء بينك حالي) (فليس تعرف مني * حقيقتي من محالي)
281 وله أشعار كثيرة حسنة ولعبد العزيز بن نباته الشاعر المشهور في أبيه مدائح جمة وتوفي أبو المطاع في صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وكان قد وصل إلى مصر في أيام الظاهر بن الحاكم العبيدي صاحبها

فقلده ولاية الاسكندرية وأعمالها في رجب سنة أربع
عشرة وأربعمائة وأقام بها مقدار سنة ثم رجع إلى دمشق
هكذا قاله المسبحي في تاريخه & حرف الراء &

282 @282@

283 @283@

284 @284@

285 231 رابعة العدوية أم الخير رابعة ابنة
إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك الصالحة
المشهورة كانت من أعيان عصرها وأخبارها في الصلاح
والعبادة مشهورة وذكر أبو القاسم القشيري في الرسالة
أنها كانت تقول في مناجاتها إلهي تحرق بالنار قلبا يحبك
فهتف بها مرة هاتف ما كنا نفعل هذا فلا تظني بنا ظن
وقال يوما عندها سفيان الثوري واحزناه فقالت لا تكذب
بل قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس
وقال بعضهم كنت أدعو لرابعة العدوية فرأيتها في المنام
تقول هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من
نور وكانت تقول ما ظهر من أعمالي فلا أعده شيئا ومن
وصاياها اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم وقالت
لأبيها يا أبه لست أجعلك في حل من حرام تطعمنيه فقال
لها أرأيت إن لم أجد إلا حراما قالت نصبر في الدنيا على
الجوع خير من أن نصبر في الآخرة على النار وكانت إذا
جن عليها الليل قامت إلى سطح لها ثم نادت إلهي هدأت

الأصوات وسكنت الحركات وخلا كل حبيب بحبيبه وقد خلوت بك
286 أيها المحبوب فاجعل خلوتي منك في هذه الليلة عتقي من النار ولقي سفيان الثوري رابعة وكانت زرية الحال فقال لها يا أم عمرو أرى حالا رثة فلو أتيت جارك فلانا لغير بعض ما أرى فقالت له يا سفيان وما ترى من سوء حالي ألست على الإسلام فهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه والأنس الذي لا وحشة معه والله إني لأستحيي أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها فقام سفيان وهو يقول ما سمعت مثل هذا الكلام وقالت رابعة لسفيان إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل كان أبو سليمان الهاشمي له بالبصرة كل يوم غلة ثمانين ألف درهم فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم في امرأة يتزوجها فأجمعوا على رابعة العدوية فكتب إليها أما بعد فإن ملكي من غلة الدنيا في كل يوم ثمانون ألف درهم وليس يمضي إلا قليل حتى أتمها مائة ألف إن شاء الله وأنا أخطبك نفسك وقد بذلت لك من الصداق مائة ألف وأنا مصير إليك من بعد أمثالها فأجيبيني فكتبت إليه أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كتابي فهي زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل وصيتك إلى غيرك وصم دهرك واجعل الموت

فطرك فما يسرني ان الله خولني أضعاف ما خولك فيشغلني بك عنه طرفه عين والسلام وقالت امرأة لرابعة إني أحبك في الله فقالت لها أطيعي من أحببتني له وكانت رابعة تقول اللهم قد وهبت لك من ظلمني فاستوهبني ممن ظلمته قال رجل لرابعة إني أحبك في الله قالت فلا تعص الذي أحببتني له وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب عوارف المعارف (إني جعلتك في الفؤاد محدثي * وأبحت جسمي من أراد جلوسي)
287 (فالجسم مني للجليس مؤانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي) وكانت وفاتها في سنة خمس وثلاثين ومائة ذكره ابن الجوزي في شذور العقود وقال غيره سنة خمس وثمانين ومائة رحمها الله تعالى وقبرها يزار وهو بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور وذكر ابن الجوزى في كتاب صفة الصفوة في ترجمة رابعة المذكورة بإسناد له متصل إلى عبدة بنت أبي شوال قال ابن الجوزي وكانت من خيار إماء الله تعالى وكانت تخدم رابعة قالت كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة يا نفس كم تنامين وإلى كم تقومين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور وكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت ولما حضرتها الوفاة دعتني وقالت يا عبدة لا تؤذني بموتي أحدا وكفنيني في جبتي هذه وهي

جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون قالت
فكفناها في تلك الجبة وفي خمار صوف كانت تلبسه ثم
رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة
إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئا قط
أحسن منه فقلت يا رابعة ما فعلت بالجبة التي كفناك فيها
والخمار الصوف قالت إنه والله نزع عني وأبدلت به ما
ترينه علي فطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين
ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة فقلت لها لهذا كنت تعملين
أيام الدنيا فقالت وما هذا عندما رأيت من كرامة الله عز
وجل لأوليائه فقلت لها فما فعلت عبيدة بنت أبي كلاب
فقالت هيهات هيهات سبقتنا والله إلى
288 الدرجات العلا فقلت وبم وقد كنت عند الناس
أي أكبر منها قالت إنها لم تكن تبالي على أي حال
أصبحت من الدنيا وأمست فقلت لها فما فعل أبو مالك
أعني ضيغما قالت يزور الله عز وجل متى شاء قلت فما
فعل بشر بن منصور قالت بخ بخ أعطي والله فوق ما كان
يؤمل قلت فمريني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل قالت
عليك بكثرة ذكره يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك
رحمهما الله تعالى 232 ربيعة الرأي أبو عثمان ربيعة
بن أبي عبد الرحمن فروخ مولى آل المنكدر التيميين تيم
قريش المعروف بربيعة الرأي فقيه أهل المدينة أدرك
جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وعنه أخذ مالك بن
أنس رضي الله عنه قال بكر بن عبد الله الصنعاني أتينا

مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي فكنا نستزيده من حديث ربيعة فقال لنا ذات يوم ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذاك الطاق فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا له أنت ربيعة قال نعم قلنا أنت الذي يحدث عنك مالك بن أنس قال نعم فقلنا كيف حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك قال أما علمتم أن مثقالا من دولة خير من حمل علم وكان ربيعة يكثر الكلام ويقول الساكت بين النائم والأخرس وكان
289 يوما في مجلسه وهو يتكلم فوقف عليه أعرابي دخل من البادية فأطال الوقوف والإنصات إلى كلامه فظن ربيعة أنه قد أعجبه كلامه فقال له يا أعرابي ما البلاغة عندكم فقال الإيجاز مع إصابة المعنى فقال وما العي فقال ما أنت فيه منذ اليوم فخجل ربيعة قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف حدثني مشايخ أهل المدينة أن فروخا أبا عبد الرحمن بن ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازيا وربيعة حمل في بطن أمه وخلف عنه زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسا وفي يده رمح فنزل ودفع الباب برمحه فخرج ربيعة وقال يا عدو الله أتهجم على منزلي فقال فروخ يا عدو الله أنت دخلت على حرمي فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة فجعل ربيعة يقول والله لا فارقتك إلا عند السلطان وجعل فروخ يقول والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي وكثر

الضجيج فلما أبصروا بمالك سكتوا فقال مالك أيها الشيخ لك سبعة في غير هذه الدار فقال الشيخ هي داري وأنا فروخ فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به فاعتنقا جميعا وبكيا فدخل فروخ المنزل وقال هذا ابني فقالت نعم قال أخرجي المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار قالت قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام ثم خرج ربيعة إلىالمسجد وجلس في حلقته فأتاه مالك والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي والمساحقي وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به فقالت امرأته لزوجها فروخ اخرج فصل في مسجد رسول الله فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها فأفرجوا له قليلا فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره وعليه دنية طويلة فشك أبوه فيه فقال من هذا الرجل فقالوا هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن فقال فقد رفع الله ابني ورجع إلى

290 منزله وقال لوالدته لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحدا من أهل العلم والفقه عليها فقالت أمه فأيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه فقال لا والله بل هذا فقالت فإني أنفقت المال كله عليه قال فوالله ما ضيعته وقال معاذ بن معاذ سمعت سوار بن عبد الله يقول ما رأيت أحدا أعلم من ربيعة الرأي قلت ولا الحسن وابن سيرين قال ولا الحسن وابن سيرين وما كان بالمدينة رجل أسخى بما في يديه لصديق أو غيره من ربيعة الرأي أنفق على إخوانه أربعين ألف درهم ثم جعل يسأل إخوانه فقيل

له أذهبت مالك وأنت تخلق جاهك فقال لا يزال هذا دأبي ما وجدت أحدا يغبطني على جاهي وكانت وفاته في سنة ست وثلاثين وقيل سنة ثلاثين ومائة بالهاشمية وهي مدينة بناها السفاح بأرض الأنبار وكان يسكنها ثم انتقل إلى الأنبار رحمه الله تعالى وقال مالك بن أنس ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي قلت ولا يمكن الجمع بين قول من يقول إنه توفي سنة ثلاثين ومائة وإنه دفن بالهاشمية التي بناها السفاح لأن السفاح ولي الخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة كذا نقله أرباب التواريخ واتفقوا عليه فتأمله

291 233 الربيع بن سليمان المرادي أبو محمد

الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء المؤذن المصري صاحب الإمام الشافعي وهو الذي روى أكثر كتبه وقال الشافعي في حقه الربيع راويتي وقال ما خدمني أحد ما خدمني الربيع وكان يقول له يا ربيع لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك ويحكى عنه أنه قال دخلت على الشافعي رضي الله عنه عند وفاته وعنده البويطي والمزني وابن عبد الحكم فنظر إلينا ثم قال أما أنت يا أبا يعقوب يعني البويطي فتموت في حديدك وأما أنت يا مزني فستكون لك في مصر هنات وهنات ولتدركن زمانا تكون فيه أقيس أهل زمانك وأما أنت يا محمد يعني ابن عبد الحكم فترجع إلى مذهب مالك وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب قم يا أبا يعقوب فتسلم

الحلقة قال الربيع فلما مات الشافعي رضي الله عنه صار كل واحد منهم إلى ما قاله حتى كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق وحكى الخطيب في تاريخه في ترجمة البويطي قال الربيع بن سليمان المرادي كنا جلوسا بين يدي الشافعي رضي الله عنه أنا والبويطي والمزني فنظر إلى البويطي فقال ترون هذا إنه لن يموت إلا في حديده ثم نظر إلى المزني فقال ترون هذا اما إنه سيأتي عليه زمان لا يفسر شيئا فيخطئه ثم نظر إلى فقال أما إنه ما في القوم أحد أنفع لي منه ولوددت أني حشوته العلم حشوا والربيع هذا آخر من روى عن الشافعي بمصر

292 ورأيت بخط الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري المصري شعرا للربيع المذكور (صبرا جميلا ما أسرع الفرجا * من صدق الله في الأمور نجا) (من خشي الله لم ينله أذى * ومن رجا الله كان حيث رجا)
وتوفي الربيع يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين ومائتين بمصر ودفن بالقرافة مما يلي الفقاعي في بحرية في حجرة هناك وعند رأسه بلاطه رخام فيها اسمه وتاريخ وفاته رحمه الله تعالى والمرادي بضم الميم وفتح الراء وبعد الألف دال مهملة هذه النسبة إلى مراد وهي قبيلة كبيرة باليمن خرج منها خلق عظيم 234 الربيع بن سليمان الجيزي أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الأزدي بالولاء المصري الجيزي صاحب الشافعي رضي الله عنه لكنه كان قليل الرواية عنه وإنما

روى عن عبد الله بن عبد الحكم كثيرا وكان ثقة وروى عنه أبو داود والنسائي ؤ قيل إنه اجتاز يوما بمصر فطرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفضه عن ثيابه ولم يقل شيئا فقيل له ألا تزجرهم فقال من استحق النار وصولح بالرماد فقد ربح وتوفي في ذي الحجة سنة ست وخمسين ومائتين بالجيزة وقبره بها كذا قاله القضاعي في الخطط رحمه الله تعالى 293

والأزدي قد تقدم الكلام فيه والجيزي بكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي هذه النسبة إلى الجيزة وهي بليدة في قبالة مصر يفصل بينهما عرض النيل والأهرام في عملها وبالقرب منها وهي من عجائب الأبنية قال بعض الحكماء ما على وجه الأرض بنية إلا وأنا أرثي لها من الليل والنهار إلا الهرمين فأنا أرثي لليل والنهار منهما ولأبي الطيب المتنبي فيهما (أين الذي الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع) (تتخلف الاثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع) وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عليهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر بنقب الهرمين فنقب أحدهما بعد جهد شديد وعناء طويل فوجدوا داخله مراقي ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجدوا في أعلاها بيتا مكعبا طول كل ضلع من أضلاعه

نحو من ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فيه رمة بالية وقد أتت عليها العصور فكف عن نقب ما سواه وكانت النفقة على نقبه عظيمة والمؤونة شديدة ومن الناس من زعم أن هرمس الأول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ وهو إدريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على الطوفان فأمر ببناء الأهرام وإيداعها ما يشفق عليه من الذهاب وقيل بانيها سورند لرؤيا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان ويقال إنه بناها في مدة ستة أشهر وغشاها بالديباج الملون

294 وكتب عليها قد بنيناها في ستة أشهر قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج وبالجملة فالأمر فيها عجيب جدا والله أعلم

235 الربيع بن يونس أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان مولى الحارث الحفار مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه كان الربيع المذكور حاجب أبي جعفر المنصور ثم وزر له بعد أبي أيوب المورياني الآتي ذكره في حرف السين إن شاء الله تعالى وكان كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه قال له يوما يا ربيع سل حاجتك قال حاجتي يا أمير المؤمنين أن تحب الفضل ابني فقال له ويحك إن المحبة تقع بأسباب فقال له قد أمكنك الله من إيقاع سببها قال وما ذاك قال

تفضل عليه فإنك إذا فعلت ذلك أحبك وإذا أحبك أحببته قال قد والله حببته إلي قبل إيقاع السبب ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء قال لأنك إذا أحببته كبر عندك صغير إحسانه وصغر عندك كبير إساءته وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان وحاجته إليك حاجة الشفيع العريان أشار بقوله الشفيع العريان إلى قول الفرزدق الشاعر (ليس الشفيع الذي يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا)

295 وهذا البيت من جملة أبيات في عبد الله بن الزبير بن العوام لما طلب الخلافة لنفسه واستولى على الحجاز والعراق في أيام عبد الملك بن مروان الأموي وكان قد اختصم الفرزدق وزوجته النوار فمضيا من البصرة إلى مكة ليفصل الحكم بينهما عبد الله بن الزبير فنزل الفرزدق عند حمزة بن عبد الله ونزلت النوار عند زوجة عبد الله وشفع كل واحد منهما لنزيله فقضى عبد الله للنوار وترك الفرزدق فقال الأبيات المذكورة فصار الشفيع العريان مثلا يضرب لكل من تقبل شفاعته وكان أبو جعفر إذا أراد بإنسان خيرا أمر بتسليمه إلى الربيع وإذا أراد به شرا سلمه للمسيب فكتب عامل فلسطين يذكر أن بعض أهلها وثب واستغوى جماعة وعاب في العمل فكتب إليه أبو جعفر دمك بواء بدمه إلى أن توجه به إلي فأخذه ووجه به إليه فلما دخل عليه قال أنت المتوثب على عامل أمير المؤمنين لأنثرن من لحمك أكثر ما بقي منه

على عظمك فقال له بصوت ضئيل وكان شيخا كبيرا (أتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم) فقال أبو جعفر يا ربيع ما يقول قال يقول (العبد عبدكم والمال مالكم * فهل عذابك عني اليوم مصروف) فقال قد عفوت عنه فخلى سبيله وأحسن إليه وهذا الشعر لسحيم عبد بني الحسحاس وقال له المنصور يوما ويحك يا ربيع ما أطيب الدنيا لولا الموت فقال له ما طابت إلا بالموت قال وكيف ذاك قال لولا الموت لم تقعد هذا المقعد قال صدقت وقال له المنصور لما حضرته الوفاة يا ربيع بعنا الآخرة بنومة

296 وقال الربيع كنا يوما وقوفا على رأس المنصور وقد طرحت لولده المهدي وهو يومئذ ولي عهده وسادة إذ أقبل صالح بن المنصور وكان قد رشحه أن يوليه بعض أموره فقام بين السماطين والناس على قدر أنسابهم ومراتبهم فتكلم فأجاد فمد المنصور يده إليه وقال إلي يا بني واعتنقه ونظر إلى وجوه الناس هل فيهم من يذكر مقامه ويصف فضله فكلهم كرهوا ذلك بسبب المهدي خيفةمنه فقام شبة بن عقال التميمي فقال لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ما أفصح لسانه وأحسن بيانه وأمضى جنانه وأبل ريقه وأسهل طريقه وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه والمهدي أخوه وهو كما قال الشاعر (هو الجواد فإن يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا) (أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما

قدما من صالح سبقا) فعجب من حضر بجمعه بين
المدحين وإرضائه المنصور وخلاصه من المهدي قال
الربيع فقال لي المنصور لا يخرج التميمي إلا بثلاثين ألف
درهم فلم يخرج إلا بها ويقال إن الربيع لم يكن له أب
يعرف وإن بعض الهاشميين دخل على المنصور وجعل
يحدثه ويقول كان أبي رحمه الله تعالى وكان وأكثر
من الترحم عليه فقال له الربيع كم تترحم على أبيك
بحضرة أمير المؤمنين فقال له الهاشمي أنت معذور يا
ربيع لأنك لا تعرف مقدار الاباء فخجل منه ولما دخل أبو
جعفر المنصور المدينة قال للربيع ابغني رجلا عاقلا
عالما ليقفني على دورها فقد بعد عهدي بديار قومي
فالتمس له الربيع فتى من أعلم الناس وأعقلهم فكان لا
يبتدىء بالإخبار عن شيء حتى يسأله المنصور
297 فيجيبه بأحسن عبارة وأجود بيان وأوفى معنى
فأعجب المنصور به فأمر له بمال فتأخر عنه ودعته
الضرورة إلى استنجازه فاجتاز ببيت عاتكة بنت عبد الله
بن أبي سفيان الأموي فقال يا أمير المؤمنين هذا بيت
عاتكة الذي يقول فيه الأحوص بن محمد الأنصارى (يا
بيت عاتكة الذي أتعزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل) (
إني لأمنحك الصدود وإنني * قسما إليك مع الصدود لأميل
) ففكر المنصور في قوله وقال لم يخالف عادته بابتداء
الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر وأقبل يردد القصيدة
ويتصفحها شيئا فشيئا حتى انتهى الى قوله فيها (وأراك

تفعل ما تقول وبعضهم * مذق الحديث يقول مالا يفعل)
فقال المنصور يا ربيع هل أوصلت إلى الرجل ما أمرنا له
به قال تأخر عنه لعلة ذكرها الربيع فقال عجلة له مضاعفا
وهذا ألطف تعريض من الرجل وحسن فهم من المنصور
وكان يقول من كلم الملوك في الحاجات في غير أوقاتها لم
يظفر ببغيته وما أشبه الحال في ذلك إلا بأوقات الصلاة
فإن الصلاة لا تقبل إلا فيها فمن أراد خطاب الملوك
فليختر لذلك الوقت المنجح الذي يصلح فيه ذكر ما أراد
ليصح النجع وإلا فلا وحكت فائقة بنت عبد الله أم عبد
الواحد بن جعفر بن سليمان قالت كنا يوما عند المهدي
أمير المؤمنين وكان قد خرج متنزها إلى الأنبار إذ
298 دخل عليه الربيع ومعه قطعة من جراب فيه
كتابة برماد وخاتم من طين قد عجن بالرماد وهو مطبوع
بخاتم الخلافة فقال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعجب من
هذه الرقعة جائني بها رجل أعرابي وهو ينادي هذا كتاب
أمير المؤمنين دلوني على هذا الرجل الذي يسمى الربيع
فقد أمرني أن أدفعها إليه وهذه هي الرقعة فأخذها المهدي
وضحك وقال صدقت هذا خطي وهذا خاتمي أفلا أخبركم
بالقصة كيف كانت قلنا أمير المؤمنين أعلى رأيا في ذلك
فقال خرجت أمس إلى الصيد في غب سماء فلما أصبحت
هاج علينا ضباب شديد وفقدت أصحابي حتى ما رأيت
منهم أحدا وأصابني منم البرد والجوع والعطش ما الله به
أعلم وتحيرت عند ذلك فذكرت دعاء سمعته من أبي

يحكيه عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما
رفعة قال من قال إذا أصبح وإذا أمسى بسم الله وبالله ولا
حول ولا قوة إلا بالله اعتصمت بالله وتوكلت علىالله حسبي
الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقي وكفي وهدي
وشفي من الحرق والغرق والهدم وميتة السوء فلما قلتها
رفع الله لي ضوء نار فقصدتها فإذا بهذا الأعرابي في
خيمة له وإذا هو يوقد نارا بين يديه فقلت له أيها الأعرابي
هل من ضيافة فقال انزل فنزلت فقال لزوجته هاتي ذلك
الشعير فأتت به فقال اطحنيه فابتدأت تطحنه فقلت له
اسقني ماء فأتى بسقاء فيه مذقة لبن أكثرها ماء فشربت
منها شربة ما شربت شيئا قط إلا وهي أطيب منه
وأعطاني حلسا له فوضعت رأسي عليه فنمت نومة ما
نمت أطيب منها وألذ ثم انتبهت فإذا هو قد وثب إلى
شويهة فذبحها وإذا امرأته تقول له ويحك قتلت نفسك
وصبيتك إنما كان معاشكم من هذه الشاة فذبحتها فبأي
شيء نعيش قال فقلت لا عليك هات الشاة فشققت جوفها
واستخرجت كبدها بسكين كانت في خفي فشرحتها ثم
طرحتها على النار وأكلتها ثم قلت له هل عندك شيء
أكتب لك فيه فجائني بهذه القطعة من جراب وأخذت عودا
من الرماد الذي بين يديه وكتبت له هذا الكتاب وختمته
بهذا الخاتم وأمرته أن يجيء ويسأل عن الربيع فيدفعها
299 إليه فإذا في الرقعة خمسمائة ألف درهم فقال
والله ما أردت إلا خمسين ألف درهم ولكن جرت

بخمسمائة ألف درهم لا أنقص والله منها درهما واحدا ولو لم يكن في بيت المال غيرها احملوها معه فما كان إلا قليل حتى كثرت إبله وشاؤه وصار منزلا من المنازل ينزله الناس ممن أراد الحج وسمي منزل مضيف أمير المؤمنين المهدي وقال أبان بن صدقة كنت أخلف الربيع على كتبه للمنصور فدخلت يوما وعلي خز أسود جديد والمنصور في قباء خز خلق فجعل ينظر الي فضاقت علي الدنيا وخرج الربيع فقلت إني أخطأت خطأ عظيما وعرفته الخبر فقال ما ذاك إلا لخير فلا يحزنك فلما كان من غد دخلت في قباء خز خلق فقال لي المنصور أما عندك أحسن من هذا تلبسه أمام المنصور قلت بلى ولكن رأيت أمير المؤمنين لبس قباء خلقا وكان علي قباء جديد فضاقت علي الأرض إذ لبست أفضل من لباسه فقال لا تفعل البس خير ما عندك في خدمتي ليتبين الناس إحساني إليك ولا تلبس مثل هذا فيظن بي إساءة إليك فإن الناس يعلمون أني أقدر على أشرف اللباس وإن لم ألبس وأنت فلا يظن ذلك بك قال فعلمت أن الربيع أعقل الناس وأعلمهم بأخبار أمير المؤمنين وكانت وفاة الربيع في أول سنة سبعين ومائة وقال الطبري مات الربيع في سنة تسع وستين ومائة وقيل إن الهادي سمه وقيل مرض ثمانية أيام ومات والله أعلم رحمه الله تعالى وإنما قيل لجده أبو فروة لأنه أدخل المدينة وعليه فروة فاشتراه عثمان رضي الله عنه وأعتقه وجعل يحفر القبور وكان من سبي جبل الخليل صلى الله

عليه وسلم وسيأتي ذكر ولده الفضل إن شاء الله تعالى وقطيعة الربيع منسوبة إليه وهي محلة كبيرة مشهورة ببغداد وإنما قيل لها قطيعة الربيع لأن المنصور أقطعه إياها

300 236 ربعي بن حراش ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن عبد الله بن نجار بن عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العبسي الكوفي روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وحذيفة بن اليمان وأبي بكرة وعمران بن الحصين رضي الله عنهم حدث عنه عامر الشعبي وعبد الملك بن عمير ومنصور بن المعتمر وأبو مالك الأشجعي وغيرهم وكان ثقة وهو أخو مسعود وربيع ابني حراش ورد المدائن غير مرة في حياة حذيفة وبعده قال أبو مسلم صالح بن عبد الله العجلي حدثني أبي قال ربعي بن حراش كوفي تابعي ثقة يقال إنه لم يكذب قط وكان له ابنان عاصيان زمن الحجاج فقيل للحجاج إن أباهما لا يكذب قط ولو أرسلت إليه فسألته عنهما فأرسل إليه فقال له أين ابناك قال هما في البيت قال قد عفونا عنهما لصدقك وكان ربعي بن حراش آلى ألا تفتر أسنانه بالضحك حتى يعلم أين مصيره فما ضحك إلا بعد موته وكان أخوه ربيع بعده آلى ألا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار قال الحارث الغنوي فأخبرني غاسله أنه لم يزل مبتسما

على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا منه قال سعيد بن جميل العبسي رأيت ربعي بن حراش رجلا أعور
301 مات سنة أربع ومائة وصلى عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد وذلك في ولاية عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى 237 رجاء بن حيوة أبو المقدام رجاء بن حيوة بن جرول الكندي كان من العلماء وكان يجالس عمر بن عبد العزيز ذكر أنه بات ليلة عنده فهم السراج أن يخمد فقام إليه ليصلحه فأقسم عليه عمر ليقعدن وقام هو إليه فأصلحه قال فقلت له تقوم أنت يا أمير المؤمنين فقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز قال وأمرني عمر بن عبد العزيز أن أشتري له ثوبا بستة دراهم فأتيته به فجسه وقال هو على ما أحب لولا أن فيه لينا قال فبكيت قال فما يبكيك قال أتيتك وأنت أمير بثوب بستمائة درهم فجسسته وقلت هو على ما أحب لولا أن فيه خشونة وأتيتك وأنت أمير المؤمنين بثوب بستة دراهم فجسسته وقلت هو على ما أحب لولا أن فيه لينا فقال يا رجاء إن لي نفسا تواقة تاقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها وتاقت إلى الإمارة فوليتها وتاقت إلى الخلافة فأدركتها وقد تاقت إلي الجنة فأرجو أن أدركها إن شاء الله عز وجل
302 وقال قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثني عشر درهما وكانت قباء وعمامة وقميصا وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة وله معه أخبار وحكايات

وكان يوما عند عبد الملك بن مروان وقد ذكر عنده شخص بسوء فقال عبد الملك والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به ولأصنعن فلما أمكنه الله منه هم بإيقاع الفعل به فقام إليه رجاء بن حيوة المذكور فقال يا أمير المؤمنين قد صنع الله لك ما أحببت فاصنع ما يحب الله من العفو فعفا عنه وأحسن إليه ولما حضر أيوب بن سليمان بن عبد الملك الوفاة وكان ولي عهد أبيه دخل عليه أبوه وهو يجود بنفسه ومعه عمربن عبد العزيز وسعيد بن عقبة ورجاء بن حيوة فجعل سليمان ينظر في وجه أيوب فخنقته العبرة ثم قال إنه ما يملك العبد نفسه أن يسبق إلى قلبه الوجد عند المصيبة والناس في ذلك أصناف فمنهم المحتسب ومنهم من يغلب صبره جزعه فذلك الجلد الحازم ومنهم من يغلب جزعه صبره فذلك المغلوب الضعيف وإني أجد في قلبي لوعة إن أنا لم أبردها خفت أن تنصدع كبدي كمدا فقال له عمر يا أمير المؤمنين الصبر أولى بك فلا يحبطن أجرك وقال سعيد بن عقبة فنظر إلي وإلى رجاء بن حيوة نظر مستغيث يرجو أن نساعده على ما أدركه من البكاء فأما أنا فكرهت أن آمره أو أنهاه وأما رجاء فقال يا أمير المؤمنين إني لا أرى بذلك بأسا ما لم يأت الأمر المفرط وإني قد بلغني أن النبي لما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه فقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون فبكى سليمان حتى اشتد بكاؤه فظننا أن نياط قلبه قد انقطع فقال عمر بن عبد

العزيز لرجاء بن حيوة بئس ماصنعت بأمير المؤمنين
فقال دعه يا أبا حفص يقضي من بكائه وطرا فإنه لو لم
يخرج من صدره ما ترى خفت أن يأتي عليه ثم أمسك عن
البكاء ودعا بماء فغسل وجهه وقضى الفتى فأمر بجهازه
وخرج يمشي أمام جنازته فلما دفن وقف ينظر
303 إلى قبره ثم قال (وقفت على قبر مقيم بقفرة *
متاع قليل من حبيب مفارق) ثم قال السلام عليك يا أيوب
وقال (كنت لنا أنسا ففارقتنا * فالعيش من بعدك مر
المذاق) ثم قال يا غلام أدن دابتي مني فركب وعطف
دابته إلى القبر وقال (فإن صبرت فلم ألفظك من شبع *
وإن جزعت فعلق منفس ذهبا) فقال عمر بل الصبر
أقرب إلى الله عز وجل قال صدقت وانصرف وكانت
وفاته سنة اثنتي عشرة ومائة وكان رأسه أحمر ولحيته
بيضاء رحمه الله تعالى وحيوة بفتح الحاء المهملة وسكون
الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وبعدها هاء ساكنة 238
رؤبة بن العجاج أبو محمد رؤبة بن العجاج والعجاج
لقب واسمه أبو الشعثاء عبد الله ابن رؤبة البصري
التميمي السعدي وهو وأبوه راجزان مشهوران كل منهما
304 له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز
وهما مجيدان في رجزهما وكان بصيرا باللغة قيما
بحوشيها وغريبها حكى يونس بن حبيب النحوي قال كنت
عند أبي عمرو ابن العلاء فجاءه شبيل بن عزرة الضبعي
فقام إليه أبو عمرو وألقى إليه لبد بغلته فجلس عليه ثم أقبل

عليه يحدثه فقال شبيل يا أبا عمرو سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه يعني رؤبة قال يونس فلم أملك نفسي عند ذكره فقلت له لعلك تظن أن معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه أفتعرف أنت ما الروبة والروبة والروبة والروبة والرؤبة وأنا غلام رؤبة فلم يحر جوابا وقام مغضبا فأقبل علي أبو عمرو وقال هذا رجل شريف يقصد مجالستنا ويقضي حقوقنا وقد أسأت فيما فعلت مما واجهته به فقلت لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة فقال أبو عمرو أو قد سلطت على تقويم الناس ثم فسر يونس ما قاله فقال الروبة خميرة اللبن والروبة قطعة من الليل والروبة الحاجة يقال فلان لا يقوم بروبة أهله أي بما أسندوا إليه من حوائجهم والروبة جمام ماء الفحل والرؤبة بالهمزة القطعة التي يشعب بها الإناء والجميع بسكون الواو وضم الراء التي قبلها إلا رؤبة فإنها بالهمز وكان رؤبة يأكل الفأر فعوتب في ذلك فقال هي أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللائي يأكلن العذرة وهل يأكل الفأر إلا نقي البر أو لباب الطعام ولما مات قال الخليل دفنا الشعر واللغة والفصاحة وكان رؤبة مقيما بالبصرة فلما ظهر بها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وخرج على أبي جعفر المنصور وجرت الواقعة المشهورة خاف رؤبة على نفسه وخرج إلى البادية ليتجنب الفتنة

305 فلما وصل إلى الناحية التي قصدها أدركه أجله بها فتوفي هناك سنة خمس وأربعين ومائة وكان قد أسن رحمه الله تعالى ورؤبة بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنه وهي في الأصل اسم لقطعة من الخشب يشعب بها الإناء وجمعها رئاب وباسمها سمي الراجز المذكور 239 روح بن حاتم أبو حاتم روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وسيأتي تمام النسب عند ذكر جده المهلب في حرف الميم إن شاء الله تعالى كان روح المذكور من الكرماء الأجواد وولي لخمسة من الخلفاء أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد ويقال إنه لم يتفق مثل هذا إلا لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه فإنه ولي لرسول الله ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وكان روح واليا على السند ولاه إياها المهدي بن أبي جعفر المنصور في سنة تسع وخمسين ومائة وكان قد ولاه في أول خلافته الكوفة وقيل إنه ولي السند سنة ستين ومائة ثم عزله عن السند سنة إحدى وستين ومائة ثم ولاه البصرة

306 وكان يزيد أخو روح واليا على إفريقية فلما توفي يزيد يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة بإفريقية في مدينة القيروان ودفن بباب سلم وكان أقام واليا عليها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر قال أهل إفريقية ما أبعد ما يكون بين قبري

هذين الأخوين فإن أخاه بالسند وهذا هاهنا فاتفق أن الرشيد عزل روحا عن السند وسيره إلى موضع أخيه يزيد فدخل إلى إفريقية أول رجب سنة إحدى وسبعين ومائة ولم يزل واليا عليه إلى أن توفي بها لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ودفن في قبر أخيه يزيد فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد رحمهما الله تعالى 40 ويزيد المذكور هو الذي قصده ربيعة بن ثابت الأسدي الرقي فأحسن إليه وكان ربيعة مدح يزيد بن أسيد السلمي فقصر يزيد في حقه فمدح يزيد بن حاتم وهجا يزيد السلمي بقصيدته الميمية التي يقول من جملتها (لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والأغر ابن حاتم) (فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم) (فلا يحسب التمتام أني هجوته * ولكنني فضلت أهل المكارم) ومنها (فيا ابن أسيد لا تسام ابن حاتم * فتقرع إن ساميته سن نادم) (هو البحر إن كلفت نفسك خوضه * تهالكت في آذيه المتلاطم) (تمنيت مجدا في سليم سفاهة * أماني خال أو أماني حالم) (ألا إنما آل المهلب غرة * وفي الحرب قادات لكم بالخزائم)
307 وهي طويلة ويكفي منها هذا القدر وكان قد قصر في حقه أولا فعمل ربيعة أبياتا من جملتها (أراني ولا كفران لله راجعا * بخفي حنين من نوال ابن حاتم)

فعاد فعطف عليه وبالغ في الإحسان إليه ويزيد المذكور جد الوزير أبي محمد المهلبي فينظر في ترجمته

308 @308@